العمل الإغاثي
عند الدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله
وأثره في قبول دعوته













إعداد
الأستاذ علي محمد علي آل حاسن الشهري



مدار الوطن للنشر


العمل الإغاثي
عند الدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله
وأثره في قبول دعوته

ⓒ مدار الوطن للنشر، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشهري، علي محمد علي

العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله وأثره في قبول دعوته.

/علي محمد علي الشهري. ـ الرياض، ١٤٣٧هـ

٢٧١ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٣ ـ ٣٦ ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ السميط، عبد الرحمن حمود ٢ ـ العمل التطوعي ٣ ـ الدعاة أ ـ العنوان

ديوي: ٩٣٢،١١٣ ١٤٣٧/٥٨٠

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٥٨٠

ردمك: ٣ ـ ٣٦ ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨



مدار الوطن للنشر

المقر الجديد

المملكة العربية السعودية

الرياض ـ الروضة ـ مخرج ١١

شارع ابي سعيد الخدري متفرع

من شارع خالد بن الوليد

هاتف: ٠١١٢٣١٣٠١٨ (٣ خطوط)

٠١١٤٧٩٢٠٤٢

فاكس: ٠١١٢٣٢٢٠٩٦

فرع الملز ـ مخرج ١٥ ـ مقابل جامع الراجحي

هاتف: ٠١١٤٤٥٤١٢٤ ـ جوال: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤

مندوب الرياض: ٠٥٠٣٣٦٩٣١٦

مندوب الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨

مندوب الجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩

مندوب الشرقية والدمام: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨

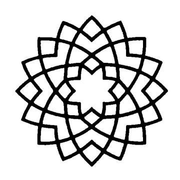
مندوب الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨

مسؤول التوزيع الخيري: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩

لطلبات الجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

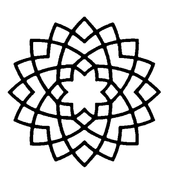
www.madaralwatan.com • pop@madaralwatan.com • madaralwatan@hotmail.com





إعداد

علي محمد علي آل حاسن الشهري



مدار الوطن للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهـداء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه واستنَّ بسنته واهتدى بهداه إلى يوم أن نلقاه، أحمد الله جل وعلا وأشكره أولا، فهو أهل للشكر والثناء، على أن يسر لي إنجاز هذا الكتاب، وأعانني في هذا البحث، ووفقني بفضله لدراسة علم من أعلام العمل الإغاثي والدعوة إلى الله في العصر الحديث، رجل ملأ إفريقيا نورًا وهدى بفضله تعالى، إنه بحق رجل بأمة، وأمة في رجل، إنه الداعية الإسلامي الدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله تعالى.

ثم أقدم الشكر والعرفان والدعاء والامتنان لسعادة الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن السميط، ولجمعية العون المباشر في دولة الكويت الشقيقة على حسن استقبالهم لي، وعلى ما قدموه لي من معلومات كانت بإذن الله سببا مهما لنجاح هذا البحث وإثرائه.

وختامًا أقدم عظيم الشكر والتقدير والحب والوفاء لزوجتي وأبنائي، فبفضل الله ثم بفضلهم تم هذا البحث وخرج هذا الكتاب، فكان لهم الدور الكبير في شحذ همتي وتحقيق رغبتي في إكمال دراستي وبلوغ أمنيتي، أسأل الله أن يحفظهم ويصلحهم.

وأسأل الله أن يجزي خير الجزاء كل من أعانني فيه بقول أو فعل، ومن قرأه وأعان على نشره!

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

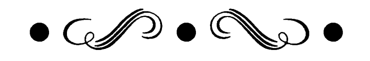
يدعونا الدّين الإسلاميّ إلى الدّعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ويجعل من الدَّعوة رسالة وتكليفًا لكلّ مسلم، وذلك بنصّ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]، وبالتّالي فكلّنا مطالبون بالدَّعوة لأنفسنا، وأهلينا، ومعارفنا، وجيراننا، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»[١]، وهي دعوةٌ للاستمساك بالقرآن

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، (ج:٣، رقم ١٢٧٥)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢هـ، بيروت.

والسنّة، ودعوةٌ أخرى لتطبيقها في الحياة اليوميّة، وضرب المثل بهما للآخرين، سلوكًا، وفعلًا، ودعوة للنّاس كافةٍ، بتدبر هذا الدّين، وفهم مراميه وأحكامه.

ومن سُبُل الدّعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ العمل الإغاثيّ، الذي يستمد نشأته وأصوله من الأمانة التي حمّلها الله جلّ وعلا أبانا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذريته، ونادى بها الأنبياء انفاذًا لوحي الله تعالى عليهم، وعلى المؤمنين جميعًا إلى قيام الساعة والعبادة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقد قام هذا البحث بحمد الله وفضله وتوفيقه على ما توفر لدى الباحث من كتبٍ قليلةٍ ولقاءاتٍ صحفيّةٍ وتلفزيونيّةٍ وشخصيّةٍ؛ لأنّ الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن يهتم بطبع كتبه ونشرها، ناهيك عمّن يريد أن يكتب عنه، أو يوثق سيرته وعمله، فلم ينفق بعض المال في طباعة تلك الكتب، أو تحويل برامجه إلى كتبٍ تقرأ، لأنّه يهتمّ بالفعل لا بالقول، ويُسابق الزمن، لمعاناته المرضيَّة، ولاحتسابه كلّ لحظات حياته، حتى لا تذهب إلا في الدَّعوة إلى الله، التي هي هدف حياته، وحياة كل مسلمٍ صادقٍ.



التمهيد



ويشتمل على:

المبحث الأول: نبذةٌ عن حياة الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الثاني: العلاقة بين العمل الإغاثيّ والدّعوة إلى الله.

المبحث الأول:

نبذةٌ عن حياة الدكتور عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عبد الرّحمن بن حمود السّميط، ولد عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، في عائلةٍ متوّسطة الحال، ملتزمةً بتعاليم الدّين الإسلاميّ الحنيف، يقول الدكتور عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدي كان إنسانًا عاديًّا، وكان يأمرني بالصلاة ويقول لي: اعمل ما شئت ولا تترك الصلاة، واحذر أن يدخل إلى مالك هللةٌ واحدةٌ من الحرام؛ لأنَّ هذا سيُفسد مالك ويدّمره». أخذ بنصيحة والده، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ محافظًا على الصلاة، محبًا للخير، وملتزمًا بتعاليم الإسلام، ولهذا كان أهل حيّه «حي المرقاب»[١] يُطلقون عليه اسم: المطوّع[٢].

أحبّ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ القراءة منذ صغره، فكان إذا رأى جريدةً أو مجلةً ملقاةً على الأرض، ركض لالتقاطها، وقراءتها أثناء المشي، وكثيرًا ما كان يصطدم بالناس، بسبب عدم الانتباه إلى الطريق، حتّى إنّ والده هدّده أكثر من مرةٍ أنّه لن يصطحبه إلى السوق. وقد أمضى فترةً طويلةً يتردّد على مكتبة حولي العامة للقراءة. وكان من عادته إذا أمسك بكتابٍ - مهما كان عدد صفحاته - ألّا يتركه حتى ينهي قراءته. وكانت معظم أمواله متّجهةً إلى شراء الكتب من المكتبات، وقراءاته كانت متنوّعةً حيث شملت العلوم الشرعيّة، والأديان الأخرى،

---

(١) يقع حي المرقاب في جنوب مدينة الكويت، وسمي المرقاب لأن أرضه مرتفعة. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/

(٢) برنامج صفحات من حياتي، قناة المجد الفضائية، تقديم: فهد السنيدي، ٢٠٠٤م، ١٤٢٤هـ.

والسياسة والاقتصاد وغيرها. وقد أقبل على مطالعة الفكر المناوئ للإسلام، بهدف البحث عن الحقيقة، وتوسيع مداركه ومعارفه، وكلّما قرأ في النظريّات الماركسيّة[١] واليساريّة[٢] وغيرها، ترسّخت في عقله، ووجدانه، عظمة الإسلام، وازداد فخرًا وعزًّا بالانتماء إليه، فهو يرى أنّ تلك النظريات تَعُجّ بالأفكار الغثّة، والخرافات، والأساطير، التي تصطدم بالفطرة الإنسانية، ممّا كان يدعوه إلى التمسك بالإسلام والدّعوة إليه، والعمل على نشره، حتّى أصبح من المؤمنين بأنَّ الإسلام سبق جميع النظريّات، والحضارات، والمدنيّات، في العمل التطوعيّ، والإنسانيّ وغيره. عمل في الكشّافة مدة ٧ سنوات، وقد ترك ذلك في حياته بصماتٍ واضحةً، من حيث تَحمّل المشاق، والصبر على شظف الحياة[٣].

---

(١) الماركسية: مصطلح يدخل في علم الاجتماع والاقتصاد السياسي والفلسفة. يهودية المنشأ، سميت بالماركسية، نسبة إلى منظرها الأول كارل ماركس- ذو أصول يهودية-، وهو فيلسوفٌ ألماني وعالم اقتصاد، وصحفي ثوري. أسس نظرية الشيوعية العلمية، بالاشتراك مع فريدريك إنجلز. فقد كان الاثنان اشتراكيين بالتفكير، لكن مع وجود الكثير من الأحزاب الاشتراكية، تفرد ماركس وأنجلس بالتوصل إلى الاشتراكية، كتطور حتمي للبشرية، وفق المنطق الجدلي، وبأدوات ثورية. فكانت مجمل أعمالهما تحت اسمٍ واحد، وهو: الماركسية، أو الشيوعية العالمية. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/

(٢) اليسارية واليسار: عبارة عن مصطلحٍ يمثل تيارا فكريا، وسياسيا، يسعى لتغيير المجتمع، إلى حالةٍ أكثر مساواةً بين أفراده. يرجع أصل مصطلح اليسارية إلى الثورة الفرنسية، عندما أيد عموم من كان يجلس على اليسار من النواب، التغيير الذي تحقق عن طريق الثورة الفرنسية، ذلك التغيير المتمثل بالتحول إلى النظام الجمهوري والعلمانية. ولا يزال ترتيب الجلوس نفسه متبعا في البرلمان الفرنسي، الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/

(٣) مجلة البيان: حوار مع د. عبد الرحمن السميط، بعنوان: العمل الإسلامي في إفريقيا، العدد (٨٠)، ربيع الآخر: ١٤١٥هـ.

كانت شخصيته جادّةً منذ الصغر، سافر إلى معظم الدول العربية، وبعض الدول الأوروبيّة، وهو في الصف السادس الابتدائي، وزار ليبيا، والأردن، وفلسطين، وإيطاليا، وبريطانيا، وتركيا. وعُرِفَ عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حُبّه للخير، وَحُبّه لأعمال البر منذ صغره. قام مع بعض زملائه في الكشافة وهم (١٢ شخصا) بجمع المال من أجل شراء سيارةٍ، تقوم بتوصيل العمّال البسطاء، من وإلى مقر عملهم، وهو في المرحلة الثانوية، وكانت تكلفتها (١٢٠٠ ريال سعودي). وعندما ابتُعِثَ إلى بغداد للدّراسة الجامعيّة عام ١٩٧٢م، حصل على منحةٍ دراسيّةٍ قدرها ٢٤ دينارًا. كان لا يأكل إلا وجبةً واحدةً، ويستكثر على نفسه النّوم على سريرٍ، رغم أنّ ثمنه لا يتجاوز دينارين، معتبرًا أنّ ذلك رفاهيّةٌ! وقد كان يقتطع جزءًا من مصروفه اليوميّ لشراء الكتيّبات الإسلاميّة، وتوزيعها على المساجد، وكان يوفر من مصروفه أيضا (١٢هلله) وهي: قيمة ركوب الحافلة من مقرّ سكنه إلى جامعة بغداد، فيمشي على رجليه تلك المسافة التي تقدر بحوالي (١٢كلم) تقريبا. وفي أثناء دراسته الجامعية أصيب بنوعٍ من اليأس، والكآبة، لما كان يرى من مظاهر الاختلاط بين الرجال والنساء، وما يرى من تحرّرٍ في اللّبس، الذي لا ينضبط بضوابط الشريعة الإسلاميّة. فقرر أن يذهب إلى مكة المكرمة، ويؤدي مناسك الحج، ويُجاور فيها بيت الله الحرام، ويبتعد عن كل ما يُنغّص عيشه، ويُفسد حياته، فذهب إلى الحج عام ١٩٦٨م. لم يركب سيارةً قطّ، وكان يُرافقه في ذلك الحجّ مسلمٌ ألمانيٌّ، اسمه محمد رفيق[١].

---

(١) برنامج صفحات من حياتي، قناة المجد الفضائية، تقديم: فهد السنيدي، ١٤٢٤هـ

عاد إلى الكويت بعد تخرجه من جامعة بغداد، وكان حريصًا على أن يتزوج من امرأةٍ مُحَجّبة ملتزمة بتعاليم الإسلام، فذهب إلى العراق، ثمّ إلى سوريا، ولم يتيسر له ذلك. وفّقه الله بالزواج من امرأةٍ تناسبه فكريًا، وخلقيًا، ودينيًّا، وتزوّج بها، وهي: «نوريّة محمد البداح الخشرم، تخرجت من كليّة التّجارة، تخصص: محاسبة»[١]. وبعد مرور سنةٍ ونصف، غادر إلى جامعة ليفربول[٢] في المملكة المتحدة، للحصول على دبلوم أمراض المناطق الحارّة[٣]، في أبريل ١٩٧٤م، وعمل في الدّعوة حتّى إنّه حوّل ما يقارب من ثمانين كنيسةٍ إلى مسجد، ثمّ سافر إلى كندا، ليتخصص في مجال الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية[٤].

وفي تلك المرحلة، تبلورت شخصية الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث بدأ يتّصل بمجموعةٍ من رجال السياسة، والأحزاب، والدّعوة. وقد استطاع من خلال ذلك أن يرسم مسار حياته، وأن يُحدّد هدفه، وأن يُصَدّرَ سهامه صوب الدّعوة. وخلال تواجده في شرق كندا تحديدًا، ألقى محاضرةً على مجموعةٍ من الطلاب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) جامعة ليفربول (بالإنجليزية: The University of Liverpool): إحدى الجامعات البريطانية العريقة، تقع في مدينة ليفربول على الساحل الشمالي الغربي من إنجلترا. وهي عضو في مجموعة راسل للجامعات، وتعتبر من ضمن جامعات الطوب الأحمر الستة. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/

(٣) أمراض المناطق الحارة أو الطب المداري أو طب المناطق المدارية هو: فرع من فروع الطب، يهتم بالصحة العامة للمجتمع، في المناطق الحارة والاستوائية، المتميزة بمناخها الحار، ورطوبتها، ومواسم الأمطار المهيئة لظهور الأوبئة، والأمراض، مع الظروف الاجتماعية، والاقتصادية السيئة في هذه المجتمعات. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/

(٤) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تقديم: فهد المساعد، تاريخ: ١٩/ ٥/ ٢٠١١م.

المسلمين، في أمريكا، عن جهود التنصير، وتحمّس الأخوة، وطلبوا منه أن يفعلوا شيئًا، فاقترح عليهم في محاضرةٍ أخرى، أن يدفع كلّ طالبٍ منهم مبلغًا، يتراوح من دولارٍ إلى خمسة دولاراتٍ شهريًا، وبصورةٍ مستمرةٍ، ثمّ يجمع ذلك المال ويطبع بـه كتبًا، توزع في الدول المحتاجة، وبخاصةٍ في إفريقيا[1].

تخصّص في جامعة ماكجل - مستشفى مونتريال العام[2] - في الأمراض الباطنيّة، ثمّ في أمراض الجهاز الهضميّ، كطبيبٍ ممارسٍ من يوليو١٩٧٤م إلى ديسمبر١٩٧٨م، ثمّ عمل كطبيبٍ متخصّصٍ في مستشفى كلية الملكة[3] في لندن

---

(١) فيلم تسجيلي بعنوان: خادم الدعوة، قناة المجد الفضائية، يوم الإثنين:١٢/ ١٠/ ١٤٣٤هـ، تقديم: د/ فهد السنيدي.

(٢) مستشفى مونتريال العام (MGH): تأسس عام ١٨٢١م، ويتمتع بسمعة عالمية حاليا، فضلا عن تاريخٍ مثيرٍ للإعجاب في خدمة المجتمع. وهو رائد في أمريكا الشمالية، أسّس أول مدرسةٍ طبيةٍ في كندا، وهي كلية الطب في جامعة ماكجيل، وظل المستشفى كمستشفى للتدريس لقرن ونصف من وجود الكلية. موقع مركز جامعة دي سانتي ماكجيل: http://muhc.ca/mgh/dashboard

(٣) كلية الملكة ماري، جامعة لندن (بالإنجليزية:Queen Mary, University of London) وهي إحدى الكليات التابعة لجامعة لندن، ولها جذور تاريخية قديمة، تعود إلى نهايات القرن الثامن عشر، في العام ١٧٨٥م بالتحديد. كانت هذه الكلية تعرف حتى العام ٢٠٠٠ م باسم: كلية الملكة ماري وويستفيلد (Queen Mary and Westfield College)، وما زال هذا الاسم هو الاسم المذكور في ميثاق تأسيسها. وقد انضمت الكلية إلى جامعة لندن في العام ١٩١٥م، لتصبح أحد أكبر الكليات في هذه الجامعة حيث تقدم البرامج الأكاديمية، والبحثية في ٢١ قسمًا أكاديميًا. وتتميز الكلية في تخصصات اللغة الإنجليزية، والتاريخ، واللغويات، والقانون، حيث تعد من بين أفضل ١٠ جامعات في بريطانيا فيها. وتعد كلية الملكة ماري من الجامعات العريقة في مجال البحث الأكاديمي الرائد، حيث تم تصنيفها في المرتبة الحادية عشرة، على مستوى بريطانيا، حسب صحيفة الجارديان، وهي أحد أعضاء مجموعة ١٩٩٤م. وحاز ٦ من أفراد الجامعة على جائزة نوبل، منذ العام ٢٠٠٩م. وزارة التعليم العالي في السعودية: http://ieche.com.sa/portal/ar/.

من عام ١٩٧٩م إلى ١٩٨٠م. أمضى خمس سنواتٍ في كندا، وثلاث سنواتٍ في بريطانيا، وكان يزور فيها السجون، ويتكلم مع المساجين، ويدعوهم إلى الإسلام. أسلم عددٌ منهم، وكان يصلي معهم صلاة الجمعة. وخلال فترة بقائه في تلك الدولتين، لم يدخل أية مطعم، ولم يأكل أيّ شيءٍ من مأكولاتهم، خشية الحرام. حتّى الجبن لم يأكله، بعد أن اكتشف أنّهم يستخدمون في صناعتها مادّة الرّنيت[1] أحيانا، ومصدرها الخنزير، أو أبقارٍ لم تُذبح حسب الشريعة الإسلاميّة.

---

(١) الرنيت: إنزيم يسمى المنفحة أو الإنفحة (Rennet) وهي: مادة بيضاء صفراوية تستخرج من كرش الحمل الرضيع أو الجدي (ميت أم مذبوح) أو من الخنزير. وإذا ظن أن الأجبان قد استعملت في تصنيعها مادة محرمة من الخنزير، أو مما لم يذكَّ فإنه لا يجوز استعمالها، لأنه بامتزاج تلك المادة النجسة بها تصير نجسة، ومحل هذا إن لم تكن تلك المواد قد استحالت قبل إضافتها إلى المواد الغذائية استحالة تامة. http://ar.wikipedia.org/

وإن كانت قد استحالت قبل إضافتها فقد قال كثير من أهل العلم بحليتها وهو مذهب الأحناف والظاهرية والمالكية في المشهور، وقالوا: إن الشرع رتب وصف النجاسة على حقيقة، والحقيقة تنتفي بانتفاء بعض أجزاء مفهومها فكيف إذا انتفت أجزاؤها بالكلية، وصوب هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، بل قال شيخ الإسلام: إن هذه الأعيان لم تتناولها نصوص التحريم لا لفظا ولا معنى، فليست محرمة، ولا في معنى المحرم فلا وجه لتحريمها، بل الذي يتناولها نصوص الحل، فالنص والقياس يقتضي تحليلها. وقال ابن القيم في إعلام الموقعين: ومن الممتنع بقاء الخبيث وقد زال اسمه ووصفه، والحكم تابع للاسم والوصف دائر معه وجودا وعدما، فالنصوص المتناولة لتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر لا تتناول الزروع والثمار والرماد والملح والتراب والخل لا لفظا ولا معنى ولا نصا ولا قياسا.ا.هـ.

وقال الشافعية والحنابلة وبعض المالكية: إنها باقية على حكمها ولو استحالت. وأما إذا لم تحصل معالجتها، أو حصلت، لكنها لم تحولها إلى مادة أخرى فإنها تبقى على أصلها، وهو النجاسة وحرمة الاستعمال، لأنه بامتزاج تلك المادة النجسة بها صارت نجسة، لأن كل مائع غير الماء الطهور =

عاد إلى الكويت عاملًا فيها بعد سنين الخبرة في الخارج، حيث عمل أخصائيًا في أمراض الجهاز الهضميّ في مستشفى الصباح[1]، في الفترة من ١٩٨٠م - ١٩٨٣م، ونشر العديد من الأبحاث العلمية والطبيّة في مجال

=

يتنجس بمجرد ملاقاة النجاسة. أما إذا كانت مجهولة الحال، أو المصدر، فالظاهر أنها مباحة، لعموم البلوى وجهالة الأصل، ولأن أغلب هذه المواد المصنعة تكون قد جرى عليها معالجة حتى تتحول عن أصلها، ولكن الأولى تركها والابتعاد عنها والاستغناء عنها بما لا يشك فيه، فقد قال النبي ﷺ : دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ. رواه الترمذي وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ، والنسائي وأحمد، وصححه الألباني .والقاعدة أن ما لا يتم ترك الحرام إلا بتركه فتركه واجب، وذكر السيوطي في الأشباه والنظائر قاعدة :إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام، وذكر من فروعها: لو اشتبه مذكى بميتة، أو لبن بقر بلبن أتان، أو ماء وبول لم يجز تناول شيء منها ولا بالاجتهاد. ا.هـ.

وقال ابن قدامة في روضة الناظر :وإذا اختلطت أخته بأجنبية، أو ميتة بمذكاة حرمنا الميتة بعلة الموت، والأخرى بعلة الاشتباه. انتهى. المصدر (الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د: وهبة الزحيلي، ج:٧، ص٢١١،٢١٠،ط:الرابعة، دار الفكر، سوريا، ت: بدون)

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة (٢٢/ ٢٦٣، ٢٦٤)

س: تدخل الأنفحة في صناعة الأجبان فهل تعتبر هذه الأجبان محللة لأن هذه الأنفحة تستخدم من أبقار أو عجول لم تذبح ذبحا شرعيا؟

ج: لا حرج عليكم في أكل هذه الأجبان ولا يجب عليكم السؤال عن أنفحتها فإن المسلمين ما زالوا يأكلون من أجبان الكفار من عهد الصحابة ولم يسألوا عن نوع الأنفحة.

ومن فتاوى اللجنة الدائمة (٢٢/ ٢٨١): إذا تأكد المسلم أو غلب على ظنه أن لحم الخنزير أو شحمه أو مسحوق عظمه دخل منه شيء في طعام أو دواء أو معجون أسنان أو نحو ذلك: فلا يجوز له أكله، ولا شربه، ولا الادهان به، وما يشك فيه: فإنه يدعه؛ لقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

(١) مستشفى الصباح، هو مستشفى عام يقع في منطقة الشويخ الصحية، افتتح المستشفى في ٢٠ يوليو/ ١٩٦٠م، يقدم المستشفى خدماته بشكل عام، لجميع سكان محافظة العاصمة بدولة الكويت، وهو يتبع من الناحية الإدارية منطقة العاصمة الصحية. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/

القولون، والفحص بالمنظار، لأورام السرطان[١].

وقد كان مع عمله طبيبًا في تلك الفترة، يحاول قدر المستطاع أن يعرف حاجات المريض، فيعطيه من وقته، ومن نصائحه، ومن ماله، ويتّصل بالجمعيّات الخيريّة، لكي تساعده إذا رآه محتاجا. فكان بلسمًا لمن يحتاج المساعدة والتطبيب. وكان يتطلّع ليقدم خدماتٍ علاجيّة وإغاثيّة خارج الكويت، وخصوصًا في إفريقيا، وحاول أن يكون لوزارة الأوقاف الكويتية دورٌ في ذلك[٢].

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شغوفًا بالعمل الخيريّ، محبا له. وكانت امرأته تنافسه في ذلك. لم يكونا شغوفين بجمع المال، أو التجارة! فهي تبرعت بكامل إرثها من أبيها، لأحد الأعمال الخيريّة، ولم تكن تملك في فترة بقائهم في شرق كندا سوى ثوبين، مع أنّها تستطيع امتلاك عشرات الثياب، وكانت تقول له دائما: «أنت لا تَصلُحَ طبيبًا»[٣].

---

(١) تقرير عن الداعية د. عبدالرحمن السميط، قناة الوطن الكويتية الفضائية، في ١/ ١/ ٢٠١٢م:

١- الفتحة بين البنكرياس والقولون. نشرت في مجلة الجمعية الطبية الكندية أبريل عام ١٩٧٨م.

٢- سرطان بقايا المعدة بعد جراحة القرحة الحميدة. بحث قدم في مؤتمر الكلية الملكية للأطباء في كندا. مدينة كويبك. فبراير ١٩٧٩م.

٣- الفحص بالمنظار للورم الأميبي بالقولون. نشر في مجلة منظار الجهاز الهضمي. عدد ٣/ ١٩٨٥م في الولايات المتحدة الأمريكية.

٤- دراسة أهمية المنظار الطارئ في حالات نزيف الجهاز الهضمي (تطبيقات في ١٥٠ حالة). بحث ألقي في مؤتمر الجهاز الهضمي في مستشفى مونتريال لعام ١٩٧٨م.

٥- فيتامين (B12) كعامل لعلاج سرطان الكبد (لم ينشر).

(٢) فيلم تسجيلي بعنوان: خادم الدعوة، قناة المجد لفضائية، تقديم: د. فهد السنيدي، يوم الإثنين: ١٢/ ١٠/ ١٤٣٤هـ.

(٣) برنامج صفحات من حياتي، قناة المجد الفضائية، ١٤٢٤هـ، تقديم: فهد السنيدي.

عرضت عليه أن يغادروا إلى خارج الكويت، ويذهبوا إلى أيّ بلدٍ من بلدان جنوب شرق آسيا، ليعملوا في الدّعوة إلى الله. فيعمل هو طبيبًا وداعيةً، وتعمل هي مدرسةً، ليستعينوا بذلك على أمور حياتهم. اقتنع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعرضها، وحاول بشتّى الوسائل والسبل، أن يجد طريقةً مناسبةً للذهاب إلى جنوب شرق آسيا، وإلى ماليزيا تحديدًا. فذهب إلى وزير الأوقاف الكويتيّ، وطلب منه أن يساعده في الذهاب إلى هناك، أو إلى أيّ بلدٍ آخر، فهو لا يعرف من أين يبدأ؟ وكيف يذهب؟

لم يجد الدكتور عبد الرحمن السميط أيّ تجاوبٍ من ذلك الوزير. ومع ذلك لم ييأس- فقد كان أهل الإحسان في الكويت يعرفونه ويثقون به- إلى أن هيأ الله له امرأةً[١] من الكويت، أعطته مبلغًا من المال، ليبني به مسجدًا، فأشار عليها أن تبنيه خارج الكويت في شرق آسيا، أو في إفريقيا[٢].

بدايته الفعلية:

في عام ١٩٨١م، ذهب إلى إفريقيا لبناء مسجدٍ في مالاوي[٣]، وتفاجأ بالحال

---

(١) هي موضي بنت برجس السور، زوجة الشيخ: جابر الأحمد الصباح، أمير الكويت الراحل.

(٢) برنامج زوايا، قناة الوطن الكويتية، ١٨/ رمضان/ ١٤٣٠هـ

(٣) جمهورية مالاوي: (بالإنجليزية: Republic of Malawi) هي: دولة حبيسة في جنوب شرق إفريقيا عرفت سابقًا باسم نياسالاند. تحدها زامبيا إلى الشمال الغربي وتنزانيا إلى الشمال الشرقي وموزمبيق من الشرق والجنوب والغرب. تنفصل البلاد عن تنزانيا وموزامبيق ببحيرة مالاوي. تتجاوز مساحتها ١١٨,٠٠٠ كم٢. بينما يبلغ تعداد السكان أكثر من ١٣,٩٠٠,٠٠٠ نسمة. عاصمتها ليلونغوي، وهي ثاني أكبر مدينة بعد بلانتيري. بينما الثالثة هي مدينة مزوزو. يأتي الاسم مالاوي من مارافي، وهو الاسم القديم لشعب نيانجا الذي يسكن المنطقة. تلقب البلاد أيضًا باسم «القلب الدافئ لأفريقيا». الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/ .

المأساوية التي يعيشها المسلمون هنالك، فبعضهم لا يعرف كم ركعةً يُصلّي الفجر، والبعض الآخر لا يحفظ الفاتحة، وإن حفظها، لا يتقن قراءتها. وبعضهم لم ير مصحفًا طوال حياته. والأدهى من ذلك والأمر، أنّه رأى أئمةَ مساجد يزنون في المسجد! ونظرًا لهذه المشاهد المؤسفة رأى رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يشعل شمعة في هذا الظلام الحالك، وألّا ينتظر غيره ليشعل هذا النور[١].

بدأ في الاتصال ببعض المؤسسات الخيرية في مالاوي، ووجد أن الشعب متعطش للإسلام. عقد فيها مؤتمرًا بعنوان: الشباب المسلم في مالاوي. ثم عاد إلى الكويت، وبدأ مع بعض أصحابه بالبحث عمن يساهم معهم في إغاثة المسلمين هناك، ويدعوهم إلى الله ويبصرهم بأمور دينهم- من المؤسسات الخيرية ورجال الأعمال المعروفين بالبذل والعطاء- فوجدوا منهم تجاوبا وتشجيعا أثلج صدورهم، ورأوا أن يشكلوا وفدا يذهب إلى مالاوي، ليتلمس حاجاتهم، ويعرف أحوالهم. فذهب الدكتور السميط ومعه فيصل المقهوي والدكتور إبراهيم الرفاعي إلى مالاوي حيث كان المؤتمر، وبدؤوا يتصلون ببعض الشخصيات والمؤسسات الإسلامية هناك، ووجدوا منهم التشجيع والقبول. عاد الوفد إلى الكويت وقدم تقريرًا لجمعية الإصلاح الاجتماعي، وإلى وزارة الأوقاف الكويتية، وإلى بيت التمويل الكويتي، ليجمعوا منهم التبرعات المالية، ثم عادوا إلى مالاوي وبدأوا بتأسيس لجنة سموها: لجنة مسلمي مالاوي، ثم تحولت بعد ذلك إلى: لجنة مسلمي إفريقيا، ثم إلى جمعية العون المباشر[٢].

---

(١) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تقديم: فهد المساعد، تاريخ: ١٩/ ٥/ ٢٠١١م.

(٢) لجنة مسلمي ملاوي: في بداية عمل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت تسمى جمعية العون المباشر بلجنة مسلمي ملاوي منذ أن تأسست اللجنة في عام ١٩٨١م، إلا أن الحاجة كانت في ملاوي وفي غيرها، فتم في =

استقر الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إفريقيا، وكرس كل جهده فيها. وكان يتنقل فيها من مكان إلى مكان، لا يكاد يستقر في مكان واحد أكثر من ثلاثة أيام، ويمضي من عشرة أشهر إلى أحد عشر شهرًا في السنة هناك، ثم يعود إلى الكويت.

أحس الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن وضعه مع عائلته أصبح يشكل عائقا له، فابنه الأصغر عندما يراه يهرب منه، لأنه لم يتعود على رؤيته معهم في البيت، فقرر أن يأخذ أهله معه في أوقات الإجازات- الربيعية والصيفية- وأن يشركهم معه في برنامجه الإغاثي والدعوي. حاول رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يدخل أولاده في بعض المدارس هناك، إلا أنه لم يفعل، لما رأى من تدنٍّ في المستوى الأخلاقي لتلك المدارس، فأعادهم إلى الكويت[١].

أثرت تلك الزيارات على عائلته، وعزم أولاده على أن ينهجوا نهجه، حينما رأوا بأم أعينهم آثاره الهائلة والعاجلة على أولئك المسلمين في تلك القارة المنسية.

استمر السميط يعمل في الدعوة إلى الله رغم تقدمه في السنّ، ولم يعقه كبر سنّه، وثقل حركته، وأقدامه، وإصابته بالسّكر، وبآلامٍ في قدميه، وظهره. إلاّ أنّه في أواخر سنواته، تدهورت حالته الصحيّة، وأصبحت غير مستقرةٍ، وأخذ يُعاني من توقّفٍ في

=

عام ١٩٨٤م تغيير الاسم إلى لجنة مسلمي إفريقيا، وبمرور الوقت تغير الاسم مرة ثالثة إلى جمعية العون المباشر في عام ١٩٩٩م والسبب في ذلك هو أن برامج اللجنة التنموية ومساعداتها وصلت للمسلم وغير المسلم. موقع جمعية العون المباشر http://direct-aid.org/cms/.

(١) برنامج صفحات من حياتي، قناة المجد الفضائية، ١٤٢٤هـ.

وظائف الكلى، وخضع لعنايةٍ مُركّزةٍ، في مستشفى مبارك الكبير[(١)]، واستمر على تلك الحال، حتّى توفي يوم الخميس ١٥ أغسطس ٢٠١٣م - رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة-[(٢)].

شارك في تأسيس ورئاسة جمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ١٩٧٦م، ولجنة مسلمي ملاوي في الكويت عام ١٩٨٠م، واللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة ١٩٨٧م، وهو عضوٌ مؤسّسٌ في الهيئة الخيريّة الإسلاميّة العالميّة[(٣)]، وعضوٌ مؤسّسٌ في المجلس الإسلاميّ العالمي للدّعوة والإغاثة[(٤)]،

---

(١) مستشفى مبارك الكبير: هو مستشفى عام يقع في منطقة الجابرية في محافظة حولي في دولة الكويت، وهو يتبع من الناحية الإدارية، منطقة حولي الصحية تم افتتاح المستشفى عام ١٩٨٢م. وترجع تسمية المستشفى بهذا الاسم للشيخ مبارك الصباح. يقدم المستشفى خدماته بشكل عام لجميع سكان محافظة حولي، ويقع في منطقة الجابرية وأيضا بعض التخصصات غير المتوفرة في المستشفيات الأخرى لجميع مناطق الكويت. يقدم المستشفى جميع الخدمات الطبية والجراحية بالإضافة إلى المهام التعليمية لطلبة كلية الطب والأطباء، وكذلك البحوث الطبية. ويقع بجانبه بنك الدم الكويتي. ويغطي مستشفى مبارك الكبير مناطق سكانية يبلغ مجموع تعدادها حوالي ٧٠٠.٠٠٠ نسمة. منظمة حولي الصحية : http://hawallyhealthregion.com/

(٢) برنامج ساعة حوار مع عبد الرحمن السميط، قناة المجد الفضائية، تقديم: فهد السنيدي ٨/ ٥/ ٢٠٠٨م.

(٣) الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية: هي هيئة مستقلة وواحدة من كبريات المؤسسات العالمية في الحقل الإنساني، تأسست الهيئة عام ١٩٨٤م، ذات أنشطة متعددة تقدم خدماتها للمحتاجين في مختلف المعمورة بدون تمييز أو تعصب، وبعيدا عن التدخل في السياسة أو الصراعات العرقية.

الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org.

(٤) المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة (International Islamic Council for) Da'wah and Relief) : هيئة إسلاميةٌ عالميةٌ، يضطلع بمهمة التنسيق بين جهود ما يزيد عن مائةٍ من الهيئات، والمنظمات الإسلامية الشعبية، والرسمية في العالم. موقع المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والاغاثة: www.islamic-councildr.com

وعضوٌ في جمعيّة النّجاة الخيريّة الكويتيّة[١]، وعضوُ جمعيّة الهلال الأحمر الكويتيّ[٢]، ورئيس تحرير مجلة الكوثر[٣] المتخصّصة في الشأن الأفريقي، وعضوُ مجلس أمناء منظّمة الدّعوة الإسلاميّة في السودان، وعضوُ مجلس أمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا في اليمن، ورئيس مجلس إدارة كليّة التّربية في زنجبار، ورئيس مجلس إدارة كليّة الشريعة والدّراسات الإسلاميّة في كينيا، ورئيس مركز دراسات العمل الخيريّ حتّى وفاته[٤]

---

(١) جمعية النجاة الخيرية الكويتية: تعتبر جمعية النجاة الخيرية من أولى جمعيات النفع العام التي تأسست بدولة الكويت في يوم الثلاثاء ٦ربيع الأول ١٣٩٨هـ. موقع جمعية النجاة الخيرية الكويتية: https://www.alnajat.com

(٢) جمعية الهلال الأحمر الكويتي (بالإنجليزيةKuwait Red Crescent Society) هي: جمعية تطوعية في دولة الكويت، تأسست في ١ ديسمبر ١٩٦٥م، ومقرها منطقة الشويخ. وفي شهر ديسمبر من السنة ١٩٦٥م، عقد مجموعة من رجالات الكويت اجتماعًا، لتأسيس جمعية الهلال الأحمر، وأقروا النظام الأساسي لقيام هذه الجمعية. ولم تدم الإجراءات الرسمية طويلا حيث وافقت الحكومة على إنشاء هذه الجمعية وتم إشهارها في ١٠ يناير ١٩٦٦م، وقد سهل توقيع الحكومة الكويتية على اتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩م، انضمام جمعية الهلال الأحمر الكويتي إلى الرابطة الدولية لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر التي عرفت فيما بعد باسم الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر. موقع جمعية الهلال الأحمر الكويتي: www.krcs.org

(٣) مجلة الكوثر: مجلة شهرية ثقافية تربوية متنوعة حول قارة إفريقيا وشعوبها، تعرض تقاليد القبائل الإفريقية وعاداتها الغريبة، والطبيعة الخلابة لهذه القارة- وذلك في عرض- لا يخلو من الطرافة والغرابة أحيانًا، هدفها تقريب العقلية العربية لمعرفة إفريقيا. قام بتأسيسها وإصدارها عبد الرحمن السميط من حسابه الخاص، وهو رئيس تحريرها حتى وفاته. مقرها الرئيسي في الكويت، ولها مكتب في الدمام. موقع جمعية العون المباشر http://direct-aid.org/cms/.

(٤) موقع جمعية العون المباشر http://direct-aid.org/cms/.

كما ساهم في تأسيس فروعٍ لجمعية الطلبة المسلمين، في مونتريال[(١)]، وشيربروك[(٢)]، وكويبك[(٣)] بكندا، بين العامين ١٩٧٤م و١٩٧٦م، ولجنة مسلمي إفريقيا عام ١٩٨١م، ولجنة الإغاثة الكويتيّة، التي ساهمت بإنقاذ أكثر من ٣٢٠ ألف مسلم من الجوع والموت في السودان، وموزمبيق، وكينيا والصومال، وجيبوتي، خلال مجاعة عام ١٩٨٤م.

وتولى أيضًا منصب أمين عام لجنة مسلميّ إفريقيا، منذ تأسيسها، والتي أصبحت أكبر منظّمة عربيّة إسلاميّة عاملةٍ في إفريقيا[(٤)].

---

(١) مونتريال مدينة كندية: وهي أكبر مدن مقاطعة كيبك وأكبر مدينة كندية حتى سنوات ١٩٧٠م، ومونتريال مدينة كندية تنافس تورونتو كأكبر مدينة في كندا، تقع في مقاطعة كيبك، وهي كبرى مُدن العالم المتحدثة بالفرنسية بعد باريس. يبلغ عدد سكانها ١،٠١٦،٣٧٦ نسمة. بينما يبلغ عدد سكان المنطقة الحضرية ٣،٣٢٦،٥١٠ نسمة. حوالي ثلثا السكان في مونتريال من ذوي الأصول الفرنسية، ويتحدثون الفرنسية. تعتبر مونتريال واحدة من أكبر موانئ العالم البحرية الداخلية، والمركز الرئيسي للنقل في كندا. وهي أيضًا مركز رئيسي للأعمال الصناعية والثقافة والتعليم الكندي. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/ .

(٢) شيربروك: مدينة فرنكوفونية في جنوب مقاطعة كيبك الكندية. تقع المدينة جنوب الضفة الجنوبية لنهر سان لوران جنوب شرق مدينة مونتريال. يبلغ عدد سكانها ١٤٧،٤٢٧ نسمة حسب التعداد العام للسكان عام٢٠٠٦م. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/ .

(٣) دينة كيبك أو كيبك سيتي:(بالإنجليزيةQuébec):هي العاصمة الوطنية لمقاطعة الكيبك، إحدى المقاطعات الشرقية بكندا، وعاصمة منطقة كابيتال- ناسيونال، ويوجد بها برلمان المقاطعة ومعظم المؤسسات الإقليمية أيضًا. أسوار المدينة القديمة مصنفة منذ ١٩٨٥م ضمن لائحة مواقع التراث العالمي من طرفاليونيسكو. وتعد اللغة الفرنسية هي اللغة الأم في الاستخدام مع تعدد اللغات لتعدد الجنسيات. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/

(٤) عبد الرحمن السميط يترجل عن جواده، عبد الله العلمي، مقال في صحيفة الاقتصادية، العدد (٧٢٥١)، الأحد/ ١١ شوال/ ١٤٣٤هـ.

المبحث الثاني:

علاقة العمل الإغاثيّ بالعمل الدّعويّ

لا شك أنّ هداية الجميع من المحال، ولذلك فإنَّ واجب الدعاة إلى الله تعالى الدأب في دعوتهم، وطلب أسباب هدايتهم، فمهمتهم البلاغ فحسب، والله يتولى حساب المعرضين في الآخرة، قال الله مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

قال القرطبي: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: أعرضوا عن النظر والاستدلال والإيمان؛ فإنما عليك البلاغ، أي: ليس عليك إلا التبليغ، وأما الهداية فإلينا»[1].

ولذلك فإن المسلم لا يصارع من ترك الهداية وأعرض عن أسبابها، لأنَّ حسابه على الله يوم القيامة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال له وللأمّة من بعده: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٥].

وبناء على هذا فقد كرّم الله الجنس البشري على سائر مخلوقات الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

---

(١) الجامع لأحكام القران للقرطبي، ج١٠، ص١٦١.

وأكد نبينا ﷺ على احترام النفس الإنسانية، ففي الخبر أنّ سهل بن حنيف وقيس بن سعد كانا قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي؟! فقال: «أليست نفسًا»[(١)].

وعليه فالإنسان يختار ما يشاء من المعتقد، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والله يتولى في الآخرة حسابه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

قال ابن كثير: «أي: لا تُكرِهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بَيِّن واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنّه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا»[(٢)].

وقد امتثل سلفنا هدي الله، فلم يلزموا أحدًا بالإسلام إكراهًا، ومن ذلك أنّ عمر بن الخطاب قال لعجوز نصرانية: أسلمي تسلمي، إنّ الله بعث محمدًا بالحق قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت أقرب إليّ! فقال عمر: اللهم اشهد. وتلا: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦][(٣)].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، رقم (١٢٤٩).

(٢) تفسير القران العظيم لابن كثير، ج١، ص٤١٦.

(٣) المحلى لابن حزم، ج١١، ص١٩٦.

وقد أمر الله في القرآن الكريم المسلمين ببر مخالفيهم في الدين، والذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

قال الطبري: «عنى بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم... وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يقول: إنَّ الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم»[(١)].

والبر أعلى أنواع المعاملة، فقد أمر الله به في باب التعامل مع الوالدين، وقد وضحه رسول الله ﷺ في قوله: «البر حسن الخلق»[(٢)].

وقد تجلى حسن الخلق عند المسلمين في تعاملهم مع غيرهم في كثير من تشريعات الإسلام، التي أبدعت الكثير من المواقف الفياضة بمشاعر الإنسانية والرفق، فقد أوجب الإسلام حسن العشرة وصلة الرحم حتى مع المخالف في الدين، وقد أمر الله بحسن الصحبة للوالدين وإن جاهدا في رد ابنهما عن التوحيد إلى الشرك، فإنَّ ذلك لا يقطع حقهما في برّه وحسن صحبته: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

قال ابن كثير: «إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك أن تصاحبهما في الدنيا ﴿مَعْرُوفًا﴾ أي: محسنًا إليهما»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري، ج٢٣، ص٣٢٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم (٢٥٥٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٤٤٦.

وقد جاءت أسماء بنت الصديق إلى رسول الله ﷺ تقول: يا رسول الله، قدمت عليَّ أُمِّي وهي راغبة، أفأَصِلُ أُمِّي؟ فأجابها ﷺ: «صِلِي أُمَّك»[١].

ومن أعظم أنواع البر وصوره دعاءُ النبي ﷺ لغير المسلمين، وهو بعض رحمته ﷺ للعالمين، ومنه دعاؤه لقبيلة دوس، وقد قدم عليه الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إنَّ دوسًا قد كفرت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، فقال ﷺ: «اللهم اهد دوسًا، وائت بهم»[٢].

وإذا عرفنا أنَّ دافع العمل الإغاثيّ هو الإحسان إلى الناس، امتثالا لأمر الله تعالى في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. فإنَّ من صور الإحسان إلى الناس: الإحسان إليهم بدعوتهم إلى الله تعالى، وإلى دينه الذي ارتضى لهم، قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، رقم ٥٦٣٤.

(٢) صحيح مسلم « كتاب فضائل الصحابة «باب من فضائل غفار، وأسلم، وجهينة، رقم ٤٥٩٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم٥٥.

والإحسان يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به، إتقان من يعلم علم اليقين أنّ الله عَزَّوَجَلَّ ناظر إليه مطّلع على عمله، وبهذا الإتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات(١) .

وسيأتي الباحث على تعريف الإحسان، والنصوص الدّالة على الإحسان إلى جميع الخلق من الكتاب والسنة ومواقف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الإحسان في اللغة: الإحسان ضد الإساءة، وهو كل مرغوب فيه، وكل ما يسر النفس من نعمة تنال الإنسان في بدنه ونفسه، وأحواله والإحسان: الإتقان وإجادة الصنع، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧](٢) .

وفي الاصطلاح: قال الرَّاغب: الإحسان: فعل ما ينبغي فعله من المعروف، وهو ضربان: أحدهما: الإنعام على الغير، والثّاني: الإحسان في فعله، وذلك إذا علم علما محمودا، وعمل عملا حسنا، ومنه قول عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النّاس أبناء ما يحسنون، أي: منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون(٣) .

وقال الكفويّ: الإحسان: هو فعل الإنسان ما ينفع غيره، بحيث يصير الغير حسنا به، كإطعام الجائع، أو يصير الفاعل به حسنا بنفسه، فعلى الأوّل: الهمزة في أحسن للتّعدية وعلى الثّاني للصّيرورة(٤) .

«ويأتي الإحسان على درجات متعدّدة، أعلاه: ما كان في جانب الله تعالى، ممّا فسّره النّبيّ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه

---

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، ص١٩٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ص ٢٦٢.

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني، ص ١١٩.

(٤) الكليات للكفوي، ص(٥٣).

يراك»[١]، ودونه التّقرّب إلى الله تعالى بالنّوافل، وتأتي بعد ذلك مراتب أخرى للإحسان سواء في القصد والنّيّة، أو في الفعل، والإحسان في النّيّة يعدّ أمرا مهمّا، إذ لابدّ أن تنقّى تنقية سليمة وافرة، أمّا الإحسان في الفعل (أي: في المعاملة مع الخلق) فيكون فيما زاد على الواجب شرعًا، ويدخل فيه جميع الأقوال والأفعال ومع سائر أصناف الخلائق إلّا ما حرّم الإحسان إليه بحكم الشّرع»[٢].

وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تأمر بالإحسان وترغّب فيه، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ج:١، رقم ٥٠.

(٢) نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، ج:٢، ص٦٧.

وربط الله في كتابه الكريم قضية الإيمان به سبحانه وتعالى بقضية الإحسان إلى الخلق، وانتفاء الإيمان بانتفاء الإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣].

وربط عَزَّوَجَلَّ في آياتٍ كثيرةٍ حقّه سبحانه مع حقوق الخلق، ليتحقق الإيمان به سبحانه، وتتحقق التقوى له، قال تعالى في وصف المتقين: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣].

ورتّب الله تعالى على الإحسان إلى الخلق أجرًا عظيمًا، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه، ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾»[(١)].

وقال الرسول ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى، رقم (١٨١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، رقم (١٩٥٥).

وقال الرسول ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[١].

وفي سيرته ﷺ آثار كثيرة للإحسان إلى الناس جميعا، مهما اختلفت معتقداتهم، اقتداء بما أمره الله به في كتابه العزيز، ومن ذلك:

١- زيارته ﷺ لمرضى المشركين: «أَنَّ غُلَامًا لِيَهُودَ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ: أَسْلِمْ. فَأَسْلَمَ»[٢].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرسول ﷺ بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، فإنَّه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم»[٣].

قال ابن حجر: «وفي الحديث جوازُ استخدام المشرك، وعيادته إذا مرض، وفيه حُسن العهد، واستخدام الصغير، وعرض الإسلام على الصبي...»[٤].

٢- الدعاء لهم بالهداية والصلاح: عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم: يرحمكم الله، فكان يقول: يهديكم الله ويصلِح بالكم».

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، ج:١، رقم ٩٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة المشرك، ج٧، رقم (٥٦٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج١٦، ص٣١٣.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ج ٣، ص٢٢١.

قال المباركفوري: «ولا يقول لهم: يرحمكم الله؛ لأَنَّ الرَّحمَة مختصَّةٌ بالمؤمنين، بل يدعو لهم بما يُصلِح بالهم من الهداية والتَّوفيق والإيمان»[١].

٣-حسن الجوار لهم: قال رسول الله ﷺ: «مَا زَالَ جبريلُ يُوصِيني بالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُورِّثُه»[٢].

وقد ورد عن الصحابيُّ الجليل عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن مجاهد قال: «كنتُ عند عبد الله بن عمرو، وغلامُه يَسلَخ شاةً، فقال يا غلام: إذا فرغت فابْدَأ بجارِنا اليهوديِّ، فقال رجلٌ من القوم: آليهوديَّ أصلحك الله! قال: سمعت النبيَّ ﷺ يُوصي بالجار، حتى خَشِينا أو رُئينا أنَّه سيوَرِّثه»[٣].

٤-عدم لعنهم: ومن سيرته ﷺ عدم لعن الكفَّار، والحرص على دعوتهم واستقامتهم، فعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله! ادْعُ عَلَى المشرِكِينَ، قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[٤].

هذه بعض صور الإحسان التي يمكن للدّعاة إلى الله استغلالها مع غير المسلمين، ممّا دل عليه الكتاب والسنة، وذلك بهدف تحبيب الإسلام إليهم وترغيبهم في الدخول فيه.

وممّا تقدّم نعرف أنّ هناك علاقة تكامليّة وطيدة بين العمل الإغاثيّ والعمل الدّعويّ، فالعمل الإغاثيّ مُمارسة ارتبطت بالإحسان إلى الخلق، عند

---

(١) تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ج٨، ص١٠.

(٢) صحيح الأدب المفرد للألباني، باب الوصاة بالجار، رقم ٤٦.

(٣) صحيح الأدب المفرد للألباني، باب جار اليهودي، رقم ٦٢.

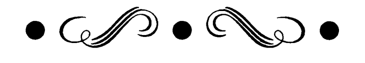
(٤) صحيح الأدب المفرد للألباني، باب لعن الكافر، رقم ١٣٤.

كلّ الناس، منذ بداية الخلق، ولكنّه يختلف في حجمه، وشكله، ودوافعه من مجتمعٍ إلى آخر، ومن فترةٍ زمنيّةٍ إلى أُخرى.

وهذا العمل ينبع من الإنسان، الذي يُعتبر وسيلته الأساسيّة، كما أنّه يهدف في الوقت ذاته إلى: الارتقاء به، في جميع الميادين الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والصحيّة، والثقافيّة. ومن المُسَلّم به أنّ العمل الدّعويّ يشارك العمل الإغاثيّ في حجمه، وشكله، ودوافعه، ويقوم على الجُهد البشريّ، وهو ما يستلزم وضع الخطط الواضحة والمحدّدة، ووجود الإنسان الواعي، القادر على المشاركة فيه. فكلاهما مُكمّلان لبعضهما، ويهدفان إلى مقصدٍ واحدٍ، وهو: الإحسان والتأثير والتّغيير. وقد أصبح العمل الإغاثيّ ركيزةً أساسيّةً في بناء المجتمع، ونشر التّماسك الاجتماعيّ بين المواطنين، لأيّ مجتمعٍ، يَقِلّ في فترات الاستقرار والهدوء، ويزيد في أوقات الكوارث والنّكبات والحروب[1].

---

(١) ندوة الوفاء/ العمل الإغاثي. الرسالة والأثر. د/ صالح الوهيبي.٧/ ٤/ ١٤٣٣هـ. موقع الإسلام اليوم،http://muntada.islamtoday.net / .



الفصل الأول

وسائل وأساليب العمل الإغاثيّ عند الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ



وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وسائل العمل الإغاثي عند الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الثاني: أساليب العمل الإغاثي عند الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الأول:

وسائل العمل الإغاثيّ عند الدكتور عبدالرحمن السميط

الوسائل والأساليب الدّعويّة من المسلّمات الثابتة، التي لا يمكن الاستغناء عنها، إذ لا يُتصور أبدًا قيام أيّ دعوةٍ، أو تحقيق أيّ هدفٍ، دون استخدام الوسائل والأساليب الموصلة إليه، وقد استخدم رسول الله ﷺ وسائل متاحةً في عصره فبعث الرّسل، واستقبل الوفود، وأرسل الرسائل، وجاهد في سبيل الله، كما استخدم أساليب أخرى، فحاور وجادل، ورغّب ورهّب.

ولهذا فإنَّ الدَّاعيّة إلى الله مطالبٌ شرعًا باستخدام الوسيلة الشرعيّة المناسبة، التي يوصل من خلالها دعوته إلى المدعوين، «وبما أنّ مقصود الدّعوة الإسلاميّة هداية الناس، وتحقيق المصالح لهم، فكلّ وسيلةٍ تؤدي إلى هذا المقصود، وتحققه، دون أن يعارضها نهيٌ شرعيٌّ فإنّها تكون في دائرة المشروعيّة والاعتبار»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الدَّاعي الذي يدعو غيره إلى أمرٍ، لا بُدّ فيما يدعو إليه من أمرين:

أحدهما: المقصود والمراد.

والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود»[(٢)].

لذا فإنّ من اللوازم المتعينة على الدّاعية إلى الله، أن يحدد الوسيلة التي يوصل بها دعوته إلى المدعو.

---

(١) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص٣٤٣.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، المجلد ١٥، ص١٦٢.

تعريف الوسيلة لغة:

هي الدّرجة، والقربة، وتأتي بمعنى المنزلة عند الملك[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «توسلتُ أي: تقربتُ، وتطلق على المنزلة العليّة»[(٢)].

والوسيلة في مجال الدّعوة إلى الله تعالى هي: «ما يستعين به الدّاعي على تبليغ الدّعوة إلى الله، على نحوٍ نافعٍ مثمر»[(٣)]. وقيل هي: «ما يتوصل به الدّاعية إلى تطبيق مناهج الدّعوة، من أمورٍ ماديّةٍ ومعنويةٍ»[(٤)].

وفي رأي الباحث أنَّ الوسيلة هي: كلّ ما يستعين به الدّاعية على تبليغ دعوته، وتوصيلها إلى المدعوين، بشكلٍ واضحٍ ومناسبٍ.

ومن هنا نجد أنَّ الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل الإغاثة مدخلًا للدعوة، سواء بطريقة مباشرة، أو غير المباشرة، ممّا مكّنه من نشر دعوته على نطاقٍ واسعٍ، في القارة الإفريقيّة، من خلال الجمعيّة التي أنشاها - لجنة مسلمي إفريقيا- والتي عُرفت لاحقا باسم: «جمعية العون المباشر».

وبالتالي تغير مفهوم الدّعوة من دلالات المصطلح التقليديّ، إلى فهمٍ شاملٍ للنهوض بالمجتمعات المسلمة في القارّة السمراء؛ ولهذا فإنّ الجمعية مسجلةٌ منذ نشأتها عام ١٩٨١م في الأمم المتحدة، كهيئةٍ إغاثيّة تعمل في ٤٠ دولة إفريقية.

---

(١) لسان العرب، ج١، ص(٢٢٢).

(٢) فتح الباري، ج٢، ص٩٥.

(٣) أصول الدعوة، ص٤٤٧.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، ص٢٨٢.

تبلورت نظرة الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الدّعوة الإسلاميّة منذ السنوات الأولى لعمله الإغاثيّ في إفريقيا، فلم تكن جامدةً في قوالب واحدةٍ، وإنّما تنوّعت بما يناسب كلّ منطقةٍ، حتّى إنّه في المنطقة الواحدة يستخدم أكثر من وسيلةٍ، نظرًا إلى التنوع الهائل في أوضاع المسلمين، وغير المسلمين في تلك المناطق، ومن تَتَبّع الباحث لوسائل الدّعوة إلى الله عند الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجد أنه استخدم الوسائل التالية:

أولاً: الإغاثة:

يهدف برنامج الإغاثة العاجلة إلى تقديم العون الإنسانيّ، والإغاثيّ الطارئ، لضحايا الكوارث الطبيعية، التي تجتاح بعض مناطق إفريقيا، مثل: الفيضانات، والسيول الجارفة، والجفاف، وغيرها من المآسي الطبيعية، وكذلك النكبات التي يصنعها بنو البشر، مثل الحروب الأهلية، والصراعات الطائفية، والقبلية، وذلك لتضميد جروح المنكوبين، ومداواة المصابين.

وبفضل الله تمكّن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تأمين اللاجئين في مخيماتٍ وضعها خصيصًا من أجلهم، لتسهيل وصول المساعدات إليهم، مع إضافة كوادر بشريّةٍ، نذرت نفسها لمثل هذه الحالات، تتجشّم الصعاب، ولا تأبه بما يصادفها من أخطارٍ ومشاقٍ، وجعلت نصب أعينها مساعدة بني البشر، أينما كانوا، ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى[1].

---

(١) دليل إدارة مراكز الإغاثة في مناطق الكوارث، ص٤٣.

ومن الأهداف التي وضعت لمثل هذه البرامج:

١- تقديم المساعدات العاجلة لمنكوبي الحروب الأهليّة، والكوارث الطبيعيّة في جميع إفريقيا.

٢- رعاية اللاجئين، والمهاجرين، والنازحين إغاثيًّا، وصحيًّا، وتعليميًّا، ومعنويًّا.

٣- إيجاد السُّبل والوسائل للوصول إلى المتضررين في أسرع وقتٍ ممكنٍ.

٤- التعاون مع كلّ الجهات العاملة في حقل الإغاثة العاجلة، لتركيز الجهود وتقليل التكلفة.

٥- التخفيف من معاناة المصابين، بالوقوف إلى جانبهم، ومدّ يد العون لهم.

٦- نقل وقائع اللاجئين، والنازحين لإعطاء صورةٍ حيّةٍ للمتبرع الكريم، للوقوف على مدّ يد العون لإخوانه[١].

وقد تم وضع المعايير الخاصة بالاحتياجات الإغاثيّة، وتصنيفها وفقًا لحاجة كلّ منطقةٍ وما يلائمها، ومتابعة التبرعات العينيّة الواردة، وعمل الدّراسة لشحنها للدول المتضررة والفقيرة، حسب الاحتياج الفعليّ، مع ضرورة أخذ المعايير والضوابط اللازمة لعملية الشحن بأنواعه، وكذلك الإشراف على واردات ومصروفات مستودعات التبرعات العينيّة، وتقديم تقرير عن حالة تلك المستودعات، والإشراف على عملية الشحن، بالتنسيق مع الشركات والمؤسسات الخاصة بالشحن والتخليص الجمركي، وإنشاء مخيّمات اللاجئين والنازحين والمتضررين، وتلبية احتياجاتهم الأساسية، وفق الإمكانيّات المتاحة.

---

(١) مقابلتي للدكتور: عبد الله السميط، رئيس جمعية العون المباشر، يوم الإثنين: ٢٥/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

وكذلك التنسيق بين البرنامج الإغاثيّ، والمكاتب المحليّة والخارجية، للمشاركة في تنفيذ الحملات الإغاثية المستمرة، مع إيفاد المندوبين إلى المناطق المتضررة، للإشراف الميدانيّ على تنفيذ برامج الإغاثة العاجلة لصالح المتضررين، وإعداد التقارير الخاصة بالتنفيذ، وتعميمها على الجهات ذات العلاقة، وتأكيد التواجد ميدانيًّا، والمشاركة في دورات الطوارئ المختلفة، لتنمية ورفع قدرات المنتدبين، لتقديم خدماتٍ إغاثيّةٍ على أعلى المستويات، وبالطرق الحديثة، والتنسيق مع المنظمات الإغاثيّة والهيئات الدولية، في تقديم الإغاثة العاجلة للمتضررين، وعقد الاتفاقيات مع المنظمات الدولية، للمشاركة في تقديم الخدمات الإغاثية، وتنفيذها وفق الاتفاق المبرم بين الطرفين.

وأخيرًا نقل الصورة الحقيقية لما يُقدّم للمستفيدين، للمتبرع الكريم، وذلك للحصول على المزيد من الدّعم للاجئين، والنازحين.

وقد ظهر ذلك واضحًا في كارثة القرن الإفريقيّ، التي حدثت عام ٢٠١١م، وهي أسوأ كارثةٍ إنسانيّةٍ حدثت في إفريقيا منذ أكثر من ٦٠ سنة، فالجفاف الصحراويّ هدّد ١٠ مليون نسمة في الصومال، وجيبوتي، ومقديشو، والسودان، وتشاد، وكينيا، وحوالي مليونين شخص مصابون بالمجاعة في الصومال، بسبب ندرة الماء والغذاء، وكثرة النزاعات والحروب هناك، لعدم تساقط الأمطار لأربعة مواسم متتالية، وهم يعتمدون عليها كليًّا - بعد الله- في معيشتهم، وقد سارع السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبر مكاتبه المنتشرة في تلك المناطق، لمدّ يد العون والمساعدة للنازحين، والأسر الفقيرة، ووقع اتفاقيةً مع اليونيسيف بمبلغ قدره ١٥ مليون دولار، وهو عبارة عن مساعداتٍ إغاثيّةٍ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه

من هؤلاء الجوعى والمصابين، الذين يسعى أن يدركهم وهم أحياء؛ لأنّ كثيرًا منهم أطفالا، وشيوخا، وحوامل، ومرضعات، وهم الفئة الأكثر تضررا، فصرف لهم سلاّتٍ غذائيةً تحتوي كلّ سلّةٍ منها على: سكرٍ وزيتٍ ودقيقٍ وماء، وهي وجبةٌ غذائيّةٌ متكاملةٌ، تسدّ حاجاتهم، وتكلف كلّ وجبةٍ منها ريالين سعوديين، وبعد أسبوعين ترتدّ للشخص صحته، وينجو بإذن الله، وهذه المؤونات الغذائية تكفيهم لمدّة شهرين[1].

اكتشف الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوضاعًا مرعبةً للمسلمين في إفريقيا، فشعر بأنّه إذا لم يدعمهم في مجالاتٍ معينةٍ من التنمية الاجتماعيّة، فسيكون عندئذٍ كمن يُمارس نوعًا من النفاق؛ لأنّه من غير المتصور أن يساهم في تذكير المسلمين بدينهم، ودعوة غير المسلمين إلى هذا الدين، بينما هم يتضوّرون جوعًا، وتموت نسبة مرتفعة جدًا من أطفالهم، بسبب سوء التغذية، أو بسبب الأمراض المنتشرة[2].

ويذكر الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّه عندما زار إحدى القرى بإثيوبيا، وجد أشكالًا وألوانًا من الأطفال، وهم هياكل عظميّةٍ، تمشي على قدمين، بعضهم يستطيع أن يمشي، وبعضهم يحبو حبوًا، وعمره عشر سنواتٍ، أو ثنتا عشرة سنة، ولا يستطيع المشي على قدميه، وأغلبهم لم يأكل منذ ثلاثة أو أربعة أيام[3].

---

(١) قصص مؤثرة عن مجاعة الصومال رحلة السميط، بتاريخ ٣٠-٦-٢٠١١، موقع جمعية العون المباشر. http://direct-aid.org/cms/.

(٢) محاضرة بعنوان: الدعوة في إفريقيا، صفحة الشيخ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات، http://www.islamweb.net/

(٣) رسالة إلى ولدي، د/ عبد الرحمن السميط، ص٢٠.

«وذات مرةٍ ذهب مع زوجته وأولاده إلى إحدى القرى، ودخل على كوخٍ من الأكواخ، ووجد أنّ الأم ومعها أطفالها وأقاربها لم يأكلوا أيّ شيءٍ على الإطلاق، منذ ثلاثة أيام، بسبب الجفاف، فذهبت إحدى بناته إلى السيارة لتجلب كيسًا من الدقيق، ففوجئ بأنّ المرأة صُدمت، واستغربت أن يعطيها الدقيق، فقالت: لماذا هذا؟ فقال لها لأنك ما أكلتِ منذ ثلاثة أيام أنت وأولادك، قالت نحن أغنياء، الحمد لله، في الكوخ الذي خلفنا أناسٌ لم يأكلوا منذ ثمانية أيام!»[١].

وإذا كانت الدّعوة الإسلاميّة عامّةً لكلّ الناس، فإنّ العدل والقسط مع الآخرين -من غير المسلمين- أمرٌ واجبٌ، وضرورةٌ حتمية لتبليغهم دين الله ودعوتهم إليه، ومن هذا المنطلق لم يمنع طالبا مسيحيًّا كان أو وثنيًّا من دخول مدارسه، أو الشرب من مياه الآبار التي حفرها، أو تلقّي العلاج في مستوصفاته التي أقامها هناك، وقد تبيّن أنّ هذه المعاملة الإنسانيّة القائمة على عدم التفرقة بينهم وبين المسلمين والحرص على معاملتهم بالحسنى كانت سببًا في إسلام الآلاف منهم[٢].

ولا غرابة في ذلك فالإسلام أمر بمعاملة الناس جميعا بالعدل والرحمة، وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ بالعدل بين الناس جميعًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وتلقى محمد ﷺ الآيات فقام بها أتم قيام، فالأمر كان بالعدل بين الناس جميعًا دون النظر إلى ذواتهم أو أجناسهم أو دينهم أو حسبهم؛ فالكل سواسية

---

(١) حقيبة مسافر، د/ عبد الرحمن السميط، ص٣١.

(٢) برنامج: زيارة خاصة، لقاء مع قناة الجزيرة، تاريخ: ٢/ ٦/ ٢٠٠٧م.

حتى لو كان صاحب الحق ظالمًا للمسلمين، فلابد من إعطائه حقه، وأمر القرآن الرسول محمدًا ﷺ أن يحكم بالعدل إن جاءه أهل الكتاب يحكّمونه بينهم: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

ونهى محمد ﷺ عن تعذيب أي نفس ولم يشترط فيها الإسلام؛ فقال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يُعذِّب الذين يعذبون الناس في الدنيا»[(١)].

إن التعايش والتفاهم والتعاون بين الخلق أمر تحتاجه الإنسانية حاجة ماسة، وقد أمر محمد ﷺ في رسالته بالرحمة في كل جوانبها، وحسن التعامل بشتى وجوهه، يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، وفسر القرافي البرّ في هذه الآية بقوله: «هو الرفق بضعيفهم، وسد خَلَّة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم ولين القول لهم - على سبيل التلطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار، مع القدرة على إزالته، لطفًا بهم، لا خوفًا، ولا طمعًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يُجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، رقم ٢٦١٣

(٢) الفروق للقرافي، ج٣، ص٢١.

ثانيًا: بناء مراكز إسلاميّة متكاملة:

بناء على ما سبق ذكره من أوضاع سيئة يعيشها الأفارقة عمومًا، تبلورت فكرة بناء هذه المراكز متعدّدة التخصصات، وهي عبارةٌ عن مجموعةٍ من المشاريع: مدرسةٌ، ودار أيتامٍ، ومستوصفٌ، ومركزٌ لتأهيل النساء، ثمّ أضيف لها مراكز للكمبيوتر، ومشاريع تنمويّة صغيرة، مدرةٌ للدخل خلال النصف الثاني من التسعينات.

وهذه المراكز الإسلاميّة تهدف إلى: دعم البرنامج الدّعويّ -على المدى الطويل- والذي يستهدف منطقةً معينةً، أو قبيلةً معينةً، ينطلق معهم من الدّعوة إلى التنمية، ثم يعود لينطلق من التنمية إلى الدّعوة، في حركةٍ متكاملةٍ لا ينفكّ بعضها عن بعض، نظرًا لأنّ حاجات الإنسان متنوعة.

كما تهدف هذه المراكز إلى تثبيت مَنْ مَنّ الله عليهم بالإسلام، فقد اكتشف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المعضلة الكبرى التي يواجهها، لا تكمن في محاولة إقناع غير المسلمين بالإسلام، بل في متابعة المهتدين منهم حتّى يشتدّ عودهم الإيمانيّ، ويثبتوا على عقيدتهم ثباتًا قويًا، ذلك أنّ نسيانهم أو إهمالهم بعد وضعهم على طريق الإسلام قد يجعلهم فريسةً لذئاب التنصير، فيضلون بعد إيمانهم، ومن هنا تظهر جسامة المسؤولية الملقاة على كاهله، وحجم العمل الدّعويّ المطلوب منه.

وفي سبيل ذلك حرص الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إقامة المراكز الإسلامية المتكاملة في المواقع المناسبة، ليمارس من خلالها نشاطه الدّعويّ، وحاول مجتهدًا في أن يشمل كلّ رقعةٍ جغرافيّةٍ يصل إليها؛ ليحقق بذلك نشر دعوته بين غير

المسلمين من جهة، ويتابع أوضاع المهتدين الجدد من جهةٍ أخرى[(١)].

ولعلّ في بعض المواقف التي تعرض لها، لعبرة ودلالة على الحاجة الملحة إلى السعي الحثيث وراء المهتدين، أو من يلمس منهم الاستعداد لقبول دعوته وقبول هذا الدين، ومن هذه المواقف قصة أحد الوثنيين، حينما أبدى استعداده لاعتناق الإسلام، وشهد بذلك أمام أبناء قريته، ولكنّه أجّل النطق بالشهادتين إلى حين بزوغ هلال الشهر الجديد، التزامًا بالعادة التي توجب عليهم اتخاذ القرارات المصيريّة في أوائل الأشهر القمريّة لا في أواسطها أو أواخرها، وكذلك قصة شابين نصرانيين من المذهب البروتستانتيّ، يدرسان في المرحلة الثانوية، وينتميان إلى واحدةٍ من القبائل التي تجمع في عبادتها بين النصرانيّة والوثنية، دعاهما إلى الإسلام فاعتذرا بسبب توقّف الكنيسة عن دفع الرسوم الدّراسيّة لهما، إذا علمت بإسلامهما[(٢)].

وسأذكر مثالًا لأحد هذه المراكز الإسلامية، على سبيل التوضيح بمحتوياتها، وما تقدم من خدماتٍ جليلة للناس هناك، وهو مركز الفاروق الإسلاميّ في تنزانيا:

أولاً: مرافق المركز:

عبارةٌ عن مبنى يتكون من طابقين، يشتمل على مكاتب إدارية، وستّ شققٍ سكنيّةٍ، للمسؤولين و الإداريين في مكتب اللجنة والمركز، ودار ضيافةٍ تتكون من أربع غرفٍ، وصالةٍ، ومطبخٍ، ومرافقٍ، ويضمّ مركزًا صحيًّا متكاملًا، يُقدِّم خدمةً

---

(١) مجلة البيان، حوار مع د/ عبد الرحمن السميط، العدد(٨٠)، ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

(٢) مجلة حياة، ملف أوراق متناثرة، د: عبد الرحمن السميط، العدد (٦٩)، محرم ١٤٢٧هـ.

صحيّةً خلال الأربع والعشرين ساعة، وهو مركزٌ متميزٌ في خدماته الصحيّة، التي يقدمها لأهل المنطقة، ويُدرّ عائدًا ماليًّا جيّدًا للمركز، وفيه عمارتين، كلٌّ منهما تتكون من ثلاث طوابق، وبجانبهما خمس وحداتٍ، كلها فصولٌ دراسيّةٌ للمراحل التعليمية الثلاثة «الإبتدائية والمتوسطة والثانوية»، يضم خمس وحداتٍ سكنيّةٍ للطلاب، وخاصةً الأيتام، ومعهم غيرهم ممّن يسكنون داخليًا - غير الأيتام -، وفيه مسجدٌ يتكون من طابقين، يتسع لـ ١٥٠٠ مصلٍّ مع الساحة، وفيه مبنيان لسكن مشرفي الأيتام والدّعاة[١].

ثانيًا: الطلاب:

عدد الأيتام قرابة ١٥٥ يتيمًا، وكلّهم ذكورٌ، وعدد طلاب الإبتدائية قرابة ٤٠٠ طالبٍ وطالبةٍ، وعدد طلاب المتوسطة ٢٥٠ طالبا وطالبة، وعدد طلاب الثانوية ١٨ طالبا وطالبة[٢].

ثالثًا: التربية والتعليم:

المركز يهتمّ بالتربية الدينية والتعليمية، حيث يذهب الطلاب مع الأذان من صلاة الفجر فيصلون جماعةً، وهكذا بقية الصلوات الخمس، ومن يتأخر منهم فإنه يُؤدب من قبل المشرفين، وجُعل لكل مجموعة زيًا رسميًا تتميز عن غيرها، فلليتامى زي خاص، ولطلاب المتوسطة زي خاص أيضا، وللكبار من الطلاب كذلك، المؤذن من الطلاب والإمام أيضا، إلا صلاة الفجر، فيؤمهم مدير الرّعاية الدّعويّة في مكتب اللجنة[٣].

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (١٦٧)، يونيو ٢٠١٤م.

(٢)مجلة الكوثر، العدد (١٦٧)، يونيو ٢٠١٤م.

(٣) المرجع السابق.

ثالثًا: التعليم:

كان للتنصير الذي دخل إلى إفريقيا عن طريق الاستعمار، وحركات الكشوف دورٌ كبيرٌ في تخلّف الأفارقة، فمن لم يتنصّر منهم فإنّه لا حظّ له في التعليم، أو في المال، ولذلك كان المسلمون في تلك البلاد يقتصرون على التعليم البدائي (الكتاتيب)، وأكثرهم غير متعلمين، «ففي منطقة مكلوندي في جنوب النَّيجر، يوجد ٢٠٠ ألف نسمة، نصفهم مسلمون، لا يعرفون الصَّلاة، ولا الصوم، بل لا يعرفون شهادة أنْ لا إله إلَّا الله»[١].

وتفاجأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدم وجود خرِّيج مسلم واحد في مالاوي كلها، وكانوا هناك يسمُّون المسلمين: الأسالي، ومعناها «الرَّجُل المتخلِّف»[٢].

أمام هذا الوضع المأساويّ جعل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ همّه الأول في إفريقيا التعليم، وجعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ منه الوسيلة الأساسية في عمله الإغاثيّ والدّعويّ، ويتّضح ذلك من جوابه على هذا السؤال: «ما هي باختصار استراتيجيَّة خُطَط عملكم في إفريقيا؟ فقال الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التعليم ثم التعليم ثم التعليم»[٣].

كانت إسهاماته في تعليم أبناء الأفارقة أكبر من أيّ إسهاماتٍ أخرى، ومن أبرز معالم التميّز في مشروع التعليم عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنّه أخرج الطالب المسلم من التعليم التقليدي، إلى التعليم المتقدم، في حين أنه لم يُغفل الجانب الديني في

---

(١) مجلة البيان، حوار مع الدكتور: عبد الرحمن السميط، العدد(٨٠)، ربيع الآخر، ١٤١٥هـ.

(٢) برنامج: وجوه إسلامية، قناة العربية، ١١/ ٠٩/ ٢٠٠٨م.

(٣) برنامج: بلا حدود، قناة الجزيرة الفضائية، يوم الأربعاء، الموافق ٥/ ١٠/ ٢٠٠٥م، المقدم: أحمد منصور.

التعليم، فكلّ من أكمل تعليمه - على نفقة العون المباشر - عاد إلى منطقته ليعمل فيها، وليحثّ غيره من الشباب ليحذو حذوه. وخلال فترة عمله في إفريقيا ارتفع عدد الطلاب المكفولين بالعون المباشر حتى وصل إلى مليون ومائة ألف طالب في العام ٢٠١٣م[١].

وتنوّعت مشاريع التعليم التي قدمها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إفريقيا خلال فترة عمله هناك، فهناك مشاريع توجه لعامة الناس، وأخرى توجه للمسلمين فقط، وثالثة توجه إلى الدعاة إلى الله، وسأوضح ذلك فيما يلي:

١- بناء المدارس والكليات والجامعات:

وجد السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذهابه إلى مالاوي، في بداية الثمانينات الميلادية، أنّ ٤٨٦ ألف طفلٍ مسلمٍ لا يذهبون إلى المدرسة، لأنّهم لا يملكون رسوم الدراسة، البالغة ٥ أو ٦ ريالات سنويًا[٢].

أما المدارس الثانوية في كينيا، فكانت نسبة الطلاب المسلمين لا تكاد تذكر، حيث بلغت ٢٪، ناهيك عن الجامعات التي يُقدّر نسبة الطلاب المسلمين فيها ما بين ٠.٠٠٪ إلى ٠.٠٥٪، وهذه النّسب كانت نتيجة دراسةٍ أجراها الدكتور: إسماعيل حسن حسين في كينيا، ولعلك لا تتفاجأ إذا وجدت في غرب كينيا طالبا في الصف الأول الإبتدائي يبلغ من العمر ٨٠ سنة، وطالبة أخرى تبلغ ٦٠ سنة[٣].

---

(١) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/.

(٢) موقع مداد، موقع متخصص في شؤون القارة الإفريقية، ويصدر عن مؤسسة المنتدى الإسلامي، المملكة العربية السعودية، جدة http://medadcenter.com/

(٣) برنامج: عبد الرحمن الفاتح، قناة الوطن الكويتية، إعداد وتقديم: د: عبد العزيز العويد، رمضان ١٤٣٥هـ.

حرص الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن ينشر العلم وسط المسلمين، مطبقا المثل الصينيّ الذي يقول: «علمني كيف أصطاد ولا تعطني سمكة»[(١)].

فيما يخص التعليم العام، بنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ المدارس، التي وصلت إلى ٢٣٠ مدرسة، يدرسون فيها مناهج التعليم المعتمدة في تلك الدول، إضافةً إلى مناهج التربية الإسلاميّة، وتعلم القراءة، والكتابة باللغة العربية[(٢)].

ووصلت نسبة النجاح في مدرستين من مدارسه في مالاوي إلى ١٠٠٪، باعتراف وزارة التربية هناك[(٣)]. بينما كانت أعلى نسبة للنجاح في المدارس الحكومية ٢٠٪، وقد قام وفد من وزارة التربية في مالاوي بزيارةٍ لهذه المدارس، للاطلاع على أسباب هذا النجاح، فوجدوا أنّه يعود للتأسيس الشرعيّ، والعلمي الصحيح، والذي استمده رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبناه من ثقافته العلمية والشرعية خلال سنوات دراسته في الغرب[(٤)].

وفيما يخص التعليم الجامعيّ بنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث جامعات، هي: جامعة سِماد في الصومال، وجامعة الأمة[(٥)] في كينيا، وكلية التربية في زنجبار، والتي تحولت

---

(١) صحيفة الوطن الكويتية، لقاء مع عبد الرحمن السميط، بعنوان: سفير الخير في إفريقيا، الثلاثاء ٢٦/٩/٢٠٠٦م.

(٢) مقابلتي للدكتور عبد الله السميط، يوم الإثنين: ٢٥/٨/ ١٤٣٥هـ.

(٣) هي مدرستين ثانوتين في مالاوي بناها بتبرع من ورثة عبدالمحسن الخرافي وعبدالله الفريح أحداهما للبنين والأخرى للبنات.

(٤) برنامج :عبد الرحمن الفاتح، قناة الوطن الكويتية، رمضان ١٤٣٥هـ.

(٥) جامعة الأمة في كينيا: وقع د/ عبد الرحمن صالح المحيلان، نائب رئيس مجلس إدارة جمعية العون المباشر بمقر السفارة الكويتية في نيروبي ـ كينيا في ١ فبراير ٢٠١٢م، وبحضور سعادة السفير =

إلى جامعة متكاملة تحت اسم جامعة زنجبار العالمية(١).

٢- تعليم القرآن الكريم:

اهتم الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعليم القرآن، فهو وسيلة الدّعوة الأولى للبشر، وهو الذي كان سببا في إسلام صناديد قريش، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

=

الكويتي في كينيا السيد: يعقوب السند، عقد مشروع بناء جامعة الأمة في منطقة كيجيادو، لتكون أول جماعة تبنيها جمعية خيرية عربية في إفريقيا، وبتكلفة ٤.٥ مليون يورو، خلال مدة لا تتجاوز ٦٥ أسبوعا، ابتداءً من الانتهاء من المرحلة الأولى من مشروع البناء (مبنى القاعات الدراسية، وسكن المدرسين، وسكن الطالبات والطلبة)، وتضم هذه الجامعة ٤ كليات، وفد افتتح المبنى الجديد لجامعة الأمة في مقاطعة كيجيادو (٧٥ كم جنوب العاصمة الكينية نيروبي) بحضور نائب رئيس جمهورية كينيا وليم روتو، والرئيس السوداني الأسبق ورئيس منظمة الدعوة الإسلامية المشير عبدالرحمن سوار الذهب، ورئيس مجلس إدارة جمعية العون المباشر د. عبد الرحمن صالح المحيلان، ووزير التعليم العالي الكيني البروفيسور داوود سومي، وممثل الأغلبية البرلمانية الكينية (آدم بري دوعالي)، وجمع من الشخصيات الرسمية والشعبية في كينيا، وبعض دول الخليج، إضافة إلى مدير المكتب الميداني لجمعية العون المباشر في كينيا، ومسؤولي مراكز ومدارس الجمعية هناك، كما حظي حفل الافتتاح باهتمام وسائل الإعلام الرسمية من صحف وقنوات تلفزيونية، وتم نقل الحدث على الهواء مباشرة من قبل التلفزيون الكيني. مجلة الكوثر، العدد(١٧٤)، إبريل ٢٠١٤م.

(١) جامعة زنجبار العالمية: أنشأت جمعية العون المباشر بإشراف من الدكتور عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الجامعة في زنجبار عام ١٩٩٨م، وكانت في بدايتها كلية، وتم تحويلها قريبا في شهر إبريل عام ٢٠١٤م إلى جامعة متكاملة، ويبلغ عدد الطلاب والطالبات في هذه الجامعات ١٤٥٧٦ طالبًا جامعيًّا في تخصصات علمية مختلفة، منهم ٦٣٥٢ طالب دراسات عليا بمنح كاملة، خرّج من بينهم علماء وأطباء ومهندسون وقانونيون يسهمون في رفع مستويات التعليم في المنطقة. مجلة الكوثر، العدد ١٧٤، إبريل ٢٠١٤م.

كان السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع دخوله لأيّ قريةٍ، يُعلمهم القرآن الكريم، عن طريق الدعاة المرافقين له، ويبني لهم دورًا للقرآن- تكون في أغلب الأحيان من القشّ- وقد تتطور بفضل الله ثمّ بفضل أحد المحسنين إلى مدرسةٍ، ثمّ إلى مركزٍ إسلاميٍّ متكاملٍ(١)، وبلغ عدد هذه الدور ٣٦٧ مدرسة قرآنية(٢).

٣- تعليم اللغة العربية :

ميّز الله سبحانه وتعالى العرب على سائر الأجناس، ببعثة الرسول محمد ﷺ من بينهم، وجعل التَّفاضُل بينهم بالتقوى، ومن يُتابع كتابات الدكتور السميط يَلْحظ أننا نملك وسيلةً دعويَّة لَم نلتفت لها وهي: أنَّنا عربٌ ومن بلاد العرب، فكلمة عربيّ لها دلالةٌ خاصةٌ عند كثيرٍ من الشعوب في إفريقيا، يقول الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في مناطقَ بأكملها في شرق كينيا، إذا رأَوا الإنسان العربيّ يدخلون في الإسلام بدون سؤالٍ ولا جواب، وهم يحترمون العربيَّ ويقدِّرونه»(٣).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في قريةٍ في شرق كينيا، جاءت امرأةٌ قرويّةٌ بلغت من العمر ما يزيد عن ٧٠ سنة - أسلمت قبل سنة - إلى المدينة خصيصًا، لتتعلم تلاوة القرآن الكريم في مركزنا؛ تعلّمت في البداية الحروف الهجائية، ثمّ تعلمت القراءة، حتى تمكّنت منها، ثمّ ختمت القرآن الكريم تلاوةً، بل حفظت منه الكثير، ثمّ عادت إلى قريتها تدعو الناس إلى الإسلام»(٤).

---

(١) محاضرة بعنوان: سمعوا فاسلموا، صفحة الشيخ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات. http://www.islamweb.net/

(٢) موقع جمعية العون المباشر،http://direct-aid.org/cms/

(٣) حقيبة مسافر، ص٣٥

(٤) خادم فقراء إفريقيا، إعداد: فريق عمل موقع لبيك إفريقيا.www.labaik.africa.org، ص٥٤

وزار مرةً أحد الدُّعاة، ووجد عددًا من الأشخاص- ممّن يلبسون الملابس الأنيقة -يجلسون حوله، وهو يعلمهم الحروف العربية، ويعلمهم القرآن الكريم، سأله بعد ذلك عنهم، فعرف أنّهم من كبار المسؤولين، من وزراء، ووكلاء وزارات، ومديري بنوكٍ، وشركاتٍ، وأنّهم تعلموا في مدارس فرنسيّة، وشعروا في سنّ متأخرةٍ بأنّهم خسروا هويتهم؛ لأنّهم لم يتعلموا لغة دينهم، فبدؤوا رغم مشاغلهم في حضور دروس اللغة العربية[١].

وفي زيارةٍ إلى مناطق الطوارق[٢] في أقصى شمال مالي، استضافه زعيم منطقة كيدال في منزله، ومن خلال حديثه عن أحوال المنطقة، تفاجأ الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتمكّن بعض أفراد قبيلة الطوارق هناك من الحديث باللغة العربية الفصحى بطلاقةٍ، وبقدرتهم على تأليف الشعر العربي المقفى، والموزون بسهولةٍ، لدرجة أنّهم أحيانًا يتحدثون فيما بينهم بالشعر، ويرد بعضهم على البعض الآخر بنفس الوزن ونفس القافية. ومع الأسف فإنّ الحرب الأهلية التي أثارتها قوى أجنبية، بين الطوارق والعرب من جانب، والأفارقة من جانب آخر، دمّرت كلّ المعاهد العربية، التي كانت مزدهرةً في شمال مالي، وحاولت الكنيسة وتلاميذها إحياء القومية الطارقية[٣].

---

(١) حقيبة مسافر، ص ٤٠.

(٢) الطوارق: هم الشعب الذي يستوطن الصحراء الكبرى، في جنوب الجزائر، وشمال مالي، وشمال النيجر، وجنوب غرب ليبيا، وشمال بوركينا فاسو. والطوارق مسلمون سنيون مالكيون، ويتحدثون اللغة الطارقية بلهجاتها الثلاث تماجق وتماشق وتماهق. الموسوعة الحرة.

http://ar.wikipedia.org /

(٣) خادم فقراء إفريقيا، ص٥٩.

٤- الدورات التخصصية:

عكف الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تنظيم أكبر قدرٍ ممكنٍ من الدورات التأهيليّة، والتدريبية في مجالات الثقافة الإسلامية، وفي مجال العلوم الشرعية، وفي مجال فقه الدّعوة، ويكون التركيز فيها على الفئات التالية:

أئمّة المساجد، وشيوخ القبائل والقرى، ومدرسي المدارس القرآنية، وكبار المسؤولين، والدّعاة الشباب النشيطين، والمثقفين، والطلبة، والطالبات، والنساء[(١)] .

لم يكن يعتمد الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على دعاته فقط، بل كان معه رصيدٌ كبيرٌ من الدعاة والعاملين ذوي الغيرة على الإسلام، وممّن لديهم الاستعداد للتعاون والعمل في حقل الدعوة من غيرهم، وتعتبر الدورات وسيلةً مثاليّةً للاستفادة من هذه الطاقات المتاحة، وذلك بإحدى طريقتين:

أ- إشراك أصحاب الثقافة الإسلامية والنشاط الدّعويّ في إدارة وتفعيل الدورات التأهيلية والتدريبية.

ب-إشراكهم كمستفيدين من هذه الدورات.

وفي جميع الحالات، يجب اعتبار الطاقات المحليّة شريكًا دائمًا في العمل الدّعويّ بكافة أشكاله، ومن المناسب دائمًا أن يتولى المحليون- سواء منهم العاملون مع اللجنة أو المتعاونون- الدور الأكبر في العمل الدّعويّ، وبروزهم في

---

(١) مقال بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية (جمعية العون المباشر – لجنة مسلمي إفريقيا)، د: عبد الرحمن السميط، موقع جمعية العون المباشر http://direct-aid.org/cms/ .

الواجهة مهمٌ جدًا، فهم أقدر على فهم مجتمعاتهم ونفسيات الناس وعقلياتهم[١].

٥- تعليم العلوم الشرعية:

حرص الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن يقدم برنامجًا للمهتدين الجدد، يتمثل في: عقد دوراتٍ في العلوم الشرعيّة، طبقًا لجدول زمنيّ محددٍ، ووضع برامجها بشكلٍ مدروسٍ، واختار دعاةً أكفاء لها، بهدف تعريفهم بحقيقة الإسلام وشرح أركانه وأخلاقه وآدابه، ورسم صورةٍ حقيقيّةٍ للإسلام الصحيح في أذهانهم، وإزالة كل ما علق بها من شوائب وبدع، وفي النهاية تأتي مرحلة تقييم النتائج واستخلاص الحقائق والمعلومات والتجارب التي يستثمرها في تطوير الخطط والبرامج الدّعويّة المستقبليّة، بما يتناسب وطبيعة المناطق المستهدفة، ومستجدات مخططات التنصير المرعبة[٢].

يقول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الدورات: «لكن الذي يبعث على المزيد من الأمل والتفاؤل بعون الله، أنّ الأهداف التي تحققها هذه الدورات الدينيّة، تكون في غالب الأحيان أكثر من التوقعات السابقة لها، إذ تُسفر عن إسلام العشرات، ناهيك عن الأثر الإيمانيّ العميق الذي تخلّفه في نفوس المهتدين»[٣].

وكانت سياسته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الدورات أن يستهدف منطقةً معينةً، أو قبيلةً معينةً، فيدخلهم دورةً لمدة أسبوعين، وبعد ستة أشهر يدخلهم دورةً أكبر من الدورة الأولى، وبعد سنةٍ إلى سنتين يدخلهم دورةً ثالثةً، ترفع من مستوى

---

(١) مقال بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية (جمعية العون المباشر – لجنة مسلمي إفريقيا).

(٢) مجلة حياة، ملف أوراق متناثرة، د: عبد الرحمن السميط، العدد (٥٣)، رمضان، ١٤٢٥هـ.

(٣) مجلة حياة، ملف أوراق متناثرة، د:عبد الرحمن السميط، العدد (٥١)، رجب ١٤٢٥هـ.

تعليمهم، ثمّ يأخذ الأذكياء منهم، فيدخلهم ثلاث دوراتٍ أخرى متقدمة، ليخرجوا منها أئمة مساجد بإذن الله[١].

ويذكر الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثالًا على ذلك فيقول: «قمنا بزيارةٍ لصحراء جلابي، في مرسابيت شمال كينيا، فعثرنا على إحدى القبائل المسلمة المنعزلة، والتي تحوّلت إلى الوثنية، تَعلّم بعض أبنائها - بعد أن دفعت الكنيسة رسوم الدراسة لهم- فتنصروا، وظلّت آثارٌ قليلةٌ تدلّ على أصولهم الإسلامية، أنشأنا لهم معهدًا شرعيًّا لتدريس أبنائهم، وتفاعل أولئك الشباب بشكلٍ حماسيٍّ، وبدؤوا ينشرون الإسلام بين أهاليهم، وخلال أربع سنين أسلمت معظم القرى»[٢].

وفي قريةٍ من قرى قبائل الغرياما[٣]، أخبره الأهالي بأنّهم جميعًا على استعداد بأن يسلموا، ولكنّهم يشترطون بأن يقوم هو ومن معه بزيارتهم، ولو لمرتين في الشهر، أو يأتي بداعيةٍ يعلمهم مبادئ دينهم الجديد[٤].

---

(١) برنامج : ساعة حوار، مع عبد الرحمن السميط، قناة المجد الفضائية، ٨/ ٥/ ٢٠٠٨م.

(٢) حقيبة مسافر، ص٢٩.

(٣) قبائل الغرياما : وهي قبيلة غالبيتها من الوثنيين، ولكنهم قريبون جدا للإسلام، ويرجع ذلك إلى أن مبارك المزروعي أمير ممباسا، وهو من أصل عماني، قام بالاستعانة بأجداد قبيلة الغرياما، لقتال البرتغاليين، فاختلط أفراد القبيلة بالمقاتلين المسلمين، من عربٍ وأفارقة، حيث كانوا في نفس الجبهة، وتأثروا بهم، إلاّ أنّ المدة لم تكن طويلةً، حتى يعرفوا الإسلام، ويمارسوه، ولكن أحبوا الإسلام، ولم يجدوا دعاةً بعد ذلك، حتى وقتنا الحالي لشرح مبادئ الإسلام لهم. انظر: رسالة الى ولدي (رحلة خير في إفريقيا)، ص٨-١١.

(٤) برنامج زوايا، قناة الوطن الكويتية، ١٨/ رمضان/ ١٤٣٠هـ.

وفي قرية أوران – شمال كينيا – ذهب أحد طلبة المعهد الشرعيّ إلى أهله، وحدّثهم عن الإسلام، وشرح لهم مبادئه، فأسلم أكثر من ٢٠٠ شخص، ثم عاد إلى المعهد الشرعيّ، واستأذن الشيخ في اصطحاب ١٤ طالبًا معه إلى القرية، وعقد هؤلاء الشباب دورةً للمهتدين، يعلمونهم أركان الإسلام، وكان ذلك في بداية شهر رمضان المبارك، فأصرّ المسلمون الجدد على الصيام، استغل الطلبة برنامج إفطار الصائم في محاضراتٍ دعويّةٍ في العقيدة، والقرآن، والحديث، والسيرة، والفقه، فأسلم المزيد من الناس[١].

وفي موقفٍ آخر يذكر الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنّه في واحدةٍ من قرى قبائل الغرياما أسلم شابٌ فسمّاه يوسف، فلمّا قضى عدة شهورٍ في معهدٍ إسلاميّ، عاد إلى قريته لينشر الإسلام فيها، ويَؤُمّ المسلمين في صلواتهم، بمعلوماته البسيطة، التي تلقّاها في المعهد المذكور، وقد تبيّن خلال زيارتنا الثانية لهذه القرية، أنّه أسلم سبعة عشر شخصًا تأثروا بدعوة يوسف»[٢].

ومع القسيس البروتستانتيّ السودانيّ، أنجلو ريفا، وهو من أشهر قساوسة مدينة كادوقلي[٣] الواقعة بجبال النوبة، والذي ينتمي إلى قبيلة الدينكا، أكبر قبائل

---

(١) محاضرة بعنوان: حقيقة المأساة، د/عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات، /http://www.islamweb.net

(٢) محاضرة بعنوان: الدعوة في إفريقيا، د/عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب،صوتيات، /http://www.islamweb.net

(٣) مدينة كَادُوقْلي: مدينة تقع في ولاية جنوب كردفان في السودان على سفوح جبل يحمل اسمها على ارتفاع ٤٩٩ مترفوق سطح البحر، وتبعد عن الخرطوم العاصمة حوالي ٥٨٩ كيلو متر. وهي =

جنوب السودان، التي ينحدر منها كذلك زعيم المتمردين السابق جون غارانغ، يقول الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كنّا دائمًا ندعو الله أن يشرح قلب هذا القسيس إلى الإسلام، حتّى يكون أسوةً حسنةً لأتباعه في اعتناق دين الله الحق، وترك الكفر والضلال، فكانت المناسبة أن دعوناه مرةً لحضور دورةٍ دعويّةٍ، فلاحت بشائر الخير في الأفق، عندما أقبل على معرفة أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وحفظ سورتي: الفاتحة والإخلاص»[1].

وفي بوركينا فاسو[2] أقام الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ دورةً للمهتدين الجدد، ويبدو أنّ قسيس الكنيسة ذكر أنّ الدّعاة يزعجونه بالآذان، فأمر تلاميذه أن يشوّشوا عليهم بضرب الطبول، واستمروا في ذلك حتى نهاية الدورة، ولمّا لم يجد أثرًا لذلك، أرسل شخصين للدعاة القائمين على هذه الدورة، ليشتكوا إليهم، فرحب الدّعاة بالرسولَين، وشرحوا لهم سبب تنظيمهم لتلك الدورة، وهدفهم منها، ومن مثل هذه الدورات، وشرحوا لهم بشكلٍ موجزٍ عن عقيدة الإسلام،

=

عاصمة ولاية جنوب كردفان، وتقع في منطقة غنية بثرواتها الطبيعية الزراعية والمعدنية. الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/

(١) مجلة الكوثر، العدد (٧)، مايو ٢٠٠٠م.

(٢) بوركينا فاسو: دولة في غرب إفريقيا، تحيطها ست دول هي: مالي من الشمال، والنيجر من الشرق، وبنين من الجنوب الشرقي، وتوغو وغانا من الجنوب، وساحل العاج من الجنوب الغربي. تقع ضمن دول الصحراء الكبرى في إفريقيا. تبلغ مساحتها ٢٧٤،٢٠٠ كم٢، ويبلغ عدد سكانها ١٣،٥٧٤،٨٢٠ نسمة، وتعتمد على الزراعة في اقتصادها. ومن أهم منتجاتها الفول السوداني، القطن، الذرة، الدخن، السورقوم، الأبقار، الماعز والضأن. الموسوعة الحرة.
http://ar.wikipedia.org /

فشرح الله صدر أحدهما للإسلام، وأعلن شهادة التوحيد، والتحق بالدورة، أمّا الآخر فرجع إلى القسيس، وأخبره بموقفنا، وبقي مع القسيس حتّى جاء مع عددٍ كبيرٍ من الناس ليعلنوا إسلامهم[1].

إنّ هذه الدورات التي كان يقيمها رَحِمَهُ اللَّهُ للمهتدين، كان لها الأثر العظيم، والثمرة الطيبة في تعليمهم أساسيات الدين، وتعرّفهم على الحلال والحرام، وكيفية أداء الصلاة، والصيام وغيرهما، بل إنّ لها أهميتها القصوى في تثبيت العقيدة في نفوسهم، وتغلغل الإيمان إلى قلوبهم[2].

٦- المعاهد الشرعية:

وهي من المشاريع الدّعويّة الهامّة التي تهدف إلى: توفير التعليم الدينيّ استجابةً لاحتياجات المجتمعات الإفريقيّة للتفقه في الدّين، وإلى تأهيل مجموعاتٍ دعويّةٍ مختارةٍ، تأهيلًا خاصًّا في مجال فقه الدّعوة، وتدريبهم عليها عمليًّا أثناء الدّراسة؛ ولهذا كان من اللازم الاهتمام بمعلميّ هذه المعاهد الدينية، واختيارهم بعنايةٍ فائقةٍ، من حيث مؤهلاتهم وأخلاقهم، وأن يكونوا من الدّعاة النّشيطين العمليين، ومن أصحاب الخُلُق، ويُقدّم لهم البرامج الدّعوية التطبيقيّة، مقترنةً بالمناهج التعليمية الخاصّة بكل دولةٍ، والتي تُعتبر جزءًا لا يتجزأ من وظيفة هذه المعاهد[3]، وبلغ عدد هذه المعاهد ٣٦ معهدا دينيًا بحمد الله وتوفيقه[4].

---

(١) مجلة الكوثر، العدد(٦)، إبريل ٢٠٠٠م

(٢) برنامج : ساعة حوار مع عبد الرحمن السميط، قناة المجد الفضائية، ٨/ ٠٥/ ٢٠٠٨م.

(٣) المرجع السابق.

(٤) موقع جمعية العون المباشر : http://direct-aid.org/cms/

٧- دُور تأهيل النّساء:

إنَّ الكثير من البلايا والمصائب التي عرفتها المجتمعات الإفريقيّة المسلمة، وغير المسلمة يعود إلى الجهل، وإلى الاستبداد الذي أصاب النّساء فيها، ولا شكّ أنّ النّساء كالرّجال مطالبون بتعلم أمور دينهم، وبالتعليم تتغير حياتهنّ، وبهذا يكون لدُور تأهيل النّساء أهدافٌ عدّةٌ تتمثل في التالي:

- التربية الدّينية المنظّمة، ثمّ اختيار المتميزات، لتأهيلها تأهيلًا دعويًّا خاصًّا.
- التأهيل في حِرَفٍ مُدرّةٍ للدّخل.
- التوجيه في مجالات تربية الأطفال، حسب القيم الإسلاميّة.
- محو الأميّة.
- تعليم أصول النظافة، والإسعافات الأولية.

وقد بلغ عدد هذه الدور بفضل الله مائتي دار نسائية[1].

رابعا: الحجّ (حج السلاطين والزعماء):

الحج هو الرّكن الخامس من أركان الإسلام، لمن استطاع إليه سبيلًا، ويُعدّ الحج وسيلةً دعويّةً هامّةً، استفاد منها الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك للأسباب التالية:

- أسوة وقدوة بنبينا ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يَعرض نفسه على القبائل في مواسم الحجّ وأسواقها، ويدعو فيها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فقد روى الإمام

---

(١) مجلة الحياة، ملف أوراق متناثرة، د: عبد الرحمن السميط، العدد (٧٧)، رمضان، ١٤٢٧هـ

أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في المواقف فيقول: هل من رجلٍ يحملني إلى قومه؟ فإنّ قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي عَزَّ وَجَلَّ»[١].

○ وفي حجة الوداع، وفي أكبر جمعٍ وأعظم ظرفٍ زمانيٍّ ومكانيٍّ يقول ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».

○ كثرة الوسائل المتاحة فيه للدّعوة إلى الله، فهو موسم عبادةٍ، وموسم تجارةٍ، وموسم مودّةٍ، ورحمةٍ، واجتماعٍ.

○ الجموع الكثيرة التي تجتمع من كل فجٍّ عميقٍ، لتؤُم البيت العتيق.

○ قِلّة من يتحدث عن الدّعوة إلى الله في الحج.

○ الجهل بالأحكام الشرعيّة، وكثرة البدع، والمنكرات عند بعض الحجاج.

○ نفوس الحجاج متهيئةٌ للوعظ، والتذكير، وتعلُّم أحكام الدين[٢].

عرف السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ طبيعة المجتمعات الإفريقيّة، من حيث انتماءها القبليّ، وولائها لزعمائها أكثر من ولائها لرؤساء حكوماتها، فقرّر أن يُطلق مشروع: حج السلاطين، وجعل منه وسيلةً دعويّةً يستعين بها في عمله الإغاثيّ والدّعويّ، فحجّ زعيمٍ واحدٍ ينتج عنه إسلام العشرات من قبيلته، وأحيانًا المئات؛ إذ يتحوّل الواحد منهم إلى داعيةٍ لدين الله[٣].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٢٣، رقم ٣١٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج٤، رقم ٥٩١.

(٢) الدعوة الى الله تعالى في الحج، أنس بن محمد بن عبدالرحمن غوث.

(٣) كتاب رسالة إلى ولدي، ص٨٧.

ومن هؤلاء الزعماء، زعيمٌ من قبيلة الماساي[١]، قدّر الله أن ينشرح صدره للإسلام، وسمّى نفسه(مالكا)، وبعد هدايته بدأ يتعلم في المركز الإسلاميّ تعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه، حتّى حَسُن إسلامه.

يقول مالكٌ: «إنّه تمّ ترشيحه للحجّ على نفقة بعض المحسنين- ولم يكن يصدّق ذلك- واستطرد قائلًا: أخبرت أهل بيتي وشيوخ القبيلة بهذا الأمر، لكنّهم لم يصدقوا في البداية، فلم أركب الطائرة في حياتي، وأبعد مكانٍ زرتُه كان نيروبي، عاصمة كينيا، التي تبعد حوالي ٧٥ كلم عن كيجادو، وقال لي بعض مشايخ القبيلة: إنّ أباءنا وأجدادنا لم يركبوا الطائرة، فكيف تركبها أنت اليوم؟! وتذكر أنّها «طائرة الخواجا» ثمّ سألوني: عمّا إذا كنت سأعود من حجّي أم لا؟! أمّا الأمر الآخر الذي فكّرت فيه، فهو موقف المسلمين في مكّة ومنى، وأذناي مثقوبتان متدليّتان على كتفي، إذ من المؤكد أنّهم سوف يستهزئون بي- عادةً

---

(١) قبيلة الماساي: وهي قبيلة اشتهرت بشدة بأسها وفخرها بانتسابها لهذه القبيلة. وهي وثنية بدائية تمتد من عاصمة كينيا نيروبي إلى شمال تنزانيا، وقد هاجروا منذ مئات السنين من الشمال، ويعيش أفراد القبيلة على تربية الأبقار التي يعتزون بها أكثر من أولادهم، وتتحدد مكانة الفرد عندهم بعدد الأبقار التي يملكها. ويعتقد أفراد القبيلة أن جميع الأبقار في العالم خلقها الله ووهبها لقبائل الماساي، فإذا وجدت بقرة عند غيرهم في أي مكان، فيعني هذا أنه سرقها منهم، وأن من حقهم أن يقوموا بسرقتها منه. ويتدرب أبناء الماساي منذ الصغر على إصابة الهدف بعصي خشبية ذات رأس مدبب يقذفونها من بعيد. والهدف من هذا التدريب أن يستطيع الماساي من ضرب راعي البقر من القبائل الأخرى في رأسه ليخر صريعا دون أن يجرح أحد الأبقار، ثم يقوم بسرقة الأبقار. ومن العيب عند الماساي أن يبيع بقرته إلا عند الحاجة الماسة. أنشأ الدكتور السميط رحمه الله فيها مركزًا للأيتام المسلمين في بلدة كيجادو عاصمة هذه القبيلة في كينيا. وقد بلغ عدد الماساي ٨٤١ ألف حسب إحصاء ٢٠٠٩م، مقارنة ب٣٧٧ ألف في عام ١٩٨٩م. رسالة الى ولدي (رحلة خير في إفريقيا)، ص ٤٠.

يفعلها الرجال عندهم-، ولكن بعد وصولي للديار المقدّسة، وجدتُ أناسًا بأشكالٍ وألوانٍ وأحجامٍ مختلفة، ولم أكن أتوقع أن يكون الناس في هذا العالم بهذا القدر والعدد، وكيف يجتمعون في هذا المكان، والغريب أنّه رغم اختلافهم إلّا أنّهم يلبسون ثيابًا بيضاء موحدة، ويقومون بنفس المناسك، وكأنّهم إخوةٌ، وعندما لبست ثوب الإحرام، تذكرت لباس قبيلتي الماساي، الذي يُشبه الإحرام، ولكنّ لونه أحمر، وهو اللون المفضل عندنا، لقد عدتُ من الحجّ وأنا إنسان آخر، متمنيًا أن أحجّ مرّةً ثانيةً، وأن يُحجّ كلّ الزعماء عندنا على نفقة بعض المحسنين، لقد قرّرتُ اليوم أن أتفرغ للدّعوة إلى الله وسط قبيلتي، وأدعو الله أن يوفقني في عملي الدّعويّ[١] .

وكذلك الحال مع زعيمٍ وثنيّ آخر، من غرب إفريقيا، سمّى نفسه بعد إسلامه: سيف الدّين أوغبويتي. يقول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أرسلناه للحجّ، ففرح فرحًا شديدًا، واعتبر هذا العمل تشريفًا له وتكريمًا، وقال: بعد فرحي بهدايتي للإسلام، لم أفرح مثل فرحي بهذا الحجّ، لقد كان كل ما رأيته فيه بمثابة رسالة لي تقول: إنّ الإسلام هو دين الوحدة، الذي لا يفرّق بين الناس، مهما اختلفت لغاتهم، أو ألوانهم، أو أجناسهم، وتمنيتُ أن أقضي بقية عمري في مكة والمدينة»[٢] .

ويذكر كذلك قصة الحاج موسى كاويا- سلطان شمال بنين الوثني- الذي أسلم، وتأثر بالحجّ كثيرًا، إذ قال بعد عودته من أداء الفريضة: إنّ رؤيتي لجميع

---

(١) انظر: حقيبة مسافر، ص ٤٧-٤٨.

(٢)محاضرة بعنوان: حجوا فأسلمت قريتهم، د/ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات، http://www.islamweb.net

المسلمين، سواء أكانوا أمراء أم فقراء، من كل الألوان والأجناس وهم يلبسون الإحرام، كان لها أبلغ الأثر في نفسي، حتّى أنّ هذا المشهد ليذكرني بالكفن، وحشر الناس يوم القيامة، يقول الدكتور السميط رَحِمَهُ اللَّهُ: «أذكر في معرض قصة هذا السلطان، أنّ مئات الناس أسلموا على يديه، بعد أن رجع من حجّ بيت الله الحرام»[(١)].

وفي إحدى السنوات أرسل الدكتور السميط رَحِمَهُ اللَّهُ أحد زعماء قبيلة الأنتيمور[(٢)] في جنوب شرق مدغشقر إلى الحجّ، وعندما عاد من مكّة، سألناه عن أكثر ما أعجبه فقال: «أولًا دخلت مكّة ثمّ المسجد الحرام، ولم أكن أرى حولي سوى الجبال الجرداء، فقلت في نفسي إنّنا سنظل جياعًا هنا، فلا أشجار ولا زراعة، ولكنّني فوجئت بأنواعٍ من الفواكه، والخضروات، ومختلف أصناف

---

(١) المرجع السابق.

(٢) قبيلة الأنتيمور: هم مجموعة عرقية من مدغشقر تعيش على الساحل الجنوبي الشرقي، غالبا بين مانكارا وفرفرغانا، تقدر أعدادهم ب ٤٢٧,٠٠٠ نسمة (حوالي٣٪ من تعداد مدغشقر)، وكلمة الأنتيمور تعني «أهل الساحل» باللغة المالاغاشية. تعيش قبيلة الأنتيمور الملاغاشية في مدغشقر على ساحل الجنوب الشرقي من نهر منانغارا ومدينة المسنغرونو حتى فرفرغان، أي على طول ٢٢٥ كلم، حيث يحدها من الشمال قبيلة بتسينيساركا، ومن الشمال الغربي قبيلة بيتسيلو، ومن الجنوب الغربي قبيلة تنالا. تتداخل الأساطير بالروايات الشفهية حول هجرة قبائل الأنتيمور لتقدّم روايات تاريخية يشوبها شيء من الغموض. تقول الرواية التاريخية أن الجد الكبير لقبيلة الأنتيمور ويدعى راماكرارو أو في رواية أخرى علي الكرار قد جاء مع عائلته ليبدأ حياة جديدة في مدغشقر بسبب مشكلات سياسية بين قبائل الجزيرة العربية .تعد قبائل الأنتيمور نموذجًا من العرب والمسلمين الضائعين في إفريقيا مثلهم مثل قبيلة الغبرا في شمال كينيا والبورانا في جنوب إثيوبيا وبعض السكلافا في غرب مدغشقر والفارمبا في جنوب زيمبابوي. مجلة الكوثر، العدد ٤٤، يونيو ٢٠٠٣م.

الطعام، ممّا لم أكن أحلم به أبدًا، وتساءلت في نفسي: لماذا لا يتوفر عندنا في مدغشقر- رغم ما فيها من خيراتٍ وأشجارٍ وأنهارٍ- نصف ما يتوفر في مكة المكرمة؟ وثانيًا لم أصدق أن أتباع الإسلام بهذه الكثرة، إذ رأيت مئات الألوف، وربما الملايين كلهم يلبسون نفس الإحرام، سواء من كان منهم ملكًا أو خادمًا، ويؤدون نفس المناسك مما زاد من إيماني»[(١)].

وقد زار الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض القرى في بوركينا فاسو، واستقبله زعيمها المسلم موسى كابولي الذي أسلم منذ ٢٨ سنة، يحترمه الأهالي ويقدرونه إلى درجة أن الكثير منهم تأثر بإسلامه فاعتنق الإسلام، ولكنّه لم يكن ملتزمًا بتعاليم الإسلام، حاول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ إقناعه بضرورة الالتزام بمنهج دينه، حيث مكّنه من أداء فريضة الحج، ليعود بعدها وكأنّه تخرّج من دورةٍ تدريبيةٍ دينيّةٍ، وأصبح داعيةً يدعو الناس إلى الإسلام، ويذكر الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ أحد عشر شخصًا من النصارى والوثنيين قد أعلنوا إسلامهم أثناء احتفال عودته من الحجّ، وبعد أول جمعة من رجوعه، أسلم تسعة عشر شخصا، وراء كل واحد منهم أسرة»[(٢)].

وإذا كان الحجّ وسيلةً للدّعوة إلى الله تعالى، فهو أيضًا وسيلةٌ لتصحيح بعض العادات والمعتقدات التي تخالف ديننا الحنيف، يقول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «منّ الله علينا بأحد المحسنين، الذي تبرع بإرسال أحدهم إلى الدّيار

---

(١) برنامج: تحت المجهر، لقاء في قناة الجزيرة بعنوان: قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م.

(٢) حقيبة مسافر، ص٥٠.

المقدّسة، لأداء فريضة الحج على نفقته الخاصة، فوقع اختيارنا على أحد الدعاة من أبناء هذه المنطقة التي يبلغ عدد سكانها مليون مسلم، ولم يسبق لأحدٍ منهم أن حجّ من قبل، إمّا بسبب الفقر، أو بسبب بعض المعتقدات الباطلة، التي رسخت في أذهانهم بأن الحاجّ يموت بعد أداء فريضة الحجّ مباشرة، وعندما عاد الدّاعية المذكور من حجه، أقبل عليه الآلاف يزورونه في مقرّه، ليتأكدوا من أنّه مازال على قيد الحياة، ولـمّا عرفوا منه كيف تؤدّى صلاة الجمعة في مكّة المكرمة، أخبرهم بأنّ أهلها لا يصلون الظهر بعد صلاة الجمعة، فتغيرت نظرة الكثير منهم إلى هذا الحكم الشرعيّ، واستقبلونا بآذانٍ صاغيةٍ، يلتمسون الوعظ والإرشاد، إنّ حج الدّاعية فتح أبوابًا كانت مؤصدة، وانطلق الدّعاة في كلّ مكانٍ، يعلّمون الناس أمور دينهم بحريّةٍ وسلامٍ»[1].

ومن هؤلاء الزعماء، أمير منطقة تمالي: جبريل عبد الله أبو بكر، الذي يبلغ من العمر خمسةً وستينِ عامًا، وقد كان حريصا على دعم النشاطات الدّعويّة في المنطقة، فقد درس هذا الأمير القرآن الكريم على يد معلمي قريته، وتقلّد الإمارة بعد وفاة والده عام ١٩٩٦م، وقد أحبّه الناس، لحكمته وحلمه واهتمامه بشؤون أتباعه من قبيلة الدغمبا المسلمة، له أربع زوجاتٍ وأربعة عشر ابنًا، مكّنه الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أداء فريضة الحجّ على نفقة بعض المحسنين، فتعززت مكانته عند أتباعه، وبدأ ينشر الإسلام بين غير المسلمين في قبيلته، للأمير جبريل عشرة مستشارين (وزراء) يلتفّون حوله كلّ اثنين وجمعة من كل أسبوع، ويتبعه سبعة أمراءٍ في القرى التابعة له، أصغر منه مكانةً ونفوذًا، يجتمع بهم مرتين في أوّل كلّ

---

(١) مجلة الكوثر، العدد(٤٩)، نوفمبر ٢٠٠٣م

شهرٍ، وفي منتصفه، وتخضع له عشرون قريةً، يتولى تعيين الأمراء والمسؤولين عليها[١]، ولنا أن نتخيل كم سيدخل في الإسلام بإذن الله بسبب هذا الأمير!

خامسا: الهدية:

الهدية وسيلة تطفئ نيران الضغائن، وتحلّ أعقد الأزمات والمشكلات والنزاعات، فلها عظيم الأثر، وجسيم الخبر، في استجلاب المحبة، وإثبات المودة، وإذهاب الضغائن، وتأليف القلوب.

وهي دليلٌ على الحبّ، وبريدٌ إلى القلب، وهي شعار التقدير، وعنوان التكريم، وقد كان النبي ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها، ويدعو إلى قبولها، ويرغب فيها، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[٢]، وقال ﷺ: «تهادوا تحابوا»[٣]. قال القرطبيّ: «فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية، وفيه الأسوة الحسنة، ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس»[٤].

وبلقيس عندما استخدمت سلاح الهدية، محاولة منها لاستقطاب أعظم ملوك الدنيا آنذاك قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

قال قتادة: «يرحمها الله، إن كانت لعاقلةً في إسلامها وشركها، قد علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس»[٥].

---

(١) حقيبة مسافر، ص٧٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من أجاب إلى كراع، ج:٥، رقم ١٩٨٥.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم ٥٩٤، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، رقم ٤٦٢.

(٤) تفسير القرطبي، ج:١٣، ص١٣٢.

(٥) تفسير القرطبي، المرجع السابق، ج:١٣، ص ١٨٦.

قدّم الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ الهدية، وكانت من الوسائل الدّعويّة المستخدمة لديه، والظاهرة بوضوحٍ طوال فترة عمله الإغاثيّ والدّعويّ، وقد كان لها عظيم الأثر في تقصير كثيرٍ من المسافات أمامه.

ففي ملومب- وهي قرية تقع في جنوب السنغال، معظم سكانها وثنيون، يتولاهم أميرٌ وثنيٌّ، يقدّسه الأهالي، وله مكانةٌ عظيمةٌ في نفوسهم- حاول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول الأمر أن يقابل هذا الأمير باعتباره المفتاح الذي يفتح به أبواب القرية لدعوتهم إلى الله، ولكنّه علم أنّه لا يستقبل أحدًا من سكان القرية، فكيف بالغرباء! فكّر في منفذٍ آخر، فحفر بئرًا فيها، أدرك بعضهم أنّ هذا العمل الإنساني الذي قام به لا يمكن أن يكون نابعًا إلا من دين يتصف بالرحمة ويحمل في تعاليمه كل خير، فأسلم عدد منهم، ثمّ عاد الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثانية إلى هذه القرية، وكان يحمل معه في هذه المرة هدايا خاصة بأمير القرية، فلاحظ أنّ البئر التي حفرها قد تركت أثرًا حميدًا واسعًا في نفوس السكان، ومنهم الأمير، الذي استقبله استقبالًا طيبًا، وقال له: الإسلام للناس كافة، ووزّع الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هدايا على كبار أهلها، فأعلن بعضهم إسلامه[1].

وفي جزيرة فرافاسي- التي تبلغ نسبة المسلمين فيها ٣٠٪ بينما الباقي من سكانها إما وثنيون أو نصارى- قابل الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ ملك المنطقة وحدثه عن الإسلام، وأهداه ثوبًا من الثياب الخليجية البيضاء، فاستمع الملك والأهالي له باهتمام بالغ، وأسلموا[2].

---

(١) حقيبة مسافر، ص ٣٤.

(٢) محاضرة بعنوان: مبشرات من إفريقيا، د/عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات، http://www.islamweb.net

وفي قرية فاتاكيدا- إحدى القرى المدغشقرية، التي تبعد عن العاصمة أكثر من ثلاثين ساعة سفرًا بالسيارة، بسبب وعورة الطريق المؤدية إليها، ومشقة السير فيه- خاض الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجربة السفر إليها، لدعوة أهلها إلى الإسلام، فاستقبله زعيمها، وقد اعتذر له الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سوء مظهره هو ومن معه، حيث أنّ ملابسهم قد تلطخت بالطين، وتلوثت بمياه المستنقعات، التي تفوح منها روائح تبعث على الاشمئزاز، قدّم له الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الهدايا، وطلب منه أن يجمع أهالي قريته ليعرفهم بالإسلام، وقد تمكّن بفضل الله من إقناع بعضهم، فأعلنوا إسلامهم، أمّا الزعيم فقد أسلم في وقتٍ لاحقٍ، ومكّنه الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أداء فريضة الحجّ، ليعود إلى أهله مؤمنًا صالحًا، ويقتدي بإسلامه بقية القرية عن بكرة أبيها، بل امتدّ نور الإسلام إلى مجموعةٍ من القرى المجاورة، لتدخل في دين الله أفواجًا[1].

ويروي الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصةً أخرى فيقول: «زرت أحد مخيمات اللاجئين في الصومال أثناء فترة المجاعة، وأنا في لباسي الخليجيّ، وعند وصولي نزلت من السيارة لأستجمع معلوماتٍ عن حجم المجاعة في المناطق المهجورة، تمهيدًا لتقديم المساعدة، ولكنّ شيخ القبيلة استقبلني بصورةٍ تنقصها اللباقة، وكال لي الشتائم لأنّنا على حد قوله جئنا لنتفرج عليهم، لا لتقديم المساعدة لهم، بل اتهمنا بأنّنا نجمع المال باسمهم دون أن نعطيهم منه شيئًا، ثمّ طردنا من منطقته شر طرده، ولاحقنا الأطفال والأيتام بالحجارة والشتائم، فلجأت إلى السيارة بحثًا عن الأمان، بعد عصر ذلك اليوم، اشتريت بعيرين سمينين، وطلبت من بعض

---

(١) رسالة إلى ولدي، ص ٧٤.

دعاتنا أن ينحروهما بحضور شيخ القبيلة، وأمام كوخه، ويوزعوا لحمهما على الفقراء والمساكين، وعندما زرتهم في اليوم التالي، فوجئت بالأطفال، يتوسطهم الشيخ، يستقبلونني بترحابٍ كبيرٍ، وهم ينشدون قصيدة: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع»[١].

سادسًا: مناسبة ختان الأطفال:

لقد دأبت المجتمعات الإفريقية، مسلمة كانت أو مسيحية، على الاحتفال بعادات ومناسبات دينية أو اجتماعية، وليس من الحكمة في شيء التصادم مع هذه العادات أو اتخاذ موقف سلبي منها، ما لم تخالف الشرع، بل الحكمة تقتضي أن يستفيد الداعية منها لمد جسور التعارف والتعاون، أو على الأقل لإعطاء صورة إيجابية عن الإسلام وأهله، وتعتبر مشاركتهم في حفلاتهم الاجتماعية كحفلات الزواج والعقيقة والوفاة من أكثر رموز التقارب واكتساب الاحترام والتقدير من لدن الأفارقة.

وقد كانت حملات ختان الأطفال – التي ينظمها الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كثير من المناطق الإفريقية – إحدى الوسائل التي تساعد على نشر الإسلام في هذه المناطق حيث تقام الأفراح بهذه المناسبة، ومن ثم يقوم باستغلالها دعويًّا للوصول إلى أكبر شريحة من المجتمع، فالطريقة التقليدية التي كان يجري بها ختان الأطفال في تلك المناطق كانت تسبب نزيفًا شديدًا يؤدي إلى موت بعضهم أحيانًا، أو على الأقل تسبب لهم الالتهابات والمضاعفات، تكلفة ختان الطفل الواحد – على

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

يدي طبيب – لا يكلف أكثر من ٤-٦ دولارات. وبعد إجراء عمليات الختان يقوم الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإعطاء هدايا للأطفال، عبارة عن ثياب نظيفة وبعض اللعب، يفرحون بها فرحة عظيمة ويكون مظهرهم جميلا في تلك الثياب العربية، وبعضهم يلبس النظارات الملونة، وبعضهم يلف حول رأسه عمامة حمراء عليها هلال حسب عادات الناس هناك.

ويذكر الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قرر أن يقوم بحملة ختان في موزمبيق، لأن المسلمين لا يستطيعون ختان أولادهم في المستشفيات بسبب ضعف الإمكانات، حيث تبرع لهم إخوانهم في جمعية الأطباء المسلمين في جنوب إفريقيا بتكاليف حملة يفترض أن يختن فيها ٥٠٠ شخص من المسلمين، ولكن الذين سجلّوا أسمائهم فاق العشرة آلاف شخص، وفي رواندا كان الأهالي يصرون على الختان بأي ثمن، ويذكر أن شخصًا بلغ أكثر من ٧٥ سنة أصر على الختان بعد دخوله الإسلام، وكان ختانه نوعًا من التحدي الطبي، مر بسلام ولله الحمد[١].

وفي آخر مرة حضر الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها لإجراء هذه العمليات كانت في إحدى ضواحي الخرطوم، حيث قام بختان حوالي ٥٠ طفلًا من أبناء جنوب السودان وسط احتفالات جماهيرية[٢].

---

(١) حقيبة مسافر، ص ١٧

(٢) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تاريخ:١٩/ ٥/ ٢٠١١م

سابعًا: الرعاية الطبية:

على الرغم من بلايين الدولارات الأمريكية التي تم استثمارها في قطاع الصحة في إفريقيا، فإن نقص العاملين المؤهلين في مجال الرعاية الصحية، وبخاصة في المناطق الريفية في العديد من البلدان، يشكل عائقًا رئيسيًّا أمام مد مظلة الخدمات الصحية لتشمل الفقراء[(١)].

يذكر السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن طبيبا من إحدى البلدات الإقليمية في إثيوبيا تم تكليفه بالعمل في منطقة نائية على بعد نحو ٣٨ كلم من البلدة المحلية، ونحو ١٨ كيلومترًا من أقرب طريق رئيسي، لكنه لم يذهب، وبعد مضي عامين، تم إرسال طبيب حديث التخرج إلى هذه المنطقة، زاول هذا الطبيب مهام عمله لمدة شهر، لكنه لم يكن بوسعه الحصول على راتبه إلا إذا سافر لمسافة ١٨ كيلومترًا ممتطيًا صهوة أحد الخيول، وبعد شهرين، لملم هذا الطبيب أغراضه، وحصل على راتبه، ثم سافر مباشرة إلى واشنطن العاصمة بالولايات المتحدة»[(٢)].

رغم الاستثمارات الكبيرة في قطاع الرعاية الصحية في إفريقيا، فإن السكان -وبخاصة سكان المناطق الأفقر- في العديد من بلدانها في جنوب الصحراء مازالوا يعانون أشدّ المعاناة بسبب محدودية تغطية خدمات الرعاية الصحية، ويموت أكثر من مليوني طفل بسبب الملاريا، وأكثر من ٦٠ مليونا يعيشون تحت خط الفقر[(٣)].

---

(١) موقع منظمة الصحة العالمية: www.who.int/bulletin/volumes

(٢) رسالة إلى ولدي، ص ٧٩.

(٣) موقع منظمة الصحة العالمية: www.who.int/bulletin/volumes

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذهب نصرانيٌّ اسمه بول- من المهتدين الجدد - وقد سمّى نفسه أبا بكرٍ، ليطلب العلاج في مستشفى الكنيسة التابع لمنطقة بورغو في مدينة كوفوايسا إحدى مدن جمهورية بنين، ولكن الأطباء والممرضين رفضوا علاجه بحجة أنه شارك في الحفل الذي أقمناه في المنطقة للمهتدين الجدد، وأنه أشهر إسلامه فيه أمام الناس»[1].

ولا غرابة في مثل هذا الموقف، فالكنيسة تربط تقديم خدماتها الاجتماعية كالرعاية الصحية والتعليمية باعتناق نصرانيتها، على عكس شريعة الإسلام التي يحظى فيها جميع الناس بالرعاية والاهتمام؛ ولهذا فقد جعل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأولوية في تقديم الرعاية الصحية للمسلمين[2].

ومن دراستي لهذه الوسيلة، أستطيع أن أقسم عمل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرعاية الطبية من خلال ما يلي:

١- بناء المستوصفات والمستشفيات:

لقد كان السميط طبيبا، يعرف مدى أهمية العناية بالصحة، وأثرها على الفرد والمجتمع، وخصوصا في تلك القارة التي تعج بأنواع شتى من الأمراض الفتاكة والمعدية، وكيف يتسنى لمجتمع يعاني من تلك الأمراض أن ينشغل بالدعوة إلى الله أو يتقبلها.

---

(١) حقيبة مسافر، ص ٤٩.

(٢) من مقابلتي للأستاذ: أحمد حلاج، مدير مكتب رئيس مجلس إدارة جمعية العون المباشر، يوم الثلاثاء: ٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

اهتم السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإنشاء المستوصفات، حتى وصلت إلى أكثر من ٢٥٦ مستوصفًا في٤٠ دولة في إفريقيا، منها أربع مستشفيات يوجد فيها أجهزة لا توجد في المستشفيات الحكومية، بالإضافة إلى إقامة مئات المخيمات الطبية، وقد أنشأ أكبر مخيم طبي متنقل في إفريقيا[١]، وبنى أكبر مستشفى للعيون - مستشفى الأبيض التخصصي للعيون- في مدينة الأبيض بولاية شمال كردفان في السودان، يخدم نحو ٢٠ ألف مريض سنويا، ويتم فيه إجراء ما يقارب من ٣٠٠٠ عملية جراحية سنويا، منها ١٩٠٠ عملية لإزالة المياه البيضاء حسب آخر إحصاءات وزارة الصحة السودانية[٢].

وقد كان لهذه المشاريع أثرٌ كبيرٌ في نشر الإسلام وبيان سماحته ورحمته، فهي تقدم جميع خدماتها الصحية بدون مقابل، كان يختار رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكانها بدقة، فيبنيها في الأماكن التي تنعدم فيها الرعاية الصحية تماما وغالبا ما تكون أماكن بعيدة، ولا يكون دورها محصورا على تلك القرية التي تبنى فيها فقط، وإنما تخرج بشكل دوري للقرى القريبة منها؛ وبذلك يعم نفعها أكثر الناس[٣].

٢- القوافل الطبية:

هي عبارة عن قوافل طبية تقدم الخدمات الطبية بشكل عام، وتجري عمليات جراحية للعيون بشكل خاص، وإذا عرفنا أن أكثر من ٣٨ مليونا في العالم مصابون

---

(١) برنامج: عبد الرحمن الفاتح، قناة الوطن الكويتية، رمضان، ١٤٣٥هـ.

(٢) من مقابلتي مع الأستاذ/ عبد المنعم أحمد حلاج، يوم الثلاثاء: ٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

(٣) مؤسسة إبصار الصحية، الجمهورية اليمنية، صنعاء: http://ebsarye.blogspot.com/ .

بالماء الأبيض، أو كما يسمونه في الطب «كتاراكت»، منهم ٩٠٪ في إفريقيا[(١)] ، فإنه يتضح لنا مدى ما تعانيه هذه القارة من مصائب ومحن، ومدى أهمية أن يقام هناك مشاريع صحية تنقذهم، أسس السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشروعا ضخما لمكافحة العمى، وشارك فيه أطباء متطوعون بدرجات علمية عالية، بعضهم أجرى أكثر من مائتي ألف عملية كلها مجانية بفضل الله سبحانه وتعالى[(٢)] .

يستمر المخيم في العادة لمدة أسبوع، يكون اليوم الأول فيه لاستقبال الوفد الطبي في المطار وإيوائه، ثم في اليوم الثاني تجهز المعدات، وفي نفس الوقت يطلعون على أعداد كبيرة من المرضى لاختيار المناسب منهم لتجري له العملية، ثم في اليوم الثالث والرابع والخامس تجرى العمليات، وعادة ما يعمل الأطباء من الصباح الباكر أحيانًا يبدؤون الساعة السادسة صباحًا ويستمرون حتى الساعة ١٢ ليلا، بدون توقف إلا لوجبات الطعام، والصلاة، وأحيانا للراحة إذا شعروا بالتعب، وعادةً حتى الأكل يأكلون داخل غرفة العمليات، وكثير منهم يحمل درجة أستاذ جامعي أو بروفيسور؛ لذلك يقومون بهذه العمليات كلها في ثلاثة أيام فقط، ثم في اليوم السادس يزيلون الضماد عن المرضى، ويخرجونهم إلى بيوتهم، ثم في اليوم السابع يغادر الأطباء إلى المطار.

وقد أقيم ما يزيد عن خمسين مخيما لعلاج أمراض العيون في إفريقيا، وفي دول كثيرة: زنجبار، كينيا، تشاد، النيجر، جنوب السودان، السنغال، بوركينا فاسو،

---

(١) من مقابلتي مع الأستاذ/ عبد المنعم أحمد حلاج، يوم الثلاثاء:٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

(٢) من مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الإثنين: ٢٥/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

مالي، غينيا، ولله الحمد. بمعدل أربع مخيمات في كل سنة، تقدر تكلفة المخيم الواحد بحوالي ١٢ ألف دينار كويتي أو ٤٠ ألف دولار أمريكي، ويعني هذا أن العملية الواحدة تكلفهم ٤٠ دينارا كويتيا أو ١٠٠ دولار، في كل مخيم يتم فحص ما بين ٥٠٠٠ -٧٠٠٠ حالة، ويجرى ما بين ٤٠٠ - ١٠٠٠ عملية[١].

كما ذكرت سابقًا فقد حرص رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن يقدم خدماته الإغاثية للمسيحيين والوثنيين وأصحاب الديانات الأخرى من دون تمييز، وهذا ما يجعل الكثير منهم يدخلون في الإسلام بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بسبب هذه المخيمات الطبية[٢].

والقصص التي يرويها الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه المخيمات كثيرة جدا، سأورد بعضا منها على سبيل المثال: «في قبيلة اللوكو المسيحية في سيراليون، حيث بدأ عمله الطبي بينهم قبل الدعوة، فتأثروا بأطباء الجمعية، وسألوهم عن الإسلام، واقتنعوا به، وأسلم اثنان من زعماء القبيلة، فأسلمت بحمد الله غالبية القبيلة، وارتفعت نسبة المسلمين فيها خلال سنة ونصف من (٥٪) إلى (٦٠٪)، ثم قام ببناء مركز إسلامي عندهم، يضم مدرسة ومستوصفا ومسجدا ودارا لتدريب النساء، كما قام كذلك ببناء عدد من المساجد والمدارس، وإرسال الدعاة لهم، كما أرسل زعماء القبيلة إلى الحج، فتأثروا، وعادوا دعاة للإسلام في أوساطهم»[٣].

وفي دولة توجو صادفت التجربة الثانية في مخيمات العيون وجود مصارعة يحضرها رئيس الدولة والفائز فيها يتزوج، أما الخاسر فينتظر لمدة عام آخر، وتم

---

(١) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الإثنين: ٢٥/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

(٢) برنامج : زيارة خاصة، لقاء مع قناة الجزيرة، تاريخ ٢/ ٦/ ٢٠٠٧م.

(٣) مجلة الكوثر، العدد (٤٨)، أكتوبر ٢٠٠٣م.

وضع خطة لهذه الرحلة، وقاموا بعلاج المسلمين وغير المسلمين بدون تفرقة، وسجلوا انطباعات المواطنين هناك على ما يقومون به من أعمال خيرية، ومنها قصة مصطفى الذي أبصر النور بعد ١٢ عاما قضاها في الظلام، وهو غير مسلم، ولما عرف أنهم جاؤوا من الكويت إلى توجو لكي يقدموا لهم العلاج مجانا تأثر وأشهر إسلامه»[١].

وفي قصة أخرى مع فتاة عمرها ١٥ سنة، من مدينة قلنغارا التي تبعد عن مدينة زغنشور عاصمة جنوب السنغال ٤٠٠ كيلو متر، وقد فقدت بصرها وعمرها ٥ سنوات، جاءت في مخيم علاج أمراض العمى، أجريت لها عملية جراحية أزالوا فيها عدسة العين وركبوا لها عدسة جديدة، وعندما خرجت من غرفة العمليات كان يتملكها هي وأمها يأس شديد خوفًا من فشل العملية، وعندما تمت إزالة الضماد لم تصدق أنها بدأت ترى، ولم تعرف إن كانت في عالم الحقيقة أم أنه حلم، لما تأكدت من عودة بصرها أصرت أن تجري عملية للعين الأخرى في اليوم التالي، وقبل أن تغادر المستشفى قالت: «أغلى أمنية وهي الإبصار، تحققت بفضل الله وبقي تعلم القراءة والكتابة، لأتمكن من حفظ القرآن ومعرفة فرائض الإسلام، وخدمة هذا الدين العظيم الذي أتى بكم من مكان بعيد من آلاف الكيلومترات حتى تخدمونا[٢].

وفي موقف آخر، أعلنت الكنيسة في منطقة مانغو الواقعة في غرب إفريقيا أنها ستقيم احتفالًا كبيرًا وصلاة في إستاد المدينة الرياضي بمناسبة وصول مبشر

---

(١) محاضرة بعنوان: أبصروا النور، موقع إسلام ويب، صوتيات: http://www.islamweb.net

(٢) محاضرة بعنوان: أبصروا النور، موقع إسلام ويب.

مسيحي ألماني يعالج كل الأمراض - بفضل روح القدس- فتجمع مئات العميان والمرضى والعجزة من غير المسلمين، أما المسلمون فقد رفضوا حضوره، نظموا لهم مخيما طبيا لعلاج أمراض العيون في هذه المنطقة، وأجروا خلاله ٣٥٠ عملية للمرضى المصابين بالعمى، وشفوا كلهم بفضل الله، ووزعوا أكثر من ١١٠٠ نظارة طبية مجانا، فقرر الكثير ممن شفاهم الله بالعملية أن يجوبوا القرى للدعوة إلى الله بعد أن جاءهم إخوانهم من العرب، وجعل الله شفاءهم على أيديهم، حتى يرى الناس ما عمل إخوانهم من العرب المسلمين، فأسلم المئات من المسيحيين والوثنيين»[(١)].

وضمن قافلة طبية ودعوية أرسلت إلى قرية بيفوفكا - في غرب مدغشقر - لمعالجة المرضى مجانًا، كان يقوم الدعاة بشرح مبادئ الإسلام للناس، وكانت نتيجة هذه الجهود أن أسلم ستون شخصًا في القرية وحسن إسلامهم[(٢)].

ومن هذا يتضح لنا أهمية معرفة الدّاعية لحاجات المجتمع الذي يعمل فيه، ومن ثمّ البدء بالأهم فالمهم من تلك الحاجات، وخصوصا ما يلامس حاجاتهم الصحية والمعيشية، وهذه القوافل الطبية كانت وسيلة مميزة للاتصال بالناس هناك، واستفاد السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ منها كثيرا في إظهار سماحة الإسلام، وذلك بحسن معاملته للناس، من دون تفرقة بين مسلم وغيره، ممّا جعلهم يسألون عن هذا الدين الذي حدا بهذا الرجل أن يفعل ما فعل، من دون أن يطلب مالًا أو جاهًا، ويشعرون بعظمة الإسلام، ومن ثم يدخلون فيه بإذن الله تعالى، ولاسيما أنهم يرون المنصرين

---

(١) مجلة الكوثر، العدد(٣٢)، يونيو ٢٠٠٢م.

(٢) المرجع السابق.

هناك، وما يقدمون من أعمال، فهم لا يعملون أي عمل كان إلا ويطلبون مقابلا له، وهو الدخول في دينهم، ومن يرفض منهم فلا علاج له ولا مال ولا طعام.

ثامنًا: بناء المساجد:

قال ﷺ: «من بنى لله مسجدًا يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة»[(١)].

إن بناء المساجد وخصوصًا في إفريقيا، له مميزات ومرغبات تحث أهل الإحسان على المبادرة والمسارعة في بنائها رغبة في ثواب الله، ومن هذه المميزات[(٢)]:

- أثره العجيب على تصحيح عقيدة ومنهج الناس خصوصًا إذا ضبط المسجد وأسند لرجل صحيح العقيدة، سليم المنهج، فتجد المسجد بعد فترة قد أزاح البدع والخرافات عن الناس بتوفيق الله.

- قلة التكلفة.

- بث روح الألفة والمحبة والتعاون بين المسلمين، فإذا وجد المسجد التف حوله الناس والشباب، فبدأ النشاط يدب من خلال المسجد، فتجدهم في أواخر رمضان معتكفون وبعد العصر من كل يوم درس من التفسير أو الحديث ثم يليه حلقه لتحفيظ القرآن للصغار، ثم بعد الفجر حلقة للكبار، وفي مؤخرة المسجد مصلى يرتاده النساء للفائدة والتعليم، فكم من نفس اهتدت وارتفعت معنوياتها، وكم من نفس اعتادت على بدعة ثم تركتها لما رأت من أنوار السنة، وكم من صبي حفظ آيات من القرآن.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدا، ج:١، رقم:١٧٢.

(٢) مجلة الدعوة، مقال بعنوان: دعوة لبناء المساجد في إفريقيا المسلمة، عبد الله ناصر العيدي، العدد (١٧٨٠)، تاريخ: ١٤٢١ هـ.

- رفع لواء الإسلام والسنة: مع الأسف فالكنائس منتشرة في إفريقيا وكل قرية لا تخلو من كنيسة أو كنيستين، بنيت على أحدث طراز وأجمل بنيان، وقد لا يدخلها أحد، وهم يعلمون ذلك، ولكن رغبة في أن يتعود عليها الناس وقد تجد مسجدًا وقد يكون عريشًا، لا يقي الناس من الحر أو البرد كان بناؤه رفعة لشأن المسلمين ورفعًا لمعنوياتهم، وقد تجد في بعض القرى مسجدًا سيطر عليه أهل البدع والضلال من الصوفية وغيرهم[1]. فتجد أهل العقيدة الصحيحة في حيرة من أمرهم، قد تركوا الصلاة في المسجد على مضض، فبناء مسجد عند هؤلاء هو نصر لسنة الحبيب ﷺ ونشر للسنة.

وقد حذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العمل الفردي والشخصي في بناء المساجد خصوصا للأسباب التالية:

١-الاختيار غير المناسب لموقع المسجد إما بسبب العاطفة أو عدم الدراسة الكاملة للمنطقة، ثم يكون دور المسجد ضعيفًا على خلاف ما أراد المحسن.

٢-تعرضه للإهمال، فبناء المسجد عن طريق فردي ينتج عنه في الغالب، إهمال وضياع المسجد، ولقد لاحظ مساجد كثيرة مهملة، بل سيطر عليها المبتدعة والفرق المنحرفة.

أما إذا كان بناء المسجد من خلال جمعيته-العون المباشر فإن الأمر يختلف، حيث تكلف لجنة للنظر في هذا الطلب، ومدى مناسبة المسجد للموقع، ثم تضاف ملكية الأرض لجمعيته -جمعية العون المباشر- حتى لا ينازع عليها أحد،

(١) مقال بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية (جمعية العون المباشر- لجنة مسلمي إفريقيا)، موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/.

ثم يتم البناء، ويوضع على المسجد اسم المتبرع، وبعد ذلك يعين عليه إماما سليم المنهج صحيح العقيدة، حتى يثمر هذا المسجد وتظهر آثاره، ثم يوضع ملف هذا المسجد لمتابعته وصيانته فيما بعد، ويكون المتبرع على اطلاع دائم بحال المسجد، وما يحتاج إليه(١).

كان يركز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على المناطق ذات الأصول الإسلامية، يبني فيها مسجدا، يتحول بعد ذلك إلى مركز إسلامي متكامل، ورسالة هذه المساجد لا تتوقف بتأدية الصلاة فقط، بل تصبح مناراة للتسامح ومركزا لإدارة شؤون الناس، ولحل قضاياهم وخلافاتهم، وأماكن لإقامة بعض المشاريع الدعوية، من خطب ودروس وحلقات لتحفيظ القران، وتفطير للصائمين، وذبح الأضاحي.

وكان لذلك الأثر الكبير في دخول الكثير للإسلام، حتى أن وفدا مسيحيا ذهب من ساحل العاج لمقابلة رئيس جمهورية توغو مستنكرًا السماح بالتوسع في بناء المساجد في كل مكان في توغو، وخاصة منطقة الرئيس نفسه حيث كان وثنيًّا، وقد كرر رئيس الوفد السؤال ثلاث مرات- والرئيس صامت تمامًا- ولما ألحّ عليه في المرة الرابعة قال غاضبًا: هل أخذوا أراضي الكنيسة؟ إن الناس يطلبون بناء مساجد، وإذا طلبوا منكم بناء كنائس لهم فلن نمنعكم من ذلك(٢).

---

(١) محاضرة بعنوان: بعد الأوثان سجدوا للرحمن، صفحة الشيخ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات: http://www.islamweb.net

(٢) المرجع السابق.

وفي سيراليون قام مجموعة من الضباط النصارى بتقديم طلب للسميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبناء مسجد، فطلب منهم أن يأتوا بخطاب رسمي من الحكومة، فجاؤوا به وبنى لهم مسجدا في قريتهم[(١)].

وفي إحدى القرى بنى مسجدًا من القش، وبعد مدة، طلبوا منه بناء مسجد من الأسمنت، ووجد متبرعًا لهذا المشروع، ففرح المسلمون في هذه القرية فرحا شديدا بمسجدهم وكانوا يتباهون به أمام غير المسلمين، وبين الحين والآخر، يتأثر البعض من هؤلاء وينطق بالشهادتين، وإذا ما يسر الله له إرسال المزيد من القوافل الدعوية أو الطبية، فلا شك في أن معظم أهل هذه القرية والقرى المجاورة لها سوف يعتنقون الإسلام»[(٢)].

ويقول السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زرت بعض القرى في بوركينا فاسو، واستقبلني زعيمها المسلم موسى كابولي، ونحن نغادر القرية تعالت أصوات أهاليها وألسنتهم تردد كلمة واحدة: فهم لا يريدون مالًا ولا طعامًا ولا كساءً، وإنما يتمنون إقامة مسجد في قريتهم واعدين بأن يتحول من بقي فيها من غير المسلمين إلى الإسلام»[(٣)].

وفي جزيرة فرافاسي التي تبلغ نسبة المسلمين فيها ٣٠٪، بينما البقية من سكانها إما وثنيون أو نصارى، طلبوا من الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكرر الزيارة

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٣٦)، أكتوبر ٢٠٠٢م.

(٢) مجلة حياة، لقاء مع أم صهيب زوجة عبد الرحمن السميط، العدد (٤٦) صفر ١٤٢٥هـ.

(٣) حقيبة مسافر، ص٢٠.

قائلين: «إننا لا نزال نعيش في ظلام التقاليد والعادات، وإذا أردتم أن تزيلوا معتقداتنا المخالفة لدينكم، فلابد من إقناعنا فأكثروا من الزيارات حتى تنيروا لنا طريق الهداية، واتركوا فينا داعية يشرح لنا الإسلام، ويؤم المسلمين في صلاتهم، وإذا ما بنيتم لنا مسجدًا، وحفرتم بئرًا، وأرسلتم داعية فتأكدوا أن جميع أهالي القرية سيسلمون، فما تذكرونه عن الإسلام ليس غريبًا عنا»[(١)].

وحينما افتتح الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد مساجده في منطقة بولغو، دعا الأهالي ثلاثين زعيمًا للقرى المجاورة، وبعد الافتتاح عقدوا اجتماعًا، وناشدوا من لم يسلم منهم أن يفكر في الإسلام بجدية وأن يروا كيف بارك الله في القرى التي أسلمت[(٢)].

وهناك العشرات من رجال الدين النصارى أو عامة الناس الذين يصرون على إرسال أبنائهم إلى المساجد لتربيتهم على الأخلاق الإسلامية، رغم وجود رياض الأطفال النصرانية المجهزة بأحدث وسائل الترفيه والألعاب، ويشرف عليها أكفاء مؤهلون تربويًا وعلميًا، فلله الحمد والمنة[(٣)]. وقد تم بناء (٤٥٦٥) مسجدا في مختلف الدول الإفريقية بفضل الله[(٤)].

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٢) انظر مجلة الكوثر، العدد (١٣)، نوفمبر ٢٠٠٠م.

(٣) انظر مجلة الكوثر، العدد (١٥)، يناير ٢٠٠١م.

(٤) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/ .

تاسعًا: مراكز التدريب المهني:

هي مراكز مخصصة للطلاب المتعثرين دراسيا، فلا يتوقع أن جميع الطلاب متميزون، ويستطيعون أن يواصلوا دراستهم، أنشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهؤلاء النوعية من الطلاب فصولا خاصة بالتدريب المهني، وعمل ورش التدريب على النجارة والحدادة والخياطة والتمديدات الكهربائية، وتعمل الورش بنظام الدورات التخصصية، تحت إشراف مدربين أكفاء ذوي مهارات وخبرات عالية، ويمنح المتدرب شهادة بعد التدريب[١].

وقد أنشأ الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديد من مراكز التدريب المهني في دول إفريقيا للتدريب مجانا؛ مما كان له أثر هام في تغير حياتهم من الفقر إلى الاكتفاء الذاتي، كما أنشأ معاهد التدريب على الكومبيوتر في عده بلدان أفريقية، وصل عددها إلى ٥٥ معهدا في ١٥ بلدًا إفريقيًّا[٢]، وخصص لهؤلاء الطلاب مشروع شراء ماكينات خياطة، يوزعها على الطلاب الفقراء والأيتام، وتكون وسيلة لكسب الرزق إضافة إلى أنها تغير نظرة غير المسلمين إلى الإسلام، وتكون سببًا في دخول العشرات لدين الإسلام بإذن الله[٣].

عاشرا: حفر الآبار:

مع كثرة مياه الأنهار والأمطار والمياه الجوفية والعيون في إفريقيا فإن عدم توفّر الماء النظيف والكافي من أكبر المشكلات، بل إن هناك ما يقرب من ٣٠٠

---

(١) برنامج: عبد الرحمن الفاتح، قناة الوطن الكويتية، رمضان ١٤٣٥هـ.

(٢) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/.

(٣) مجلة حياة، ملف أوراق متناثره، د: عبدالرحمن السميط، العدد (٦٤) شعبان ١٤٢٦هـ.

مليون إفريقي لا يجدون المياه النظيفة أو الآمنة، هذا بخلاف ٣١٣ مليون إفريقي مصابين بأمراض سببها الأساسي تلوث المياه، وتمثّل نسبة مَن لا يحصلون على المياه النظيفة حوالي ٤٠٪ من سكان إفريقيا[١].

وفي هذا الجانب يعاني الأفارقة معاناة شديدة، حيث يتعيّن عليهم في كثير من الأحيان المشي على الأقدام لمسافات طويلة للحصول على الماء، وهو ما قد يتسبّب في أضرار لهم، وفي صرفهم عن دراستهم وأعمالهم، ويقلّص من قدرة مشاركتهم في المجتمع، إضافة إلى الأزمة الصحية التي تتكرر مشاهدها يوميًا في الأحياء والقرى الفقيرة، فهي مليئة بالجراثيم التي تصيبهم بالأمراض التي تسبّب الوهن والضعف عندما يشربونها، ومن أهم هذه الأمراض مرض الإسهال الذي يحتل المرتبة الثانية بعد مرض ذات الرئة من حيث عدد الأطفال الذين يقضي عليهم[٢]، متفوقًا على أمراض الملاريا والحصبة وفيروس مرض المناعة «الإيدز HIV» مجتمعة[٣].

وفي تقرير صدر عن برنامج الأمم المتحدة للمياه وحفظ الصحة العامة في شهر مارس ٢٠١٣م[٤]، حذر من كارثة إنسانية تنتظر القارة السمراء، وتهدد

---

(١) المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد) المملكة العربية السعودية، جدة:
http://www.medadcenter.com /

(٢) بالإنجليزية (Pneumonia) أو الالتهاب الرئوي الحاد: هو مرض يصيب الرئتين، والجهاز التنفسي، تلتهب فيه الأسناخ الرئوية، وتمتلئ بالسوائل. والعوامل المسببة للمرض كثيرة، منها العدوى بالبكتيريا، والفيروسات، والفطريات، والطفيليات، أو لأسباب كيميائية أو فيزيائية.

(٣) بانابرس، موقع متخصص في شؤون القارة الإفريقية، ويصدر عن مؤسسة المنتدى الإسلامي.
www.panapress.com

(٤) مركز أنباء الأمم المتحدة: http://www.un.org/arabic/news

باندلاع المزيد من الحروب والصراعات من أجل الحصول على قطرة المياه، حيث أكد الحقائق التالية:

- يفتقد أكثر من ٣٠٠ مليون شخص في إفريقيا الحصول على المياه النقية والتسهيلات الخاصة بوسائل حفظ الصحة العامة.

- تعد إفريقيا أقل القارات في العالم في إمكانية وصول خدمة شبكاتها لتقديم مياه نقية أو صحية.

- يعاني نصف سكان إفريقيا من الأمراض المتصلة بالمياه غير النقية أو الصحية.

- هناك ٤٠ دولة في العالم وردت في قائمة الدول التي تعاني من أزمة المياه، نصفها دول إفريقية.

- تضم القائمة الخاصة بالـ ١٣ دولة الأكثر معاناة وتضررًا بين أزمة المياه ٩ دول إفريقية، هي: جامبيا، جيبوتي، الصومال، مالي، موزمبيق، أوغندا، تنزانيا، أثيوبيا، إريتريا.

- تعاني ٣١ دولة، غالبيتها في إفريقيا والشرق الأوسط حاليا من ضغط أو قلة المياه، وسيصل العدد - كما تشير التوقعات إلى ٤٨ دولة مع حلول عام ٢٠٢٥، أي أن ٢ من ٣ أشخاص سيواجهون مشكلة ندرة المياه عام ٢٠٢٥؛ حيث ستكفي المياه لاستهلاك ٣٥٪ فقط من سكان الأرض، والعلم عند الله تعالى.

- يعيش الفرد من سكان الدول الإفريقية على أقل من ١٠ لترات من الماء (أي ٢.٦ جالون) يوميا، وهي ظروف يائسة جدا، مقارنة بسكان بقية الدول المتضررة من الأزمة التي كان متوسط نصيب الفرد اليومي في استخداماته للمياه قد بلغ ٣٠ لترًا (أي ٨ جالونات)، وفي المقابل تقدر احتياجات الفرد العادي من المياه يوميا

بـ ٥٠ لترًا (أي ١٣,٢ جالونا) تشمل ٥ لترات للشرب، و٢٠ لترًا للاستخدامات الصحية، و١٥ لترًا للاستحمام، و١٠ لترات للطهي وإعداد الطعام[١].

لقد لاحظ الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الحاجة الماسة والملحة للمياه النظيفة، فعمل مشروع حفر الآبار، وقرر أن يجعل منه وسيلة للدعوة إلى الله.

زار الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناطق كثيرة، كان فيها الأهالي كرماء معه إلى أقصى حد، إلا في الماء، فحين يطلبهم الماء للوضوء، ينظرون إليه باستغراب! وفي تشاد رأى أثار معارك بين قبيلة بني راشد (الرشايدة) وبني خزام سقط فيها ٨٠ شخصًا، ولم تتوقف هذه المعارك إلا بتدخل الجيش التشادي، كل هذا بسبب البئر الوحيدة في المنطقة، حاول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يحفر بئرًا ثانية، فوجد الكلفة آنذاك أكثر من ٤٠ ألف دينار كويتي، لأن الماء عميق جدًا[٢].

وكان الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشاهد مئات الفلاحين والرعاة يسقطون قتلى في مناطق مختلفة في إفريقيا مثل جبال النوبة في السودان وبعض مناطق الصومال وشمال كينيا وبوركينا فاسو ومالي وغيرها بسبب الخلاف على حقوق السقي والرعي[٣].

ويذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن محافظًا في جنوب السنغال اتصل به مرة وطلب منا مساعدة ست قرى نصرانية ليس فيهم مسلم واحد بسبب أن المتمردين اتصلوا

---

(١) المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد) المملكة العربية السعودية – جدة:

http://medadcenter.com /

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٣٥)، سبتمبر ٢٠٠٢م.

(٣) مجلة قراءات إفريقية، حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا، واقعه ومشكلاته، العدد ٦، سبتمبر ٢٠١٠م.

بأهالي القرى وطلبوا منهم الالتحاق بالتمرد، درس الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الطلب، وتبين له أن هذا العمل هناك قد يساهم في منعهم من اختيار طريق العنف، وبالتالي قد يمنع سفك دماء الجنود السنغاليين المسلمين، فزار القرى، وقابل شيوخها، وطلب منهم أن يسمحوا له بحفر آبار، فرحبوا به، وفرحوا فرحا شديدا، لأنهم كانوا في حاجة إلى الماء، وبعد إنجاز الآبار بعدة أسابيع، جاءهم مندوبون من ثلاث قرى، يسألونه عن المقابل الذي يريده منهم، فلما علموا أنه لا يطلب مقابلًا، قررت هذه القرى أن تسلم عن بكره أبيها، ثم بدأ الإسلام ينتشر في القرى الأخرى[١].

وقد كانت حصيلة هذا المشروع، حفر أكثر من ١٦٥٠٠ بئر ماء سطحي وارتوازي، لتوفير الماء النظيف لأهالي القرى والمناطق الفقيرة[٢].

الحادي عشر: مشروع ذبح الأضاحي:

قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٧].

بدأ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المشروع عام ١٩٨٢م، وهو من المشاريع الموسمية التي حرص على تنفيذها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويعد تظاهرة كبيرة في أيام العيد، كانت سببا في إسلام الكثيرين ولله الحمد، وذلك لما يرون فيها من روح التكافل الاجتماعي، وما يتخللها من برامج دعوية، مستغلا هذه الفرصة لحل المشاكل والخلافات التي تقع

---

(١) برنامج ساعة حوار مع عبد الرحمن السميط، قناة المجد الفضائي، ٨/ ٠٥/ ٢٠٠٨

(٢) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/.

بين القبائل أو بين القرى، حتى أن أحد دعاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان قاطع طريق، واستغرب هذا المشروع لما رأى فيه من روح التكافل والتسامح والإخاء، ونتج عنه دخوله للإسلام، حتى صار من الداعين له بتوفيق الله وفضله[١].

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستهدف المناطق الأكثر حاجة للدعوة الإسلامية، فيذبح الأضاحي ويوزعها عن طريق مكاتب جمعيته – جمعية العون المباشر– يذبح أكثر من ٣٥٠٠٠ أضحية سنويا، توزع على الفئات الأكثر حاجة كالمعوقين والمرضى وكبار السن، وتتراوح قيمة الأضحية من ١٠ الى ٥٠ دينارا كويتيا (١٣٠– ٥٥٠ ريالًا سعوديًّا)، وذلك تبعا لظروف الجفاف والمجاعات، فهناك عدد من الدول الإفريقية ومنها الغابون وانغولا، تكون الماشية مصابة بمرض التسي تسي، فيضطرون إلى استيراد الأضاحي بالطائرة من تشاد والكاميرون، ومن ثم ذبحها بأسرع وقت –وخلال ٢٤ ساعة – لكي لا تصاب بهذا المرض[٢].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قمنا بذبح عدد من الأبقار في جمهورية رواندا بمناسبة عيد الأضحى المبارك، وقد تولى عملية الذبح أحد الشبان الكويتيين غير مهتم بلباسه الأبيض الأنيق الذي تلّطخ بدم الذبائح بعدما عاد به من صلاة العيد وقد ملأ المكان عطرًا وطيبًا، ولم يكتف بذلك، بل أشرف كذلك على تقطيع اللحوم وتوزيعها في سيارة (الوانيت) على الفقراء والمحتاجين، وفي خضّم هذه الأعمال التكافلية، كان أحد الأشخاص من غير المسلمين يراقب هذا الشاب من بعيد،

---

(١) محاضرة بعنوان: رأيتهم فرحتهم بالأضاحي. موقع إسلام ويب، صوتيات، http://www.islamweb.net/

(٢) المرجع السابق.

مستغربًا وجود رجل أبيض في مثل هذه الهيئة الوقورة يتحمل كل هذه الدماء والتعب من أجل إطعام هؤلاء الناس، فلما سأل عن موطنه قيل له: إنه مسلم من دولة الكويت، فقال: أهو من كويت النفط، أم هناك كويت أخرى غيرها؟ فقيل له: إنه من كويت النفط والثروة، فقال: وما الذي دفعه لأن يتحمل كل هذا وهو غني، من أجل هؤلاء الفقراء؟ فقيل له: إنه دينه الإسلام الذي يأمره بأن يتواضع لله، ويكون من عباده الذين يمشون على الأرض هونًا، حتى يتقرب من هؤلاء الفقراء الذين يعتبرهم إخوانًا له يحبهم في الله، ويبذل ماله وبدنه في سبيل خدمتهم. فقال الرجل: إني والله أحببت هذا الشاب المسلم، وأحببت تواضعه، وأحببت دينه، وإني أريد أن أكون على ملّته، فأعلن إسلامه[١].

وفي موقف آخر أسلم حوالي ٥٥١ شخصًا في إحدى دول غرب إفريقيا خلال ذبح الأضحيات في عيد الأضحى المبارك على مدى ثلاثة أيام متوالية[٢].

وفي تنزانيا في قرية (إمجانجو) ذبح داعيته محمد ابراهيم الأضاحي ووزع لحومها، فجاءه بعض النصارى وطلبوا نصيبًا منها، فلم يتردد في إعطائهم ففرحوا كثيرًا. وبعد أيام، أبلغه الداعية أن عددًا منهم قد أعلن إسلامه[٣].

كذلك مع أحد الضباط النصارى في جيش غينيا بيساو الذي خصص لهذا المشروع شاحنة لتوزيع لحوم الأضاحي، وتولى قيادتها بنفسه طوال أيام العيد

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٣٠)، إبريل ٢٠٠٢م.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (١٤)، ديسمبر ٢٠٠٠م.

(٣) المرجع السابق.

الثلاثة رغم وجود سائق عنده، وقد قدم هذه المساعدات عندما علم بأنهم قافلة جمعية إسلامية خيرية تقدم الطعام للناس مسلمين كانوا أم غير مسلمين[١].

وفي قرية (تنديه أفوى) بنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسجدًا عندما أسلم زعيمها وأسلم كبير سحرتها، بسبب قطعة من لحم أضحية، نطق بالشهادتين في حفل ذبح الأضاحي الذي حضره المئات من أهالي القرية، وقدموا له بهذه المناسبة ثوبًا أبيضًا وهدايا متواضعة، وليعبر هو الآخر عن هذه الحلة الإيمانية التي لبسها قلبه وجسده، قدم لهم السوار الذي كان يضعه في يده، والحربة التي كان يستخدمها في أعمال السحر»[٢].

الثاني عشر: مشروع تفطير الصائمين:

قال تعالى واصفًا عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

وقال الرسول ﷺ: «من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره»[٣].

يهدف السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا المشروع، إلى فتح قلوب الناس للإسلام، واستمالتهم إليه، ولم يحصره على المسلمين فقط، وإنّما استفاد منه غير المسلمين، في ٤٠ دولة إفريقيّة، وكان سببًا في إسلامهم بإذن الله، تُوزّع فيه وجبات إفطار الصائم، وتُكلّف الوجبة الواحدة: نصف دينارٍ كويتيّ (خمسة ريالات سعودية).

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (١٦)، إبريل ٢٠٠٠م.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٢٠)، يونيو ٢٠٠١م.

(٣) سنن الترمذي، تحقيق: بشار عوّاد، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطَّر صائمًا، ج٣، رقم ٨٠٧، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

وفي كينيا وحدها، يبلغ عدد المساجد التي بناها رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٤٩٣ مسجدا، كلّ مسجدٍ يقوم بمشروع إفطارٍ للصائمين، ولكي يؤتي هذا المشروع أكله فإنّه لابدّ له من تخطيطٍ وإعدادٍ مسبق، حيث يجعل منه نواةً لمشاريع أخرى، فيستفيد من كلّ الطاقات الدّعويّة لديه بمشاركة ٣٢٠٠ داعية، يبنون المساجد، ويحفرون الآبار، ويوزّعون الملابس، والكتب الإسلاميّة، والمصاحف، ويقيمون المسابقات القرآنية، وحلقات تحفيظ القران، وَيُحيُون سنّة التراويح، ويقيمون القوافل الدّعويّة، وقد كانت نتيجته دخول الآلاف في الإسلام، ولله الحمد[1].

ويذكر الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض المشاهد التي كانت تحدث في مثل هذه المشاريع فيقول: «في أوغندا احتج قسيسٌ على دروسنا الدّعويّة التي نلقيها قبل الإفطار، فحاورناه بأسلوبٍ لطيفٍ، فأسلم، وأسلم معه ٦٠ شخصًا في الكنيسة في يومٍ واحدٍ»[2].

وفي مشهدٍ آخر يقول: «شارك زعيمٌ كنسيٌّ بروتستانيٌّ في ولائم الإفطار، وحاول أن يخدم معنا في توزيع الطعام، فرحبنا به، لعلّنا نستميل قلبه، وفي ليلة ٢٧ من رمضان، فوجئنا به واقفا بين الحاضرين يقول: لقد اقتنعت من أعماق قلبي أنّ الإسلام من بين جميع الأديان، هو الدّين الحق، وارتضيته لنفسي، وأعز الله الإسلام في هذه القرية بدخول هذا الزعيم فيه»[3].

---

(١) محاضرة بعنوان: أفطرت معهم.

(٢) حقيبة مسافر، ص ٣٢.

(٣) حقيبة مسافر، ص ٣٢.

يقول أحد الفقراء المسلمين: «مجرد رؤيتي لوجبات الإفطار، أنسى كلّ ما عانيته من جوعٍ، وعطشٍ، وإرهاقٍ، في هذا الشهر، لأنّه ليس عندي ما أشتري به سحورًا او فطورًا، ولقد رأيت مئات المرّات، من يُفطر على ماءٍ عدّة أيامٍ»[(١)].

ويشكر مدير أحد السجون التي يتم فيها توزيع وجبات الإفطار، الدكتور السميط ويقول: «تتحسن تصرفات المساجين بعد أن يسلموا»، وهذا الكلام سمعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من مكانٍ[(٢)].

ويوزّع في كلّ رمضان، أكثر من ٨ مليون وجبة، تزداد بتزايد عدد المسلمين[(٣)].

الثالث عشر: مشروع كفالة يتيم:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩].

وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»[(٤)].

بما أنّ اليتامى هم أكثر الفئات الاجتماعية تأثرا بالفقر، والخوف، والجوع، والمرض، وهو ما تعانيه المجتمعات الإفريقية، فقد خصّص لهم مشروعًا خاصًا، تتراوح نسبة ما يُصرَف عليه: من ١٥٪ إلى ٢٠٪ من إيرادات جمعية العون المباشر[(٥)].

---

(١) مجلة الكوثر، العدد(١٧)، مارس ٢٠٠١م.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٢٤)، أكتوبر ٢٠٠١م.

(٣) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، ج:٥، رقم ٢٢٣٧.

(٥) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/.

يقول السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا المشروع: «كنّا أول منظمةٍ في العالم طرحت مشروع كفالة اليتيم على المسلمين، ومع الأسف الشديد، أنّ بعض المنظّمات تتعامل مع هؤلاء الأيتام وكأنّهم ثيرانٌ للتسمين! تهتمّ بأكلهم، وملابسهم، فماذا عن تربيتهم، وتوجيههم، وعمل برامج لهم، ومحاولة أن نحميهم من شرور المجتمع، مثلما نفعل بالنّسبة لأولادنا، وفي الحقيقة حتّى أولادنا نسي بعضنا أن يربيهم تربيةً سليمةً، واذهب إلى ديار الغرب، وسوف ترى المآسي، في أولاد المسلمين هناك»[١].

بدأ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المشروع في بداية الثمانينيات الميلادية، تحت شعار «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»، وذلك بعد زيارةٍ ميدانيّةٍ، قام بها إلى ممباسا في كينيا، حيث وجد أنّ معظم الشّبان الذين يبيعون القات، أو الذين يُلقى عليهم القبض من قبل السلطات، في قضايا المخدّرات، هم من أيتام المسلمين.

اقتصر في بداياته على تقديم مبالغ نقديّةٍ، يقوم بتحويلها عن طريق المؤسسات الخيريّة الكينيّة، إلى ما يقارب من ٥٠ يتيما، بدأ يتطور هذا المشروع إلى مفهوم الكفالة الشّاملة لليتيم، في مختلف النّواحي التّربويّة، والتّعليميّة، والصّحيّة، فقام بإنشاء دورٍ للأيتام، جعلها ملحقةً بمراكزه الإسلامية، وصل عددها إلى ١٤٠ دارًا، ووصل عدد الأطفال المكفولين فيها إلى ١٠ آلاف يتيمٍ، يُصرف لهم ثلاث وجباتٍ يوميّةٍ، بالإضافة إلى توفير ملابس كاملةٍ للخروج لكلّ يتيمٍ، وملابس

---

(١) مجلة قراءات إفريقية، حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا، واقعه ومشكلاته، العدد(٦)، سبتمبر ٢٠١٠.

للنّوم، تتفق مع تقاليد الزيّ المستخدم عند أهل البلد، كما يُصرف لكلّ يتيمٍ ملابس كاملةً مع بداية كلّ سنّةٍ دراسيّةٍ، ويُصرف له فراشٌ، وغطاءٌ خاصٌ به، ولا يُسمح بنوم أكثر من يتيمٍ في فراش واحدٍ، يتلقّى ٤٥٪ منهم الرّعاية داخل هذه الدّور، بينما يتلقّى الباقون ٥٥٪ الرّعاية بين أسرهم، وتبدأ رعاية اليتيم في سنّ مبكّرةٍ، قبل العاشرة من عمره، وتستمر إلى أن يتخرج من الجامعة، أو يتأهل مهنيًّا في أحد مراكز التدريب المهنيّ إذا لم يستطع إكمال دراسته. كان يشاركهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أفراحهم، وألعابهم، ورقصاتهم، وفي أكلهم، وشربهم، وينام معهم، ويعيش بينهم، وكان يُحب أن يأخذ الصور معهم[١].

وقد بلغ عدد الأيتام المسجلين عنده (٦٥ ألف يتيم ويتيمة)[٢].

الرابع عشر: مشروع كفالة داعية:

لقد ترسخت عند الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ قناعة منذ بداية عمله في إفريقيا أن مستقبل المسلمين هناك لن تبنيه المساعدات التي تقدمها بعض الدول الغنية، والتي تأخذ بالشمال أضعافًا مضاعفة عما تقدمه باليمين، وإنما سيبنيه أبناؤها بأنفسهم[٣].

والناظر إلى الأحوال الدينية للمجتمعات المسلمة في إفريقيا سيصاب بقدر متوازن من الشعور بالرضا والآسي معا: فالمسلمون الأفارقة معروفون بحبهم العارم للإسلام، ولكنه لا يؤهلهم لبناء مجتمعاتهم في المستقبل على أسس الإسلام

(١) لقائي مع مسؤول العمل الإغاثي في جمعية العون المباشر، أ/ عمار بو بكري يوم الثلاثاء ٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ

(٢) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/.

(٣) لقائي مع مسؤول العمل الاغاثي في جمعية العون المباشر، يوم الثلاثاء ٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

الصحيح، أما أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية فقد سبقت الإشارة إلى بعض مؤشراتها المؤلمة؛ ولذلك أسس هذا المشروع، وجعل منه وسيلة رائدة في عمله الإغاثي والدعوي، هدف منه إلى صناعة دعاةٍ من كل بلد، وإلى تثبيت المسلمين منهم على الإسلام، وهو بذلك يُقرِّر تجربةً رائدة للعمل الدعويِّ، وهي إخراج دعاةٍ (محليين) من كلِّ بلد، فيصبح الداعية سفيرا لبلده، يطلعه على حاجاتهم، ويزوده بتقارير عن أوضاعهم.

وأضرب مثالًا على ذلك بالداعية أحمد عيسى، فقد أطلع السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على حاجة قريته الشديدة إلى بئر، وحاجتهم إلى عقد دورات للمهتدين الجدد، وإلى كفالة عدد من الطلاب لمتابعة دراستهم في المعهد الشرعي، أو المدارس الحكومية، كما طلب منه نسخ ١٠٠٠ شريط عن مبادئ الإسلام بلغة «التامباي» بكلفة ٦٠٠ د.ك، ٢٠٠٠ دولار، لتثبيتهم على الإسلام[١].

وفي قرية كومبيلغا، زار أحد دعاة السميط زعيم القرية الوثني، فرفض أن يسلم، لكنه سمح له بالدعوة أمام منزله، وجمع الناس له، أسلم بسبب هذه الزيارة ٣١ شخصًا بفضل الله، أحدهم كان زائرًا جاء من ساحل العاج فيسر الله له الخير بالتعرف على الإسلام، وشيئًا فشيئًا بدأت مقاومة المعارضين له تنهار إلى أن دخلت القبيلة كلها في الإسلام[٢].

---

(١) مقال بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية (جمعية العون المباشر-لجنة مسلمي إفريقيا)، د: عبد الرحمن السميط، موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٤٦)، أغسطس ٢٠٠٣م.

ولتثبيت دعائم الإسلام في هذه المنطقة، قام ببناء عدد من المساجد وتعيين بعض الدعاة والأئمة، وفي كل زيارة له يلاحظ تزايد عدد المصلين في المساجد، ويصف الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حالهم فيقول: «أما الآن فلست أخشى عليهم كما كنت في الماضي، حيث تخرج بعض أبناء القبيلة دعاة تحولوا إلى منابع خير في مجتمعهم ولله الحمد والشكر»، ولا شك أن هناك العشرات من القبائل حالها كحال هذه القبيلة سابقا[١].

إن هذا المشروع في واقعه يمثل مجموعة من المشاريع، تبدأ من إعداد الدعاة المحليين إعدادا شاملا، ثم اختيار الكفء منهم، ثم كفالتهم.

أولا: إعداد الدعاة:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

انطلاقًا من هذا الوضع، فإن الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنى تصورات بعيدة المدى لإعداد دعاة المستقبل، ثم أعقبت هذا التصورات تطبيقات عملية لتنفيذ استراتيجية خاصة لهؤلاء الدعاة.

والفكرة في جوهرها بسيطة لكنها في التطبيق تطلبت جهودًا وإمكانيات كبيرة، فهي تقوم على أساس اختيار أيتام وأطفال من القبائل المختلفة، ثم إيوائهم

---

(١) مجلة البيان. العدد (٨٠)، ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

في مراكز العون المباشر، والدراسة في مدارسها، والاستفادة من الخدمات الغذائية والصحية والتربوية والتعليمية والتنموية التي تقدمها هذه المراكز، بهدف إعداد هؤلاء الأيتام والأطفال من الصغر تعليميًّا ودينيًّا واجتماعيًّا، مع إشراكهم في مرحلة معينة في البرامج الدعوية، ومشاركتهم الفعلية في القوافل الدعوية، والتنقل- أحيانًا على الأرجل- تدريبًا لهم وإعدادًا لتحمل أعباء الدعوة، للمساهمة في قيادة مجتمعاتهم مستقبلًا بعون الله، ثم بإعداد المتميزين منهم لمراحل التعليم المختلفة، وبفضل من الله ونعمة، يتم تطبيق هذا الإستراتيجية في ٣٢ بلد إفريقيا(١).

ثانيًا: اختيار الدعاة:

الدعاة الجيدون هم الركيزة الأساسية في العمل الدعوي، وإذا أردت عملًا دعويًا فعالًا ومؤثرًا فعليك الاهتمام بما يضمن توفير الدعاة الجيدين؛ لذلك فإن الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولى عملية اختيار الدعاة عناية كبيرة، ولم يعتمد على الشهادات والمؤهلات الدراسية أو التزكيات فقط، بل نظر إلى تاريخ هؤلاء الدعاة في بلدانهم ومجتمعاتهم وقبائلهم، ووضع شروطا للداعية الناجح قبل اختياره ضمن دعاة دائمين للعمل معه، وهذه الشروط تتلخص في: أن تكون عقيدته سليمة على منهج سنة نبينا محمد ﷺ ومنهج أصحابه، وأن يكون من أهل القبيلة أو المنطقة التي يدعو فيها، وأن يتحلى بالصبر والجلد على تحمل أعباء الدعوة ومشقتها في تلك المناطق، وأن يفرغ نفسه للدعوة إلى الله، وحرص رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن تربطه

---

(١) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الإثنين: ٢٥/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

بهؤلاء الدعاة علاقات تعاون وعمل مشترك لمدة كافية، على أساس التطوع في البرامج الدعوية التي تنظمها مكاتب الجمعية، ثم يجعلها وسيلة لاختبار مدى صلاحية هؤلاء الدعاة، قبل التفكير في ترشيحهم للعمل مع اللجنة(١).

وبناء على ذلك فقد وضع السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ برامج لتأهيل وتدريب الأئمة والدعاة والمثقفين والنساء والشباب المتدينين، فيؤهلون في علوم العقيدة والفقه والسيرة وشرح القرآن والحديث وفقه الدعوة، ويدربون على كيفية ممارسة الأنشطة الدعوية حسب أصول فقه الدعوة المتعارف عليها، وكلاهما -التأهيل والتدريب - يأخذ أشكالًا عدة، ما بين برامج تربوية منتظمة، ودروس ثابتة في المساجد، أو دورات، أو مخيمات، أو قوافل دعوية(٢).

الخامس عشر: القوافل الدعوية:

القوافل الدعوية وسيلة من الوسائل الهامة، وقد سلك الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الوسيلة ليتعرف من خلال التقارير الميدانية التي ترده من هذه القوافل على الأوضاع العامة لحياتهم الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية، وعلى أساسها يضع الخطط والبرامج المتنوعة، لإنقاذ الناس من الضلال والجهل والجوع والفقر والأمراض، انطلاقا من فلسفة التكافل الاجتماعي في الإسلام(٣).

---

(١) مقال بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية (جمعية العون المباشر-لجنة مسلمي إفريقيا)، د:عبد الرحمن السميط، موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/.

(٢) خادم فقراء إفريقيا، ص ٤٧.

(٣) لقائي مع مسؤول العمل الإغاثي، في جمعية العون المباشر، يوم الثلاثاء ٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

وهذه القوافل الدعوية تقوم بدور كبير في هداية الناس وإرشادهم إلى طريق الله المستقيم، وتقديم المساعدات المادية الممكنة للنهوض بحياتهم الاجتماعية بإذن الله.

وسأذكر بعضا من المشاهد التي تدل على مدى فعالية هذه القوافل ومدى أهميتها كوسيلة دعوية أسفرت عن إسلام الآلاف - وما أكثرها- ومنها مشهد ذلك الشيخ الكبير، فعندما توجهت إحدى هذه القوافل إلى غرب إفريقيا، أرسل رسوله إلى أعضائها يطلب منهم زيارة قريته ليتعرف على الإسلام ويعتنقه، لأنه لا يستطيع السفر إليهم، لكبر سنه وعدم قدرته على الحركة، فجاءه أحد أعضاء القافلة، وشرح له أركان الإسلام والإيمان وأخلاقه وآدابه، وبين له الطريقة التي يؤدي بها عباداته، فأعلن الشيخ إسلامه وأسلم معه آخرون»[١].

وفي مشهد آخر أنهم في إحدى قرى غرب مدغشقر، وتسمى (أمبونيو)، زار دعاة القافلة الدعوية فيها أسرة مكونة من زوجين وابنتهما البالغة عشر سنوات، وعرف أفرادها الإسلام لأول مرة في حياتهم، فأحسوا أنه دين يناسب طبيعة الإنسان ويعززه ويكرمه فأسلموا جميعًا، وفي أثناء ترديد أفراد هذه الأسرة الشهادتين، لاحظ أعضاء القافلة من بعيد رجلًا قد قارب عمره الثمانين عامًا، وهو يقترب منهم حتى جلس تحت ظل شجرة ليتابع هذا المشهد عن كثب، فتوجه إليه أحدهم وسأله إن كان يرغب في التعرف على الإسلام، فأجابه أنه كان ينتظر مثل هذه الفرصة، إذ سبق له أن عرف الإسلام واقتنع به، ولكنه كان دائمًا يعتقد أن

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٥٠)، ديسمبر ٢٠٠٣م.

إسلامه لن يكون صحيحًا إلا إذا أعلنه على يد غيره من المسلمين، ثم أسلم وردد الشهادتين ثم تبسم وقال، لقد جئت إليكم لأحصل على هدية ما، وما كنت أتوقع أن أعود بهذه الهدية الكبرى، وأن أهتدي للإسلام، فالحمد لله رب العالمين»[(١)].

إنّ هذه القوافل الدّعويّة التي لا تزيد كلفة الواحدة منها عن ١٥٠ دينارًا كويتيًا، ما يعادل ١٨٥٠ ريالًا سعوديًا، لمدة ثلاثة أيام، يتحقق فيها الشيء الكثير بحمد الله وفضله وتوفيقه[(٢)].

اكتشف السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكرة هذه القوافل الدعوية عن طريق طلاب أول مركزٍ إسلاميّ أنشأه في مالاوي عام ١٩٨٢م، حيث كان من ضمن المنهج الدّراسيّ أن يخرج جميع طلابه في فرقٍ للدّعوة، في القرى المختلفة، خلال عطلة نهاية الأسبوع، يتكون كل فريقٍ من ثلاثة أشخاصٍ، يُكلّفون بزيارة القرى النائية، والمناطق البعيدة، حيث يقيمون وسط أهاليها طوال يومين، يشرحون لهم مبادئ الإسلام، ويصحّحون لهم - بالحكمة والموعظة الحسنة - ما انحرف من عقائدهم، وقد كانت نتيجتها اكتشاف قبيلة في جنوب مالاوي بمنطقة (جكواوا) تمارس بعض العادات القريبة من التعاليم الإسلامية وبقايا من عقيدة الإسلام، زار رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه القبيلة، ليتعرف عليها، فوجد أنّها أسلمت قبل أكثر من مائة سنة، ولكنّها لم تحظ بأيّ داعيةٍ يعرّفها بحقيقة الإسلام، فاختلطت تعاليمه بعاداتها وتقاليدها الوثنية، قدّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الهدايا لكبار رجال القبيلة وزعمائها، وذبح

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٥٦)، يونيو ٢٠٠٤م.

(٢) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms

فيها الأضاحي، ووزّع لحومها على فقرائهم - وكلهم فقراء- ووزّع عليهم الملابس المستعملة، وكفل العديد من أطفال القبيلة، ليلتحقوا بالمدارس، وأعطاهم كتيباتٍ مترجمةً بلغتهم عن مبادئ الإسلام وتعاليمه[(١)].

«وفي مدغشقر خرجت قافلةٌ دعويّةٌ إلى بعض القرى، ورغم هطول الأمطار، وتباعد القرى، ووجود الكثير من العوائق: مثل الأنهار، والمستنقعات، إلاّ أنّهم تمكّنوا من زيارة ٨ قرى، وفي واحدةٍ من هذه القرى اسمها (فوهيباري) جمع زعيمها الناس، لكي يستمعوا إلى الدّعاة، وقال لنا: رغم أنّه لا يوجد أيّ مسلمٍ في هذه القرية، فلا تستغربوا، إذ سمعتم يومًا أنّ العديد من أبنائها قد أسلموا، وربما أكون منهم، وطالبهم الأهالي بمعاودة زيارتهم»[(٢)].

وفي جمهورية بنين خرجت ثلاث قوافل دعويّة، لشرح مبادئ الإسلام، استمرت تسعة أيام، أسلم خلالها ٤٨٠ شخصًا، منهم ١٥٠ شخصًا في يومٍ واحدٍ، وفي مكانٍ واحدٍ، ممّا استدعى إرسال المزيد من الدّعاة والكتب الإسلاميّة إلى هذا البلد[(٣)].

وحدث مثل ذلك مع القوافل الدّعويّة التي يقوم بها دعاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرق كينيا، في منطقة جانزي، فقد استطاعوا الوصول إلى بلدةٍ يعمل فيها قسٌّ متعصبٌ ضدّ الإسلام، قدّر الله لأولاده أن يستمعوا إلى محاضرةٍ دينيّةٍ ألقاها أحد الدّعاة

---

(١) مجلة حياة العدد (٥٦) ذو الحجة، ١٤٢٥هـ.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٢)، ديسمبر، ١٩٩٩م.

(٣) رسالة إلى ولدي، ص٨٧.

هناك، فأعلنوا إسلامهم، لِيُجَنّ جنونه، ويمنعهم من الذهاب إلى المسجد، لأداء الصلاة، كما منعهم من الذهاب إلى المدرسة القرآنية، لتعلم مبادئ الإسلام، وسجَنهم، وعذّبهم، وحرمهم من الطعام والشراب أيامًا، ثمّ طردهم من المنزل، ورغم هذا ظلّ الأبناء على الإسلام ثابتين، وبدأ أتباع القس يُسلمون تدريجيًا، وفي نفس الوقت كان الدّعاة يتردّدون عليه، ويتقرّبون إليه، ليخفف من هجومه على الإسلام والمسلمين، وكانت زوجته تراقب تصرفات هؤلاء الدّعاة، فما تمالكت هي الأخرى إلاّ أن أعلنت عن إسلامها[١].

وفي قرية كافونتين، التي تطلّ على المحيط الأطلسي، في جنوب السنغال، على مقربةٍ من الحدود مع غامبيا، وعدد سكّانها اثنا عشر ألف نسمةٍ تقريبًا، يُشكّل المسلمون غالبيتهم، وفيها نشاطٌ تنصيريٌّ كبيرٌ، وفيها أربع كنائس، إضافةً إلى عددٍ من المدارس النّصرانيّة، بينما لا يمتلك المسلمون - وهم الأغلبيّة - إلا مسجدًا واحدًا قديمًا، بُني بالطين والقشّ، توجهت إحدى القوافل الدّعويّة إلى هذه القريّة، فأسلم ستون شخصًا من النّصارى[٢].

وعند إرسال قافلةٍ دعويّةٍ إلى قريةٍ اسمها كرير، تقع في جنوب السنغال، وكان أغلب سكّانها من النّصارى، منّ الله على ثمانية شبانٍ من أهلها بنعمة الإسلام، وأقاموا لهم دورةً للمهتدين الجدد، ثمّ عادت إليهم قافلةٌ دعويّةٌ أخرى، كان الهدف منها تثبيتهم على الإسلام، فوجدوا عددًا كبيرًا من الأهالي يزيد على

---

(١) مجلة الكوثر العدد (٩)، يوليو ٢٠٠٠م.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٤٧)، سبتمبر ٢٠٠٣م.

١٥٠ شخصًا يعلنون إسلامهم، فعقدوا لهم دورةً أخرى للمهتدين الجدد، ثمّ بنوا لهم مسجدًا، وحفروا لهم بئرًا، حتّى بلغ عدد من هداهم الله للإسلام ٤٥٠ شخصًا، ترددت تلك القوافل الدّعويّة عليهم، ووزّعت عددًا من الكتيبات الإسلاميّة بالفرنسية، إلى أن أسلم كلّ أبناء القرية - ولله الحمد- ولم يبق إلا قسيّس الكنيسة، الذي بدأ قلبه يلين ويميل للإسلام، حيث أقبل على المشاركة في جميع النشاطات الدّعويّة في القرية، وأخذ يطرح أسئلةً كبيرةً تدل على اهتمامه بالإسلام، أسأل الله لنا وله الهداية[١].

حظيت هذه القوافل بالقبول من الأهالي ولله الحمد، وكان لها أصداء طيبة بينهم، والدليل على ذلك أنّه خلال شهرٍ واحدٍ فقط، من تسيير قافلةٍ دعويّةٍ إلى أربع قرى في جنوب تشاد، أسلم أكثر من ثمانين شخصًا منهم ٤٢ امرأة و ٣٨ رجلًا في المنطقة المعروفة باسم سار، ومن بين من أسلموا قسيّسٌ أغرته الكنيسة بمبلغ من المال، ودرّاجةٍ هوائيةٍ، لكنّه رفض أن يرتدّ عن الإسلام، ثمّ عَرَضَتْ عليه إرساله إلى أمريكا، فكّرر رفضه، وأعلن أمام الناس أنّه - رغم انقطاع راتبه من الكنيسة وفقره - قرّر أن ينذر ما تبقى من عمره لخدمة دينه الجديد. ومثل ذلك في قافلةٍ دعويّةٍ أُرسلت إلى قرية «مايبسي» القريبة من مدينة سار، أسلم العشرات من أهلها، من بينهم مسؤول الكنيسة الكاثوليكيّة، حيث اضطرت إلى تعيين شخصٍ آخر مكانه، ولكنّه أسلم كذلك على يد أحد دعاة تلك القوافل الدعوية! فقرّرت الكنيسة في نهاية المطاف الانسحاب من القرية، ولله الحمد[٢].

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٤٥)، يوليو ٢٠٠٣.

(٢) مجلة حياة، ملف أوراق متناثره، العدد (٥٦) ذو الحجة ١٤٢٥هـ.

السادس عشر: الكتاب المترجم:

أدرك الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ البدايات الأولى لعمله، أنّ هناك فراغًا مخيفًا فيما يتعلق بالكتاب الإسلاميّ في الساحة الإفريقية، وهو يعلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما له من دورٍ جوهريٍّ في نشر وترسيخ الثقافة الإسلامية[1].

بدأ بترجمة الكتب الإسلاميّة إلى لغات الجماعات والقبائل، فضلًا عن اللغات الفرنسية، والإنجليزيّة، والبرتغاليّة، وهي اللغات الرّسميّة في كل البلدان الإفريقيّة تقريبًا.

ومرّت هذه الوسيلة من الدعوة بمرحليتين رئيستين:

المرحلة الأولى: استغرقت السنوات العشر الأولى -أي طوال الثمانينات- التركيز على ترجمة ونشر كتبٍ صغيرة الحجم، تدور جميعها تقريبًا حول التعريف بأساسيات الدّين في العقيدة، والصلاة، والصوم.

المرحلة الثانية: في التسعينات توسعت مجالات الترجمة والنشر، لتشمل طائفةً متنوعةً من الموضوعات المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ وسير الصحابة والصحابيات، وقضايا ثقافيةٍ وفكريّةٍ إسلاميّةٍ معاصرةٍ، منها: الحوار مع المسيحيّة، وقضايا المرأة في الإسلام[2].

ولأخذ فكرةٍ عن حجم العمل المبذول في هذا المجال، يورد الباحث الإحصاءات التالية، وهي تتعلق بسنة ٢٠١١م، حسب إحصائيات جمعية العون المباشر[3].

---

(١) خادم فقراء إفريقيا، ص٥٣.

(٢) مقابلتي مع الأستاذ/ عبد المنعم أحمد حلاج، يوم الأربعاء: ٢٧/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

(٣) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/

توزيع المطبوعات والمنشورات حسب النسخ واللغات خلال عام ٢٠٠١م

اللغة	الأعـــداد				
	كتب	نشرات	أنظمة سمعية	أشرطة فيديو	إجمالي الطرود
عربية	٥١٩,١٤٤	٣٧٧٢	٧٢٤٥	١٠٨٣	٣٦٣٦
إنجليزية	٢٠,٠٨١	١٨,١٨٢	٣٩٢	-	١٧٢
فرنسية	٣١٢,١١٣	١٢٨,٦١٥	١٢	-	٦٨٠
برتغالية	١٣.٢٦٦	٨٦,٧٦٣	-	-	٨٦
سواحلية	٨٢,٥٤٤	-	-	-	٨٣٤
هوسا	٢٠	-	-	-	-
شيشوا	٣٠,٠٩٤	٢٥٧,٩٢٠	-	-	٢٧٦
لوجندا	٢٤.٨٠٩	-	-	-	١٣٥
شونا	-	٢٠٠,٠٠	-	-	-
موري	٤٥٣٦	-	-	-	٢٤
فولفولدي	١٠,٥٨٧	-	-	-	٢٤
بيمبا	٢,٠٢٥	-	-	-	٢٥
الماكووا	٩,٧٧٥	-	-	-	-
لونيانكولي	١١,٢٦٣	١٥	-	-	٢٧
الإجمالي	١,٠٤٠,٢٤٨	٦٩٥,٢٤٧	٧,٦٤٩	١,٠٨٣	٥,٩١٩

عمل الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عملًا منظمًا وبعيدًا عن العشوائية والارتجال، ولذلك فقد تمّ توزيع هذه الكتب والنشرات بطريقةٍ تضمن وصولها إلى أكبر قدرٍ ممكنٍ من الأوساط المؤثّرة في المجتمع الإفريقيّ، للحصول على أعلى نتيجةٍ ممكنةٍ، وكانت كالتالي:

١- توزيع الكتب والنشرات على الشخصيات المسؤولة المتعاطفة مع الإسلام، أو مع السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتقديم ما يناسب فهمهم لمعرفة الإسلام، مثل ما حصل مع المسيحيّ توماس إيزيق، البالغ من العمر خمس وعشرون سنة، حيث كان يهوى الاستماع إلى الحوارات التي تدور حول الأديان، وكان يطرح أسئلة حول المسيحية والإسلام، ويقرأ كل ما يعطى من كتيبات عن الإسلام، وتأثر كثيرًا بترجمة كتاب «طريقك إلى الإسلام»، اقتنع توماس-عبد الرزاق- بالتوحيد، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

٢- إشراف جمعية العون المباشر على إنشاء مكتباتٍ صغيرةٍ في المؤسسات الحكوميّة، أو الاقتصاديّة، أو المرافق العامّة، لتداول الكتب، ويتولّى تنظيمها موظفون من ذوي العلاقات الجيدة مع الجمعية، ليتسنّى لهم التأثير في تلك المؤسسات.

٣- تخصيص كتبٍ ونشراتٍ تخدم الطلاب في المدارس الثانوية والجامعات، بإشراف المسؤولين عن المكتبات في تلك المؤسسات.

٤- استغلال مناسبات الزيارات الميدانية، لوضع حجر الأساس لبعض المشاريع، أو متابعتها، أو افتتاحها، أو الرّحلات الدّعويّة.

٥- رصد تأثيرها من خلال المتابعة[١].

يقول السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زرت خلال الأيام القليلة الماضية بلدًا إفريقيا كان مقبلًا على انتخاباتٍ محليّةٍ، والانتخابات في الدول الإفريقية تعني العنف والدماء، وربما القتل! ولذا تنتشر قوات الأمن عادةً في مثل هذه الظروف في كلّ مكان، وتكثر نقاط التفتيش عند تقاطعات الطرق والشوارع، ولكن ما لفت نظري ليس الحماس الزائد للانتخابات، بل جنود وضباط نقاط التفتيش الذين كانوا بمجرد أن يشاهدونا بملابسنا البيضاء حتّى يحيونا، لدرجة أنّ منهم من كان يؤدي لنا التحية العسكرية، ويهمسون في أذن مرافقنا يطلبون منه «كتابو»، ويقصدون كتابًا عن الإسلام، وقد تكرّر هذا الأمر معنا عدّة مراتٍ، وكان من نتيجته أننا أثناء عودتنا ثانيةً عبر إحدى نقاط التفتيش، وجدنا أنّ جنودها الذين أعطيناهم كتيّباتٍ تعلّم مبادئ الإسلام، باللغة المحليّة، أسلموا جميعًا من تلقاء أنفسهم بعد قراءة الكتيب، وقلت في نفسي: إنّ إسلام ثلاثةٍ أو أربعةٍ من رجال نقطة التفتيش كان بسبب كتيّبٍ لا يزيد سعره عن ٨٠ فلسًا كويتيًا، أي ما يعادل ريالا سعوديا واحدا!»[٢].

وفي إفريقيا الوسطى- يعرف القاصي والدّاني من المسلمين- مدى كراهية وحقد لورنتغومينا على الإسلام والمسلمين، وهو وزير الخارجية ووزير العدل السابق في جمهورية إفريقيا الوسطى، وأستاذٌ جامعيٌّ يحمل شهادة الدكتوراه في الفلسفة من باريس، فكم تأذّى السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تعطيله لمشاريعه الإسلاميّة

---

(١) بحث بعنوان: لجنة مسلمي إفريقيا، د/ فهد العصيبي.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٢٦)، ديسمبر ٢٠٠١م.

عندما كان وزيرًا، لكنّه وكعادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاول أن يخفف من حقده هذا - رغم أنه ترك الوزارة، وقدّر الله أن يكون سبيله إلى ذلك أحد المهتدين الجدد، وهو: سليمان سيبو، المدير العام بوزارة التربية والتعليم، وأحد الحجاج الذين حجّوا في مشروع حجّ السلاطين، فقد كان صديقًا له، حيث بدأ يحاوره بالتي هي أحسن، وبدأ هذا الوزير في قراءة بعض الكتيبات التي تم ترجمتها من قبل الجمعية، وطُبعت على نفقتها باللغة الفرنسية، ثمّ دخل بعدها مرحلة الأسئلة والاستفسارات حول الإسلام، والمشاركة في الحوارات مع المسلمين، إلى أن شرح الله صدره للإسلام[١].

وكذلك مع رئيس جمهورية بيساو الأسبق، الذي طلب من الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلال فترة رئاسته عددًا من الكتب الإسلامية، المترجمة إلى اللغة البرتغالية، بهدف توزيعها على مساعديه[٢].

هذه الكتيبات والنّشرات لا يزيد سعرها عن ١٠٠ دينارٍ كويتيّ، ما يعادل ١٢٠٠ ريال سعودي، وكان لها الدور الكبير، والتأثير الواضح في نفوس أولئك القوم[٣].

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٢٨)، فبراير ٢٠٠٢م.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٢٩)، مارس ٢٠٠٢م.

(٣) مجلة قراءات إفريقية، حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا، واقعه ومشكلاته، سبتمبر ٢٠١٠م.

السابع عشر: الوقف الدعوي:

عن ابن عمر أنّ عمر أصاب أرضًا بخيبر، فأتى النبي يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله إنّي أصبتُ أرضًا بخيبر لم أصب مالًا قطّ هو أنفس عندي منه، فما تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدّقت بها»، قال: فتصدّق بها عمر: أنّه لا يباع أصلها ولا يبتاع، ولا يورث ولا يوهب، قال: فتصدّق عمر في الفقراء، وفي القربى، وفي الرّقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يُطعم صديقًا غير متمول فيه[1].

في أحداث غزو الكويت عام ١٩٩٠م، جفّت كثيرٌ من موارد السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ المالية، وتوقّفت أنشطته ما يقارب ثلاث سنواتٍ، نظرًا لظروف الحرب، ولأنّه كان من ضمن الأسرى الكويتيين في العراق، أدرك السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدها أنّه من الضروري أن تقوم تلك المشاريع والمراكز في إفريقيا بدعم نفسها بنفسها، عن طريق أوقافٍ تُستثمر لصالحها[2].

إنّ أكثر من يستفيد من هذه الأوقاف هم الدّعاة، وقد كان من أعظم مشاريعه في الوقف تحويل الأراضي الجرداء إلى أراضي خضراء، حيث حرص على شراء أكبر عددٍ ممكن من الأراضي، ومن ثمّ يحوّل جزءًا منها إلى مركزٍ إسلاميّ، والباقي يستفيد منه في الزراعة، أو يدّخره لوقت الحاجة إليه[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، ج:٢، رقم:٩٨٢.

(٢) برنامج القارة المنسية: قناة المجد الفضائية، تقديم: د. فهد السنيدي، تاريخ:١٣/ ٢/ ١٤٢٦هـ.

(٣) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء، ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

ومن هذه الأوقاف: المشاريع الغذائية، وهي عبارةٌ عن زراعة فواكه، وأرز، وذرة، يطعم منها دور الأيتام، ويعود ريعها على المراكز الإسلاميّة، ومن هذه الأوقاف أيضا: مشروع المائتي يور، أو ما يسمّى: ببنك الفقراء، وهو عبارةٌ عن إعطاء ٢٠٠يورو للفقير، ليستفيد منها في توفير ما يحتاج لعمله من موادٍ، ومن ثمّ يرجعها للجمعية على أقساطٍ، أو دفعة واحدة، متى تيسر له ذلك.

وقد زار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أخر حياته تنزانيا، ليطلع على هذا المشروع، فوجد أنّ هناك مجموعة من النساء قد أسّسن مصنعًا صغيرًا لصناعة الصابون، واشترين من ريع المشروع أرضًا، لإقامة مصنعٍ كبيرٍ يعمل فيه مئات من النساء، وقد أخذن هذا القرض وأحسنّ توظيفه.

ومن هذه الأوقاف أيضا: بنك الحبوب، وهو عبارةٌ عن شراء حبوبٍ من الفقراء وقت الحصاد- وقت نزول أسعارها- بثمنٍ رمزيٍّ، فإذا جاء وقت الزراعة- وقت غلاء الحبوب- يُعطَون هذه الحبوب بمبلغٍ رمزيٍّ بسيط، وتكون مثل الوديعة عند الجمعية[١].

ومنها أيضا: مشروع مزرعة الأبقار، وهو عبارةٌ عن شراء أبقارٍ للفقراء، ليستفيدوا منها في الزراعة وفي غيرها، ومنها كذلك: مشروع المخبز الآلي، وهو عبارةٌ عن مخابز لصناعة الخبز في أغلب المراكز الإسلاميّة في إفريقيا، ويستفيد منه الناس عمومًا خارج هذه المراكز، كما يستفيد منه الدّعاة والطلاب داخلها.

---

(١) من لقائي مع مسؤول العمل الإغاثي، في جمعية العون المباشر، يوم الثلاثاء، ٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

نجح السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأوقاف نجاحًا كبيرًا بفضل الله وتوفيقه، حتى أنّ بعض المراكز الإسلاميّة وصلت إلى الاكتفاء الذاتيّ بنسبة ١٠٠٪ في رواتب المعلمين وكلفة الطعام[١].

وهناك آلاف الأيتام والفقراء الذين تغيرت أحوالهم بفضل الله، ثمّ بفضل هذه الأوقاف، ومنهم على سبيل المثال: أسرة محمد غلغالو، فقد قام مكتب لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر) بشراء موادٍ غذائيّةٍ، وفتح دكانًا لها من ريع الوقف الدّعويّ الخيريّ، فتغيرت بذلك حالتها المعيشية، وأصبحت أسرةً منتجةً تعتمد على نفسها[٢].

نال السميط عددًا من الأوسمة، والجوائز، والدّروع، والشهادات التقديرية، مكافأةً له على جهوده في الأعمال الخيريّة، ومن أرفع هذه الجوائز: جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام والمسلمين في عام ١٩٩٦م، وقد تبرّع بمكافأتها (٢٠٠ ألف دولار أمريكي) لتكون نواةً للوقف التعليميّ لأبناء إفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقت أعدادٌ كبيرةٌ من أبناء إفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة[٣].

---

(١) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

(٢) رسالة إلى ولدي، ص٥٣.

(٣) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

الثامن عشر: الإعلام:

وسيلة الإعلام عند السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ ظهرت في نوعين، هما:

الأول: موجه إلى المتبرعين:

حرص السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن يوثق أعماله الإغاثيّة في إفريقيا، ويعرّف بمشاريعه ونشاطاته، عن طريق التلفزيون، والإذاعات الوطنية والمحلية، أو عن طريق الصحافة الورقية، أو الإلكترونية، فقد أجرى لقاءاتٍ كثيرةً رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع مواقع وصحف متعددة، وهي إمكانيّاتٌ متاحةٌ للجميع، تحتاج فقط إلى حسن الاتصال والتدبير، وإلى كسب صداقات وثقة الصحفيين، والإعلاميين، عبر ربط الصلات الحسنة معهم، وإشعارهم بأهميّة التعاون، لفائدة مصلحة العمل.

حرص رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إظهار ما يستطيع من المشاهد التي كان يراها في إفريقيا، وتوثيقها بالكاميرا، أو بالفيديو، أو عن طريق برامج تلفزيونيّة - حواريّة أو استكشافية - مثل: برنامج القارّة المنسيّة، الذي قدّمه الدكتور فهد السنيديّ، عبر قناة المجد الفضائية عام ٢٠٠٥م، والذي كان له الأثر الكبير في استقطاب المتبرعين، واطلاعهم على كيفية عمله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قارة إفريقيا، وعلى تعريف الناس به، أو عن طريق إصدار نشراتٍ متفرقةٍ.

تطورت مع مرور الوقت لتصبح مجلة الكوثر، وهي مجلةٌ شهريّةٌ ثقافيّةٌ تربويّةٌ متنوعةٌ، وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يباشر بنفسه تحريرها، ومتابعتها ماليًّا، وعانى الكثير لأجل إصدارها، ومن أبرز المشكلات التي واجهته: حاجتها إلى مزيدٍ من الإمكانيّات الماليّة والبشرية.

كما افتتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ٢٠٠٨م مركزا لدراسات العمل الخيريّ، في دولة الكويت، يهدف إلى: إصدار كتبٍ ودراساتٍ عن إدارة العمل الخيريّ، بغرض توفير الملايين من الدولارات على الأمّة الإسلاميّة، لأنّه رأى أنّ معظم الجمعيّات الإسلاميّة التي عملت في إفريقيا، لا تعرف الكثير من مفاهيم العمل الخيريّ، وهذا تسبب في ضياع الملايين[1].

النوع الثاني: موجه للمسلمين في إفريقيا:

تمتلك الكنيسة – وللأسف- في إفريقيا أكثر من ٤٠٥٠ إذاعة ومحطة تلفزيونية، بينما المسلمون لا يملكون شيئًا![2].

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سيراليون، حيث استطاع بفضل الله، ثمّ بدعم أهل الخير، أن يشري إذاعة دولة سيراليون، التي جاءتهم منحةً من ألمانيا، وهي عبارةٌ عن إذاعةٍ ضخمةٍ، لم يستطيعوا أن يسيّروها، فقرّروا أن يبيعوها، فتقدّمت منظمّةٌ نصرانيّةٌ لتشتريها، لكنّ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبقهم بها، وقدّم لهم طلبا بذلك، فباعوها له، وحوّلها بفضل الله إلى منبرٍ للحق، ينشر الإيمان في غرب إفريقيا كاملةً، حيث يستمع لها مئات الآلاف من الناس، بدأت بثها من أربع إلى ثمان ساعات يوميا- حسب الإمكانات الماديّة - وحققت بتوفيق الله نجاحاتٍ لم يكن يحلم بها، فأسلمت قرىً كثيرةً بسببها ولله الحمد، حتّى أنّ بعض القبائل المسلمة كانوا يأخذون من كل فردٍ من القبيلة مبلغًا لشراء بطاريّات المذياع، وبعض الجزر كانوا يرسلون رجلًا منهم كلّ شهرٍ ليشري لهم بطاريات المذياع، وقد عملت هذه الإذاعة على تصحيح

(١) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تاريخ: ١٩/ ٥/ ٢٠١١م.

(٢) أساليب المنصرين للوصول إلى أهدافهم في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، إعداد الدكتور: مهدي رزق الله أحمد.

معتقدات كثيرٍ منهم، بعد انتشار القاديانيّة وغيرها من المعتقدات الضّالة والمنحرفة، وبفضل الله ثم بفضل تلك البرامج غيروا منهجهم إلى الإسلام[١].

ومن بعدها بدأ مشروع الإذاعات الإسلاميّة الصغيرة على الـ FM، وبدأ تشغيلها بأقلّ كلفةٍ، وأقلّ عددٍ من الدّعاة، فتجد أنّ تكلفة برنامجٍ واحدٍ لمدة عشر دقائق يعادل: (٢٠٠) ريالٍ سعودي، بالإضافة إلى إنشاء محطاتٍ إذاعيّةٍ خاصّةٍ بالقرآن الكريم، بدأها في جمهوريّة توجو، وتبلغ تكلفة المحطة الواحدة: عشرة آلاف دينارٍ كويتيّ، تتضمن المعدات اللازمة، ومصاريف التشغيل عامًا كاملًا[٢]. ويوجد الآن عشر محطاتٍ إذاعيّةٍ، تعمل بست عشر لغةٍ إفريقيّةٍ، ولله الحمد[٣].

---

(١) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تاريخ: ١٩/ ٥/ ٢٠١١م.

(٢) مجلة قراءات إفريقية، لقاء مع الدكتور عبد الرحمن السميط، ١٥ ديسمبر ٢٠١١.

(٣) موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/ .

المبحث الثاني:

أساليب العمل الإغاثي عند الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تعريف الأسلوب لغة:

هو الطريق والمذهب، يقال سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في الكتابة[١].

واصطلاحًا: اختلفت التعاريف الاصطلاحية، فقد قيل إنّ الأساليب هي: «الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته»[٢]، أو: «ما يتعاطاه رجل الدعوة من طرق وصيغ يتوصل من خلالها إلى إبلاغ الحق للناس وتبصيرهم بما ينفعهم ودفع ما يضرهم»[٣].

وكثيرًا ما يحصل الخلط بين الوسيلة والأسلوب، إذ إنّ من المؤلفين من يُدرج بعض الأساليب تحت الوسائل والعكس، ومنهم من فرّق بينهما وذكر: «بأنّ الوسيلة أعمّ من الأسلوب، فهي الأداة التي تنقل الأسلوب وتوصله للناس»[٤].

وفي رأي الباحث أنَّ الوسيلة تحتوي الأسلوب، وبعبارةٍ أخرى: أنَّ الأسلوب هو طريقة عرض الوسيلة.

---

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص١٧٨.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، ص٤٧.

(٣) مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن حميد، ص٣١.

(٤) التدرج في دعوة النبي ﷺ، د. إبراهيم المطلق، ص٢٤.

أساليب الدعوة إلى الله متعدّدة، منها القديم، ومنها الجديد، ومجالها مجال واسعٌ للتجديد والابتكار المتمسك بالثوابت الإسلامية، والآية الكريمة التي هي السقف الجامع للأساليب الدعوية جميعها قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥][(١)].

إنَّ بين الأساليب الدّعويّة، والوسائل الموصلة لها ترابطًا قويًّا، «يتحتم على المفكر بالأساليب أن يكون مفكرًا بالوسائل، وإلَّا فإنَّ جميع الأساليب لا يمكن أن تنجح إذا استعملت وسائل لا تقوى على استعمال الأساليب، لاسيما وأنّ الوسائل جزءٌ جوهريٌّ في إنتاج الأساليب»[(٢)].

ظهر العمل الإغاثيّ عند السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إفريقيا في أساليب متعددةٍ، وتنوّع بتنوع طبيعة إفريقيا، وتنوّع أوضاعها، وهذا جعله يُفكّر في أنماطٍ مناسبةٍ لمتطلبات ذلك التنوع، وتُبقي على المقاصد العامّة للدّعوة إلى الله، لأنّها غير قابلةٍ للتغيير، أو التبديل. وسيعرض الباحث بتوفيق الله وتسديده، الأساليب التي استخدمها السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجال عمله الدّعويّ والإغاثيّ، وهي كالتالي:

أولاً: التخطيط:

التخطيط لغةً: يرجع التخطيط في اللغة إلى الخطّ، والجمع خطوط، والخطّة (بالكسر) يختطّها الرجل لنفسه، وهو يُعلّم عليها علامةً بالخط، ليعلم أنّه اختارها

---

(١) انظر: أساليب الدعوة إلى الله بين التجديد والمحافظة ودور الداعية المعاصر، إعداد: علي بن محمد بن عمر المختار يوسف.

(٢) صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة، سميح عاطف الدين، ص٢٠٣.

ليبنيها دارًا، وقولهم خطةٌ نائيةٌ أي مقصدٌ بعيد[١].

التخطيط اصطلاحًا: إنَّ مصطلح التخطيط من المصطلحات الحديثة، والتي كثر استعمالها في الآونة الأخيرة، وذلك عندما تبين للناس أهميّة التخطيط، لذا اختلف علماء الإدارة في تعريفه، وكلٌّ منهم نظر إليه من زاويةٍ معينةٍ، وسوف يورد الباحث هنا تعريفين فقط، وذلك لأنّهما – في تقديره – من أبرز التعريفات للتخطيط، وذلك إذا استصحبنا المعني اللغويّ للتخطيط:

الأول: التدبير الذى يرمي إلى مواجهة المستقبل بخططٍ منظمّةٍ سلفًا، لتحقيق أهدافٍ محدّدةٍ[٢].

الثاني: رسم الصورة التي يتوقع تحقيقها في المستقبل، للوصول إلى الأهداف الاقتصاديّة، والاجتماعيّة المطلوبة، ثمّ محاولة تنفيذها على ضوء الأحداث الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، التي تصاحب التقدّم الزمنيّ[٣].

التخطيط الدعوى:

انطلاقًا من التعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة التخطيط، يمكن الخروج بالتعريف الآتي: «هو وضع برنامجٍ مستقبليٍّ لتحقيق أهدافٍ معينّةٍ، عن طريق حصر الإمكانات وتوظيفها، للوصول إلى إصلاح حال المجتمع المسلم، والعودة به إلى جادّة الحق، والعمل على نشر الدّعوة وسط غير المسلمين، وإخراجهم من

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص ٢٥٨.

(٢) مبادئ الإدارة العامة : سليمان محمد الطماوي، ص١٨٨.

(٣) الإدارة العامة وتنمية المجتمع: علي عبدالعليم محجوب، ص ٣٧.

الظلمات إلى النور، وفق منهجٍ مُعَدٍّ ومدروسٍ»[(١)].

تتضح لنا أهمية هذا الأسلوب عند السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال إجابته على سؤالٍ طُرح عليه في حوارٍ صحفيّ: كيف بدأتَ العمل المؤسسيّ والدّعويّ؟

فقال: «بدأنا العمل بصورةٍ علميةٍ، وكان صعبًا علينا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى كان صعبًا على من حولنا أن يفهم ذلك، وما زلت أذكر حادثًا حدث لنا، وذلك أنّه لما جئنا لعمل دورةٍ بسيطة للإغاثة، جُنّ جنون كبار السنّ، من بعض مشايخنا وأساتذتنا، وحاربوني حربًا شعواء، حتّى خرجت احترامًا لهم، وليس عن قناعةٍ بموقفهم، بدأنا بصورةٍ علميّةٍ، ووضعنا استراتيجياتٍ وخططًا نريد أن نحققها، بدأنا في مالاوي، ووجدنا استجابةً كبيرةً جدًا في الكويت، ثمّ في باقي دول الخليج بعد ذلك، لحبّ الخير ولعمل الخير، ووجدنا أنّ مالاوي وحدها لم تعد تستوعب الإمكانيات المتوفرة، فلدينا طاقة بشريّةٌ، وطاقةٌ كبيرةٌ للعمل في نفوسنا، وجاءت تبرعاتٌ طيبةٌ، بعد فترة جفاءٍ وامتحان عسير مررنا به»[(٢)].

إنّ العمل الإغاثيّ يحتاج إلى نظمٍ إداريّةٍ حديثة، تعمل وفق استراتيجيةٍ واضحةٍ، وخطط عملٍ قصيرة المدى، وأخرى طويلة المدى، ورؤية واضحة للأهداف التي يراد تحقيقها، فكون هذا العمل تطوعيًّا، لا يعني على الإطلاق أن يُطلق القائمون عليه العنان لمشاعرهم، ويعفوا أنفسهم من العمل ضمن خططٍ مرسومةٍ واستراتيجياتٍ واضحة.

---

(١) التخطيط للدعوة في قارة إفريقيا، البروفسور: إبراهيم علي محمد.

(٢) مجلة قراءات إفريقية، حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا واقعه ومشكلاته، العدد(٦)، سبتمبر ٢٠١٠م.

ولهذا فإنّ الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يشكو كثيرًا من العشوائيين، الذين لا يُخطّطون لعملهم فيقول[١]:

«لقد مللنا من أعمال التخبّط، والارتجال، والعشوائية، التي تحيط بالعمل الخيريّ، فقد رأيت عشرات الوفود التي تأتي إلى إفريقيا، وتعود من حيث أتت، دون أن تحمل معها برامج تحدد من خلالها أهداف الزيّارات، أو القوافل الدّعويّة، سوى قولها أنّها خرجت للدعوة، وهي كلمةٌ فضفاضةٌ عامّةٌ، تحتمل عشرات الدلالات والمعاني، ولكنّي أؤكد أنّه ليس من بينها دعوةٌ حقيقيةٌ تضرب جذورها في الأرض، وتتفرع في السماء، كشجرةٍ مثمرةٍ، يراها الجميع بعيونهم، ويشعرون بظلالها، فقد يعود زيد من الناس ليفخر في مجالسه بأنّ عشرين شخصًا قد أسلموا هنا، وعشرةً هناك على يديه، ولكنّك عندما تسأله عن خطته لمتابعتهم وتعليمهم، لا يستطيع أن يعطيك جوابًا مقنعًا»[٢].

لم يكن يدرك الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضخامة وخطورة الأوضاع التي تعاني منها المجتمعات المسلمة في إفريقيا، سواء كانت أغلبيةً أو أقليةً، وخصوصًا ما يتعلق بهويتهم الدينية، والحضارية، حيث أنّ أهدافه كانت محدودةً، تعتمد على تقديم بعض المساعدات، وبناء بعض المساجد، وحفر بعض الآبار، لكنّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ يدرك المخاطر، والتحديات التي تواجهه، من خلال تنقله بين البلدان،

---

(١) مجلة قراءات، مقال بعنوان: عبد الرحمن السميط فارس العمل الخيري بإفريقيا، العدد (١٦)، أغسطس / ٢٠١٣م.

(٢) مجلة قراءات إفريقية، حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا واقعه ومشكلاته، العدد(٦)، سبتمبر ٢٠١٠م.

وتوغله داخل القارة الإفريقية، والتي هي على درجةٍ كبيرةٍ من التعقيد[(١)].

وفي البدايات الأولى كان من المستحيل أن يُفكّر في دعم وترسيخ الهوية الإسلامية للشعوب، والمجتمعات المسلمة في إفريقيا، من دون العمل على تنمية تلك المجتمعات؛ لأن معظمها كان يعيش في أسوأ دركات التخلف الاجتماعيّ، والاقتصادي، فعزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن يقوم بتقديم خدماتٍ أكثر لهؤلاء القوم، وقرر أن يضع خطةً لعمله، تلخصت في الآتي:

- العمل مباشرة مع المحتاج دون واسطة.
- التعليم هو مفتاح التغيير للمجتمعات في إفريقيا.
- الأخذ بأحدث الأساليب الإدارية في تسيير أعماله.
- اتخاذ أقصى درجات الشفافية المالية في التعامل مع المتبرعين وأوجه الصرف.
- الاهتمام بالمرأة والشباب والطلاب وشرائح المجتمع المهملة.
- هذه البنود التي وضعها السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هي الأساس لما قامت به جمعية العون المباشر من مساعدات وإغاثات ومشاريع وبنى تحتية في إفريقيا، وما زالت مستمرة حتى الآن بفضل الله وعونه وتوفيقه[(٢)].

ما كان بالإمكان أن يخطط لأيّ عملٍ دون معرفة الواقع الإفريقي في تفاصيله، وتكويناته المختلفة، فبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالزيارات الميدانية، والاطلاع المباشر على أوضاع وأحوال المجتمعات الإفريقية عامّة، والإسلامية منها خاصة، سواء في الأماكن

---

(١) مجلة قراءات إفريقية، لقاء مع الدكتور عبد الرحمن السميط، ١٥ ديسمبر ٢٠١١م.

(٢) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

الحضرية منها أو القروية، مهما كانت تلك المناطق نائيةً يصعب الوصول إليها، وبعد سنوات من الاطلاع والاستكشاف، اتضحت- إلى حدٍّ كبير- للدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصورة العامة لأوضاع تلك المجتمعات، وهي الخطوة الأولى التي مكنته من وضع خططه الإغاثية والدّعويّة، وكانت مبنيةً على الأسس التالية:

١ - نسبة السكان المسلمين:

- وجد الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هناك بلدانًا كانت الغالبية فيها للسكان المسلمين بنسبة٩٠٪ من إجمالي السكان فما فوق، وكان لها تاريخ إسلامي عريق في الدعوة والجهاد ونشر الثقافة العربية والإسلامية، وبالتالي فإن الأهداف التي تم التركيز عليها في هذه المجتمعات كانت تعتمد على تقوية عناصر القوة في الحياة الدينية للمسلمين من خلال برامج دعوية وإغاثية تناسب حاجاتهم المتنوعة.

- وجد أن هناك بلدانًا ذات أقليات مسلمة، تتراوح بشكل عام بين ١٪ أو أقل إلى٤٠٪، وهذه الأقليات المسلمة لها أوضاعها الخاصة، وبالتالي فإن الأهداف الخاصة بها تشترك مع سابقتها، وتزيد عليها في التركيز على الاهتمام ببرامج التعليم لاسيما التعليم الجامعي، سواء في بلدانها أو خارجها.

- وجد أن هناك مجتمعات إفريقية لا تزال على دياناتها التقليدية، الأرواحية[١]

(١) الأرواحية هي الاعتقاد بقوة روحية في الأشياء، أي: اعتقاد أن للأشياء أرواحًا مشابهة لتلك التي لدى الإنسان.وقد ساد هذا المفهوم منذ أواخر القرن الثامن عشر ويعتقد أتباع الأرواحية أن الروح هي مبدأ الفكر والحياة العضوية في آنٍ واحد. وتهدف العبادة عند معتقديها إلى تزويد الحياة البشرية بمدد من القوة، وضمان بقاء الإنسان لأطول مدة. أما المرض والإعياء والفشل... فأعراض تدل على نقص القوة الحية (١٩٩٨-٢٠١٤ ©Islamweb.

والوثنية، أو المسيحية، وإستراتيجية الدعوة في هذا الحالة تركز على دعوتهم للدخول في الإسلام من خلال برامج وأساليب معينة، تدخل فيها المشاريع التنموية والكتب المترجمة والدعوة الميدانية والإغاثية[١].

٢ - اكتشاف المناطق المهمشة:

والمقصود بها وجود مناطق وبلدان معينة تخضع لتنفيذ إستراتيجيات خارجية تهدف إلى تفتيت المناطق القوية للمسلمين وإضعافها لصالح المشروع التنصيري، أو لصالح النفوذ الأجنبي لهذه القوة الاستعمارية السابقة، أو لصالحهما معًا.

وعادة ما تستغل هذه المشاريع التباينات القبلية والدينية، فتوجد منها مسوغا لتنفيذ تلك الإستراتيجيات، فتختلق الفتن الداخلية ذات الخلفيات الخارجية، التي تمتد من السنغال إلى السودان مرورًا بمالي والنيجر وتشاد.

واستراتيجية الدعوة في هذه الحالة تركز على التنمية الشاملة والتعاون الإقليمي، حيث أنهما المخرج الوحيد من مخاطر الصراعات الإقليمية وشراك الفتن التي يؤججها خصوم إفريقيا والإسلام، ولابد أن يكون للمنظمات الإسلامية غير الحكومية دور في هذا المجال إن هي اتجهت للتنسيق والتعاون فيما بينها، وهذا أمر سعى الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تحقيقه والعمل به[٢].

---

(١) مجلة البيان: حوار مع د. عبد الرحمن السميط، بعنوان: العمل الإسلامي في إفريقيا، العدد ٨٠، ربيع الآخر: ١٤١٥هـ.

(٢) مجلة نون، لقاء مع د. عبدالرحمن السميط، العدد (٤)، شوال ١٤٢٦هـ.

٣ ـ البيئة الاجتماعية والاقتصادية:

التربية عمل يتطلب وقتا طويلا، وهي التي يعول عليها – بعد الله – في بناء الأساس الذي يتحمل ثقل البناء، ولنا في رسول الله ﷺ المثل الأعلى في ذلك.

وقد عمل الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على التخطيط لبرامج تربوية للدعاة المتميزين، فلم يقتصر على تنظيم الدورات الفقهية والشرعية لهم فقط، بل اهتم بالجانب الثقافي والتربوي.

ولما كانت المجتمعات الإفريقية متعددة الأقوام والقبائل والأعراق واللغات، كان من الواجب الاهتمام بتعدد برامج التربية، وتخصيص الجهد، وتوزيع الطاقات حسب درجات الأولوية التي يحكمها حجم القبائل، ودرجة تمكن الإسلام فيها، واستعدادات البذل والعمل لصالح الدين لدى هذه المجموعة أو تلك، حتى تصبح هذه المجموعات عونًا له في دعوته، وليست عبئًا عليها، وأفضل الطرق لذلك هو انتقاء الأفراد من الدعاة والشباب والمثقفين الذين لهم استعدادات الريادة والقيادة في مجالات الدعوة، والعمل معهم بمقتضى التربية والتوجيه السلوكي، وبفقه الدعوة العملي المستمر، بحيث تتوازى التربية والممارسة معًا، ويكون الانتقاء من القبائل والأقوام للعمل بين بني جلدتهم.

كل هذا كان نتيجة معرفة الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبيئة الإفريقية معرفة صحيحة، والتغلغل في ثناياها بالزيارات المسحية، والاطلاع على الموروث التاريخي والثقافي، والاطلاع على المراجع والبحوث المساعدة على إدراكٍ أفضل للبيئة التي يعمل فيها.

تنقل رَحِمَهُ اللَّهُ في عمله الإغاثي والدعوي من شرق القارة الإفريقية إلى غربها على المحيط الأطلسي في بضع سنين، وبقدر ما كان رَحِمَهُ اللَّهُ يكشف أوضاعًا مرعبة يعيشها المسلمون، بقدر ما كان ينغمس في مجالات جديدة في العمل- لم يكن مخططا لها في الأصل-ومن ذلك أنه لم يجد طالبًا مسلمًا واحدًا في جامعة مالا، رغم أن نسبة المسلمين هناك حوالي ١٧٪ من مجموع السكان[١].

وقد خرج رَحِمَهُ اللَّهُ من عمله في بعض الدول الإفريقية «تشاد، النيجر، بوركينافاسو، مالي، السنغال، غامبيا، موريتانيا» بنتائج مزعجة، كانت كالتالي:

أولاً: في الصحة:

○ إن متوسط الأعمار في هذه البلدان هو ٤٣ سنة، مقابل ٧٤ سنة في البلدان الصناعية.

○ وفيات الأطفال: من ١٥٠ إلى ٢٠٠ طفل من ١٠٠٠ يموتون قبل بلوغ سنة، مقابل ١٠ من ١٠٠٠ في البلدان الصناعية.

○ طبيب واحد لكل ٢٢٠٠٠ نسمة في مالي، وطبيب واحد لكل ٦٠٠٠٠ نسمة في بوركينافاسو[٢].

ثانيًا: في التعليم:

في مرحلة الثمانينات، وهي المرحلة التي بدأ فيها العمل، بلغت نسبة الأطفال – من ٦ إلى ١١ سنة – الذين يتابعون دراستهم كالتالي:

---

(١) انظر: خادم فقراء إفريقيا، ص(٦٠-٧٢).

(٢) مجلة نون، لقاء مع د. عبد الرحمن السميط، العدد (٤)، شوال ١٤٢٦هـ

○ في موريتانيا ٢٤٪.

○ وفي مالي ٢٠٪.

○ وفي النيجر ٢٠٪.

○ وفي السنغال ٣٧٪.

○ وفي تشاد ٢٠٪[١].

ثالثًا: في الاقتصاد:

تشير إحصاءات منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة إلى أن ٣٤ ٪ من سكان إفريقيا جنوب الصحراء يعانون من نقص تغذية مزمن، مقابل ٣٧ ٪ قبل عقدين.

غير أن النظر إلى القارة بمزيد من التفصيل يكشف عن تقدم كبير في بعض الأقاليم، وتدهور مثير للقلق في بعضها الآخر، فقد تمكنت تسع بلدان في غرب إفريقيا وعلى رأسها غانا، من تخفيف الجوع كثيرًا فيما بين عامي ١٩٨٠م و١٩٩٦م، لكن الصورة مختلفة جدًا في وسط إفريقيا وشرقها وجنوبها، حيث زادت نسبة وأعداد سيئي التغذية عمومًا، وعانت بوروندي من أكبر زيادة، حيث ارتفعت النسبة من ٣٩ ٪ إلى ٦٨ في المائة، وزاد إجمالي الطلب على الأغذية بأفريقيا بمعدل سنوي يبلغ ٢.٨ ٪ في فترة ١٩٩٠م-١٩٩٨م، وفي الفترة نفسها زاد الطلب على اللحوم والحبوب بنسبة ٣٪. وتشير توقعات المنظمة إلى أن

---

(١) مجلة نون، لقاء مع د. عبد الرحمن السميط، العدد (٤)، شوال ١٤٢٦هـ.

الطلب على الأغذية سيستمر في الزيادة، والمتوقع أن ينمو بمعدل سنوي ٢.٧٪ حتى عام ٢٠١٥. وسيزيد الطلب على اللحوم بمعدل أسرع ٣.٣٪، والحبوب بمعدل ٢.٥٪.

غير أن من الواضح من هذه الأرقام بالمقارنة بالإحصاءات بالنسبة للفرد أن معظم النمو في الطلب على الأغذية يأتي من نمو السكان، وأن قليلًا منه يأتي من التغير في الدخل بالنسبة للفرد، فضلا عن هذا المؤشرات المرعبة، نتيجة الديون الخارجية التي تضاعفت بشكل خطير ما بين ١٩٧٠م و١٩٨٠م حيث بلغ إجمالي هذه الديون المذكورة كما يلي:

- ٤٥٠ مليون دولار سنة ١٩٧٠م.
- ١٠٤٠ مليون دولار سنة ١٩٧٥م.
- ٣٥٤٥ مليون دولار سنة ١٩٨٠م.

لقد وجد الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال مكابدة هذه الظروف الصعبة والخطرة، أن أوضاع المسلمين تتباين كثيرًا من منطقة إلى أخرى، وأنه إذا لم يراع هذا التنوع، فسيجد عمله معزولا عن الواقع، وسيبذل جهودًا كبيرة دون أن يحصل على نتائج تذكر[1].

(١) مجلة نون، لقاء مع د. عبد الرحمن السميط، العدد (٤)، شوال ١٤٢٦هـ.

ثانيًا: معرفة عاداتهم وتقاليدهم:

من القواعد المقرَّرة شرعًا: أن العادة محكّمة، وهي قاعدة أعطت العرف أهمية للدراسة والمعرفة(١).

وكما أن القاعدة تنطبق على أبواب الفقه، فهي صالحةٌ للتطبيق في المجالات الدعويَّة، فالداعية عليه أن يدرس عُرف البلد والمدعوين، ليدخل من خلال عرفهم إلى قلوبهم.

لقد دأب الدكتور السميط على دراسة أعراف وتقاليد بلاد إفريقيا، ملمًّا بقبائلها وأسمائها وأعدادها وحدودها الجغرافيَّة وأعرافها وتاريخها القديم والمعاصر، بل يعرف تفاصيل دقيقة لا يعرفها إلا ذوو الاختصاص منهم، وعن هذا يقول: «تعلمت الكثير من إفريقيا، وأنا شاكرٌ لإخواني في إفريقيا، تعلمت أولا أن أحترم عادات وتقاليد الآخرين وقِيَمهم، ما لم تتعارض مع أساسيات الدين»(٢).

وقد كان يتعرض لمواقف محرجة إذا لم يكن عارفا بعادات تلك القبيلة أو المنطقة التي يزورها، وبالتالي فإن هذا يؤثر سلبًا على عمله ودعوته، كما حصل معه في زيارته إلى قريةٍ في سوازيلاند لحفر بئر هناك، حيث وجد المحكمة التقليدية منعقدةً تحت شجرةٍ، ولأنه لا يعرف عاداتهم في مثل هذه المواقف، بقي واقفا احترامًا للمحكمة، ويبدو أن هذه جريمة في عرفهم فمروا في طابور يبصقون عليه ويقذفون حرابهم بين رجليه، وقالوا: يجب أن يحاكم لإهانته عاداتهم، وكان نتيجتها أنه لم يحفر البئر(٣).

---

(١) العرف والعادة في رأي الفقهاء. د/ أحمد فهمي أبوسنه.

(٢) مجلة نون، العدد (٤)، شوال ١٤٢٦هـ.

(٣) برنامج زيارة خاصة، قناة الجزيرة الفضائية، تاريخ: ٢/ ٦/ ٢٠٠٧.

ثالثًا: التركيز على أماكن معينة وقبائل محددة:

من خلال تتبع أسلوب الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عمله الإغاثي في قارة إفريقيا، لاحظ الباحث أنه لا ينتشر في كل مكان، بل يستهدف مناطق وقبائل معينة، فيظل يعمل في تلك المنطقة أو القبيلة إلى أن يحقق أهدافه، ثم ينتقل إلى مكان آخر، ويهدف من ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الوصول إلى إسلام ٥٠٪ من السكان، ثم يرسّخ الدعوة الإسلامية فيهم، ويجعل لهم داعية منهم يعلمهم تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، وإماما يؤمهم في الصلاة، ثم يتنقل إلى قبائل أخرى ومناطق أخرى، وتبقى الدعوة إلى الله تنتشر بين الناس[1].

بدأ الدكتور عبدالرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصورة علمية في مالاوي، وبعد فترةٍ من العمل رأى أنه من الواجب عليه أن يتوسع في عمله، حيث إن الإمكانيات متوفرة، فلديه طاقة بشرية تحب العمل، وقدرةٌ ماليةٌ جمعها من تبرعاتٍ كثيرةٍ جاءته بعد فترة جفاءٍ وامتحانٍ كانت عسيرةً جدًا.

فتطلع الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأماكن أخرى أكثر حاجةٍ وأشد فقرا، ووضع له أسسًا ومعايير تحدد له المنطقة أو الدولة التي يبدأ فيها، فانتقل إلى جنوب شرق مدغشقر عند قبائل الإنتيمور، وعمل بحثًا عن أصول تلك القبيلة، واستعان بتسعة عشر باحثًا من إفريقيا، يكتبون ويقرؤون بلغتهم المحلية (الملكاشية)[2]، واستعان بخمسة مترجمين، جمع معلومات كبيرة عن تاريخهم وعاداتهم، وعرف احتياجاتهم وكيف يدعوهم، ومن أين يبدأ معهم؟ قرر أن

---

(١)مقابلتي مع الأستاذ/ عبد المنعم أحمد حلاج، يوم الأربعاء:٢٧/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

(٢) مفردات اللغة العربية كثيرة في اللغة الملكاشية كأيام الأسبوع وأسماء الشهور والتحية اليومية.

يعيش بينهم في منطقةٍ نائيةٍ ينعدم فيها كثير من الخدمات، لمساعدتهم على العودة إلى دينهم واستعادة هويتهم.

كان عددهم مليون وهم بحاجة إلى جهودٍ كبيرةٍ وأموالٍ كثيرةٍ، خاصةً وأن الكنيسة بدأت العمل بينهم منذ أن أعلنت فرنسا استعمارها لمدغشقر في عام ١٨٩٦م. وضع لها خطةً تمتد إلى عشرين سنة، تهدف لنشر الإسلام بينهم. وعزم على أن يجمع خمسين مليون ريال- رغم علمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن المبلغ المطلوب كبيرٌ لكنه وكَل أمره إلى الله واستعان به- لتكون وقفًا للمسلمين الضائعين من أمثالهم، ومن ريعه ينفق على رواتب الدعاة والقوافل والدورات الدعوية، وكفالة الطلبة في المدارس والجامعات والأيتام، وحفر الآبار وتنمية المنطقة دعويًا وتعليميًا واقتصاديًّا وصحيًّا، وقد أسلم عشرات الألوف من أبناء هذه القبيلة- ولله الحمد- وكان معدل تكلفة هداية الشخص الواحد للإسلام ٣١٢ ريالًا سعوديًا، وقيمة السهم الواحد في هذا الوقف ٣١٢٥ ريالًا سعوديًا[(١)].

وكذلك مع قبيلة الغبرة، وهي قبيلةٌ كبيرةٌ تقع بالقرب من الحدود بين أثيوبيا وكينيا، وقد وضع لها مخططًا من عام ١٩٩٤م إلى عام ٢٠١٥م، يشمل عقد دوراتٍ وإرسال دعاةٍ ورعايةٍ أيتامٍ وبناء مساجد، وفى العام ٢٠٠٩م وصل إلى الحدّ الذي يريده، وأسلم منهم ٥١٪، رغم أن عدد المسلمين فيها عام ١٩٩٤م كان لا يتجاوز عدد أصابع اليدين، وعندها تركهم واتجه إلى قبيلة أخرى[(٢)].

---

(١) برنامج: تحت المجهر، بعنوان : قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر، قناة الجزيرة، ٢٣/

(٢) فيزن اليقاء لمع قناة الجزيرة بعنوان : قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م.

وهناك دول لم يذهب الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ لها، مثل نيجيريا، مع أنها تشكل ثقلًا للمسلمين في قارة إفريقيا، وذلك لوجود الكثير من المؤسسات الإسلامية فيها والكثير من العلماء، على العكس في غينيا بيساو، والتي يبلغ سكانها مليونًا ونصف المليون تقريبًا، إلا أنه لا يوجد فيها أي منظمةٍ دعويةٍ! وليس هناك شخصٌ مسلمٌ واحدٌ حصل على الثانوية! فهي أولى بمقاييس الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من نيجيريا، ومثلها في موزمبيق التي يبلغ عدد المسلمين فيها ثمانية ملايين مسلمٍ، ولا يوجد فيها أي نوع من أنواع العمل الإسلامي، والمسلمون فيها لا يعلمون إلا القليل عن دينهم[1].

ومن شدة جهلهم بالإسلام، أنزل مجموعة من الناس في شمال موزمبيق الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من على المنبر، لأنه تكلم باللغة العربية، ولم يتكلم باللغة السواحلية! ظنا منهم أنها لغة الإسلام[2].

وقد وضع رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعمله في تلك المناطق والقبائل برامج خاصة، نظرا إلى مقاييسٍ سكانيةٍ واقتصاديةٍ ودينيةٍ، يتم تحديدها بناءً على الخبرة الميدانية المتراكمة، وتشتمل على خططٍ تتراوح مدتها من عشر إلى عشرين سنة، وتكون ضمن برامج فرعيةٍ متكاملةٍ وممتدةٍ في المكان والزمان، حيث تتطور المشاريع والخدمات في التعليم والمياه والصحة وتأهيل النساء والتدريب المهني والحرفي والإغاثة مع البرامج الدعوية، ويلازم أحدها الآخر.

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٦١)، نوفمبر ٢٠٠٤م.

(٢) مجلة قراءات إفريقية، حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا، واقعه ومشكلاته، العدد(٦)، سبتمبر ٢٠١٠م.

١- برنامج شمال موزمبيق:

يعيش المسلمون واقعا مؤلما في هذا البلد- والذي عرف الإسلام منذ قرون عدة، كامتدادٍ طبيعيٍّ لانتشار الإسلام على امتداد السواحل الشرقية، حتى وصل وانتشر في عموم شمال موزمبيق، التي تقع في أقصى الجنوب الشرقي من القارة، حيث يُصنّف حسب معايير الأمم المتحدة واحدًا من أفقر بلدان العالم، وخاصةً مناطق المسلمين في الشمال.

وعلى هذا الأساس، تم إعداد خطة بعيدة المدى منذ سنة ١٩٨٧م، حيث تم بناء وتسيير عدة مراكز في بمبا وناكالا، على المحيط الهندي في أقصى الشمال الشرقي، ثم في نامبولا في وسط الشمال، ثم في لاشينغا في أقصى الشمال الغربي قريبًا من بحيرة ملاوي.

هذا البرنامج شمل بناء العديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ومستوصفاتٍ ودور أيتامٍ، وتم حفر مئات الآبار، وكل هذا المشاريع تتم إدارتها مباشرة من قِبَلِ «العون المباشر»، فضلًا عن برامج موسميةٍ للأضاحي والإفطار سنويًا، وبرامج إغاثيةٍ مكثفةٍ، وبالنسبة للبرامج الدعوية فهي تشتمل سنويًا على برامج فرعيةٍ لتأهيل الدعاة والأئمة، ومخيماتٍ للشباب، ودوراتٍ للنساء، فضلًا عن تدريس القران الكريم، وتحفيظه لأبناء المسلمين[١].

---

(١) ندوة بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية: (جمعية العون المباشر، لجنة مسلمي إفريقيا)، د/ عبد الرحمن السميط، ١٤١٠هـ، موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/

٢- برنامج كينيا:

- البرنامج موجه لأسلمة قبائل الرنديلي والبورانا في شمال كينيا، وهي قبائل ذات أصولٍ مسلمةٍ، وانعدم منها الإسلام إلا في بعض الرموز.

- البرنامج الموجه لأسلمة قبائل الغرياما جنوب شرق كينيا.

- البرنامج الموجه للبوكومو والبورانا في وسط شرق كينيا.

- البرنامج الخاص بدعم المسلمين من أصول صومالية في شرق وشمال شرق كينيا[(١)].

٣- برنامج مدغشقر:

- برنامجٌ موجهٌ لأسلمة قبائل الأنتيمور في الجنوب الشرقي، والسكالافا في الشمال الغربي، وكلها قبائل ذات أصولٍ إسلاميةٍ اندثر فيها الإسلام، إلا من بقايا بعض الرموز، يستمر البرنامج مدة عشرين سنة، بدأ في تنفيذه سنة ١٩٩٤م، ولا يزال مستمرًا، ووضعه على قسمين، كل قسمٍ يمتد عشر سنواتٍ[(٢)].

٤- برنامج أثيوبيا:

- برنامجٌ موجهٌ لأسلمة قبائل البورانا جنوبي إثيوبيا، وهم بفطرتهم وعاداتهم أقرب للإسلام منهم للمسيحية التي لم تنجح كثيرًا في صفوفهم، وبدأ في هذا البرنامج منذ سنة ١٩٩٧م، ولا يزال مستمرًّا[(٣)].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ندوة بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية: (جمعية العون المباشر، لجنة مسلمي إفريقيا)، د/ عبد الرحمن السميط، ١٤١٠هـ. موقع جمعية العون المباشر http://direct-aid.org/cms/

(٣) المرجع السابق.

٥- برنامج السودان:

- برنامجٌ موجهٌ للقبائل، بهدف المساهمة في تنمية مناطقها، والمساعدة على إحلال الأمن والاستقرار فيها.

- برنامجٌ موجهٌ لقبائل الدينكا، في جنوب كردفان، لنفس الأهداف، وبدأ في هذا البرامج منذ أواسط الثمانينات، ولا يزال مستمرًّا[١].

٦- برنامج تشاد:

برنامجٌ موجهٌ للقبائل الوثنية والمسيحية جزئيًّا في جنوب تشاد، وذلك بهدف المساهمة في تنمية الجنوب، وإحلال الاستقرار والأمن، حيث توجد محاولاتٌ انفصاليةٌ وحركات تمردٍ، وبدأ هذا البرنامج سنة ١٩٩٤م، ولا يزال مستمرًّا[٢].

٧- برنامج السنغال:

- برنامجٌ موجهٌ لقبائل الدُّبُّولا، في جنوب البلاد، وعلى رغم انتشار الإسلام فيها، إلا أن البلد عانى من حركةٍ انفصاليةٍ مسلحةٍ، تعمل منذ ٢٢ سنة، والهدف من البرنامج يمثل نفس الأهداف في برامج السودان وتشاد[٣].

٨- برنامج غينيا:

- البرنامج الموجه للقبائل الفولانية في منطقة فوتا جالو في المناطق الشمالية من غينيا، وهي قبائل عريقة في الإسلام، ولها تاريخ مشهود في الدعوة والجهاد ضد الاستعمارين الفرنسي والبريطاني، ركز عليها المشروع التنصيري بشكل

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

قوي، وتوجد معلومات مؤكدة تثبت نجاح المنصرين في تنصير عدد كبير من الشباب المسلم الفولاني من الجنسين، وهذا البرنامج يعمل منذ بداية التسعينات ولا يزال مستمرًّا.

٩-برنامج غانا، وتوغو، وبنين:

- يوجد برنامجٌ واسعٌ في المناطق الشمالية من هذه البلدان الثلاثة، حيث يتركز المسلمون هناك، مقابل تركز المسيحيين الذين يملكون السلطة والثروة، رغم أن عدد المسلمين أكـبر منهم، بينما تعاني مناطق المسلمين في هذه البلدان الثلاثة من التهميش الاقتصادي والاجتماعي، حيث تتركز الخدمات ومراكز الإنتاج الصناعي والزراعي في الجنوب. وبدأ في هذا البرامج منذ بداية التسعينات، ولا يزال مستمرًّا[١].

كانت هذه نماذج من البرامج الدعوية الشاملة لبرامج التنمية الموجهة لأماكن وقبائل محددةٍ، ولأهدافٍ محددةٍ، وعلى هذا الأساس توسع الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عملة الإغاثي والدعوي، حتى وصل إلى ٤٠ دولة إفريقية، وعلى هذا النمط تعمل البرامج الموجهة للمجموعات في كل البلدان الإفريقية، التي تعمل فيها الجمعية[٢].

---

(١) ندوة بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية: (جمعية العون المباشر، لجنة مسلمي إفريقيا)، د/ عبد الرحمن السميط،١٤١٠هـ. موقع جمعية العون المباشر http://direct-aid.org/cms/

(٢) لقائي مع مسؤول العمل الإغاثي في جمعية العون المباشر، أ: عمّار بو بكري، يوم الثلاثاء: ٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ

رابعًا: البدء بالزعماء:

«إسلام زعيم يفتح الطريق أمام إسلام الآلاف من أتباعه»[١].

إذا كان للقبيلة في إفريقيا الوسطى الأولوية في الولاء والطاعة، فإننا لا نستغرب إذا رأينا بعض زعمائهم أقوى من رئيس الدولة نفسها، وهذه مسألة مهمة تنبه لها الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجعلها أساسا له في دعوته[٢].

اهتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقيادات التقليدية في المجتمع كالسلاطين وزعماء القبائل والقيادات الدينية - مسلمة كانت أو مسيحية- بمختلف اتجاهاتها وانتماءاتها وعمل على ربط أطيب الصلات معها، دون الدخول في أية حساسية دينية أو قبلية، وإعطاء الانطباع الإيجابي عن عمله وهدفه، وأنه يريد الخير للبلد وأهله، وتعاون مع كل من يريد الخير.

عرف الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أقرب طريق لكسب الثقة والرضا والتعاون في المجتمعات الإفريقية يكون دائمًا من خلال هذه القيادات التقليدية، وأذكر مثالا لذلك قصته مع زعيم الملوك (تابا ساغا) في بلدة تنكودوغو، كان قد تنصّر عن طريق المدرسة التابعة للكنيسة التي كان يدرس فيها، زاره السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلدته لدعوته إلى الإسلام، فعجب من المكانة التي كان يحظى بها بين قومه من النصارى والوثنيين، لما رأى من تحيتهم له وإلقاء السلام عليه في بعض المناسبات الرسمية، فقد كانوا يخلعون نعالهم ويمشون على أيديهم وأرجلهم أمامه، ويذكرون أمجاده

---

(١) مجلة حياة، ملف أوراق متناثرة. د: عبدالرحمن السميط، العدد (٧٣) جمادى الأولى ١٤٢٧هـ.

(٢) خادم فقراء إفريقيا، ص٣٢.

ويفخرون بأسلافه المنعمين، ثم يقدمون له الهدايا والقرابين لتجديد البيعة والولاء والطاعة، أما المسلمون، فكان يكتفي منهم بالدعاء له حسب شريعة الإسلام، دخل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه وقدّم له هديةً، وحدّثه عن القافلة الدعوية التي جاءت إلى بلدته، فرحب به ترحيبًا حارًّا، وأمر بنصب خيمةٍ له في أحسن موقعٍ في تلك البلدة، وألقى كلمةً قصيرةً، شجّع فيها على نشر الإسلام، مع أن هذا الزعيم لم يكن من عادته أن يستقبل الزوّار بمثل هذه الدرجة من البهجة والسرور[١].

وليست هذه القيادات وحدها المعنية، بل القيادات الرسمية في مواقع الإدارة والسلطة المركزية والإقليمية والمحلية، التي لها اعتبارها الكبير، فقد بذل كل الجهود لكسب ثقة هذه الفئة، وذلك بالاتصال المستمر معهم، وبالعمل الجاد والمصداقية[٢].

خامسًا: تذكيرهم بأصولهم العربية والإسلامية:

في أثناء جولات الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إفريقيا، رأى بعض القبائل ذات الأصول العربية والهوية الإسلامية، ومنها قبيلة الغبرا، بالقرب من الحدود بين أثيوبيا وكينيا، وقبيلة السكالافا، في الشمال الغربي من مدغشقر، وقبيلة الكي ريو في أثيوبيا، وقبيلة الإنتيمور في مدغشقر، وقبائل الغرياما، شرق كينيا، ومع الأسف! فقد فقدت هذه القبائل هويتها وضاع منها دينها، وتحوّلت إلى الوثنية.

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٣٤)، أغسطس ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: رسالة إلى ولدي، ص(٣٩-٤٠).

وكان من أهم هذه القبائل التي ركز الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليها في عمله قبائل الغرياما، وهي قبائل غالبيتها من الوثنيين، ولكنهم قريبون جدًا للإسلام، ويرجع ذلك إلى أن مبارك المزروعي أمير ممباسا - وهو من أصل عماني- قام بالاستعانة بأجداد قبيلة الغرياما لقتال البرتغاليين، فاختلط أفراد القبيلة بالمقاتلين المسلمين من عرب وأفارقة، حيث كانوا في نفس الجبهة وتأثروا بهم، إلا أن المدة لم تكن طويلة حتى يعرفوا الإسلام ويمارسوه ولكنهم أحبوا الإسلام، ولم يجدوا دعاةً بعد ذلك لشرح مبادئ الإسلام لهم، أسماء الكثير منهم: علي وأحمد ومحمد وخلفان ومبارك وسعيد، كما أن بعضهم يبتعد عن كثير من الموبقات في شهر رمضان، حتى النصارى والوثنيين لا يشربون الخمر، ويصومون في رمضان، ويحبون الإسلام والمسلمين، ويعرفون النكاح الشرعي، ويدفنون الصالحين منهم على الطريقة الإسلامية باتجاه القبلة، ويؤمنون بإلهٍ واحدٍ، ويزاولون الختان، حتى النصارى والوثنيين منهم، ومن مات منهم بدون ختان، يقومون بختانه بعد موته وقبل الدفن، ويحتفلون باليوم السابع من ولادة المولود، ويُحَلِّقُون رأسه[1].

وقبائل الأنتيمور، التي تعود أصولها إلى الحجاز. هاجرت قبل ٨٠٠ سنة إلى جنوب شرق مدغشقر، ولم يبقَ لها من الإسلام إلا تحريم أكل لحم الخنزير، وكراهية الكلب، وكتابة كتابهم المقدّس (السورابي) بالحروف العربية، ولكن بلغتهم، فيه شيء من الأذكار والقران الكريم، وشيء من الشعوذة وشيء من تاريخهم، وكان يسمّون أيام الأسبوع بأسماءٍ عربيةٍ فيسمّون يوم السبت

(١) لقاء في مجلة حياة، العدد (٥٠) جمادى الثانية ١٤٢٥هـ.

سابوتسي، ويوم الأحد آهادي، ويوم الاثنين اسنين، ويوم الثلاثاء تلاتا، ويوم الأربعاء أربعاء، ويوم الخميس كميس، ويوم الجمعة زومعه، وهو يومٌ مقدسٌ عندهم، يقدّسون جهة الشمال- وهي جهة القبلة- ولا يعرفون لماذا! وفي كل بيتٍ مدخلٌ من جهة الشمال، يضعونه للبركة، وإذا مات الميت وكان صالحًا، وجهوه جهة الشمال، وإذا كان غير ذلك وضعوه في أي اتجاه، ومع مرور الوقت نسوا دينهم وعبدوا الأحجار والأشجار، وتحولوا إلى الوثنية.

قرر الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يعيش بينهم، في منطقةٍ نائيةٍ في مدغشقر، ينعدم فيها كثيرٌ من الخدمات، لمساعدتهم على العودة إلى دينهم، واستعادة هويتهم، واجه صعوباتٍ كثيرةٍ في السنوات الثلاثة الأولى، ثم حقق نجاحاتٍ باهرةً، وبفضل من الله تم بناء ستين مسجدًا، وكفالة عشرات الطلاب من أبناء القبيلة، وبناء عدة مراكز، وبناء معهدٍ شرعيٍّ، لتخريج الكوادر المتوسطة في الدعوة، وبفضل الله وتوفيقه فقد استجاب لنداء الحق ونطق بالشهادتين ثلث القبيلة تقريبًا، خلال العمل لمدة ثمان سنوات، ويعمل في البرنامج حوالي ٢٠٠ شخص، منهم أربعةٌ من العرب، والباقون محليّون، يتم سنويًا بناء عشرات المساجد والمدارس والمراكز المختلفة، وإرسال الحجاج، وتوزيع الكتب الإسلامية والمصاحف، وتوزيع المساعدات، وكفالة الطلبة، وتوطين الدعاة في القرى، وعقد عشرات الدورات للدعاة والأئمة والإداريين الجدد والنساء والطلبة وشيوخ القرى[١].

---

(١) برنامج: تحت المجهر، قناة الجزيرة بعنوان: قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر، ٢٣/ فبراير/ ٢٠٠٦م.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علّمني أحد زعماء القرى في مدغشقر الكثير، بعد أن سألته لماذا أسلم؟ فقال منذ وصولك لقريتنا، لم تتكلم الكثير عن دينك، بل عن مكارم الأخلاق، التي كان يتمتع بها أجدادنا! فشعرت أنه لا يمكن أن تقطع المسافات وتتعب، لمجرد الحديث عن أجدادنا، لولا أنّ ما يؤمن به أجدادنا هو دينكم»[(١)].

ويذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصةً أخرى عن ذلك، فيقول: «في إحدى القرى التي ذهبت لها للدعوة، جاءني شابٌ مسيحيٌّ، وقال أمام الناس: إنه يتحداني في مناظرةٍ عن الإسلام والمسيحية أمام الجميع، ورغم أن معلوماتي عن هذا الموضوع أكثر بكثيرٍ ممّا له من بضاعةٍ، إلا أنني رددت عليه: بأني ما جئت إلى قريتكم من أجل المناظرات، ولكن جئت أزور أشخاصًا أحبهم، وأحدّثهم عن تاريخهم وأجدادهم. ورفضت عرضه في وسط استهزائه بي، وأنني أهرب من المناظرة كما ذكر، وكانت النتيجة: أنّ أغلب أهل القرية دخلوا الإسلام تعاطفًا مع أسلوبي»، ولله الحمد[(٢)].

سادسًا: الشفافية الدعوية:

أهمُّ ما ينبغي مراعاتُه في قضايا الدَّعوة المعاصِرة هو: الشفافية الدعوية، ويعني الباحث بها: وضوحَ العمل الدعويِّ في جميع مراحله، وفي جميع موارده. ولذلك فإن الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ شكّل خطرا على تلك الدول التي ترى أن الإسلام والإرهاب وجهان لعملةٍ واحدةٍ، من خلال دخول الملايين إلى الإسلام ولله الحمد والمنّة، ومع هذا حفظه الله وحفظ عمله، ومن أبرز أسباب حفظ الله له

---

(١) مجلة الكوثر، العدد (٢٥)، نوفمبر ٢٠٠١م.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٤٣)، مايو ٢٠٠٣م.

ولدعوته: شفافيتها، كما صرح بذلك قائلًا: «من الشَّفافية أنَّ عندنا درجات من الرقابة الماليَّة لا توجد في أيِّ مؤسَّسةٍ في منطقتنا، عندنا ستُّ درجاتٍ من الرقابة، ابتداءً من الميدان هناك، ثُم المُحاسبة الميدانيَّة عندنا في المقرِّ الرئيسي بالكويت، ثم المحاسبة العامَّة، ثم التدقيق الداخلي، ثم التدقيق الخارجيّ»[١].

وقد وضع رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ضمن إستراتيجياته في العمل الإغاثي: التواصل مباشرةً مع المحتاج، فلم يجعل بينه وبين المحتاج وسيطًا، بل يذهب مباشرةً إليه، ويقدم له الإغاثة. ولذلك نرى أن أغلب مشاريع السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعتمد على عدم تقديم المال نقدا للمحتاجين، ففي مشروع الأضاحي يُقَدّم لهم اللحم، وفي مشروع إفطار الصائم يقدم لهم الطعام (وجبات إفطار صائم)، وهلّمَ جرا في بقية المشاريع.

وبهذا يضمن وصولها لهم، وتقديمها بشكلٍ كاملٍ، كما أراد المتبرع، فالمال فتنةٌ - إذ صرف بدون حكمةٍ-، ولقد رأى الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأم عينيه مسؤولًا ينتمي إلى جمعيةٍ من الجمعيات الخيرية، يركب السيارة الفاخرة، ومعه أكثر من مائة ألف دولار، ويمشي في السوق، ويرمي المال هنا وهناك، وأغلب الذين يتردّدون على سيارته من الشباب، وغالبًا يكونون من المدمنين، أو المدخنين، ثم يعود إلى بلده، ويزعم أنه وزّع المال بنفسه، فيكبّر الناس ويهللون ويعطونه مزيدًا من المال، ليزيد في غيه ويزيد في الإضرار بالإسلام والمسلمين[٢].

---

(١) مقال بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية: (جمعية العون المباشر، لجنة مسلمي إفريقيا)، د/ عبد الرحمن السميط، ١٤١٠هـ. موقع جمعية العون المباشر: http://direct-aid.org/cms/

(٢) خادم فقراء إفريقيا، ص٣٠.

وبهذا تتقرر نتيجةٌ دعويةٌ هامةٌ: أنَّ الوضوح الدعويَّ ضمانٌ لاستمرار العمل الدعوي.

سابعًا: أسلوب الحكمة:

قد بيّن القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن تتبع سيرة النبي ﷺ نجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصةً في دعوته إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم ﷺ الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة.

فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان أبو ذرٍ يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فُرِجَ سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فَفَرجَ صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئًا حكمةً وإيمانًا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي...» الحديث[1].

وهذا يُثبتُ أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، حيث امتلأ بها صدر رسول الله ﷺ وهو صاحب الدعوة، مع الإيمان، وهو قضية الدعوة في لحظةٍ واحدةٍ، كما يؤكد قيمة وأهمية الحكمة من خلال مجيء جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو روح القدس، يحملها في طستٍ من ذهبٍ، وهو أغلى المعادن، وفي مكة المكرمة، وهي البقعة المباركة، ليمتلئ بها صدر محمد رسول ﷺ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ج:١، رقم ١٣٥.

وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم، وهو أطهر الماء وأفضله، كل هذا يؤكد أن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيمٌ، وشأنها كبيرٌ.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «يعني بذلك جل ثناؤه: يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم فقد أوتي خيرًا كثيرًا»(١).

معنى الحِكْمَة لغةً:

الحَكَمَةُ: ما أحاط بحَنكَي الفرس، سُمِّيت بذلك لأنَّها تمنعه من الجري الشَّديد، وتُذلِّل الدَّابَّة لراكبها، حتى تمنعها من الجِماح، ومنه اشتقاق الحِكْمَة؛ لأنَّها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل(٢).

معنى الحِكْمَة اصطلاحًا:

قال أبو إسماعيل الهروي: الحِكْمَة: اسمٌ لإحكام وضع الشيء في موضعه(٣).

وقال ابن القيِّم: الحِكْمَة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي(٤).

---

(١) تفسير الطبري، تفسير سورة البقرة، القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، ص(٥٧٦).

(٢) انظر: المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، مادة: الحكم، ص(١٤٥).

(٣) منازل السائرين للهروي، ص(٧٨).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم، ج٢، ص٤٤٩.

وقال النَّووي: الحِكْمَة، عبارةٌ عن العلم المتَّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك[١].

قدم الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوته بطريقة يفهمها القوم، فالخطاب الدعوي في الرياض يختلف عنه في الكويت، ويختلف عنه في إفريقيا، ويجب أن يكون الخطاب للأفارقة بالطريقة التي يستوعبونها.

ومن حكمته الدعوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه عندما أعلن سلطان إيسالي في نيجيريا دخوله في الإسلام، نهاه الدكتور السميط عن هدم الكنائس عندما ذكر أنه سيهدمها في قريته، ودعاه إلى عدم المساس بمشاعر المسيحيين، كما أنه دعا العلماء المسلمين إلى وضع فقه الواقع للأقليات الإسلامية، التي تعيش في الغرب، وانتقد بشدة الدّعاة الذين يزورون بلدان الأقليات المسلمة، وينشرون فتاوى ضد النّصارى، أو يثيرون فتنًا كبرى بين المسلمين حول قضايا صغيرةٍ، قد تتسبب في زيادة العداء للإسلام، وتعطيل الدعوة بين الناس هناك»[٢].

إن عدم الاصطدام بالعادات والتقاليد بشكلٍ مباشرٍ، أو محاولة تغييرها بشكلٍ سريعٍ، من الحكمة بمكان، وعدم الدخول في الجوانب السياسية أو القبلية كذلك، ومن الحكمة أيضا السعي للتواصل، وكسب القيادات الرسمية والتقليدية، وعدم سبّ الديانات المتنافسة مع الإسلام، ووصف أهلها بأنهم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢، ص٣٣.

(٢) خادم فقراء إفريقيا، إعداد: فريق عمل موقع لبيك إفريقيا: www.labaik.africa.org، ص٤٢.

خصوم، ومن الحكمة أيضًا الاستفادة من الإمكانيات المتاحة لدى المسلمين، ولدى غير المسلمين، ومن الحكمة الدخول إلى المجتمعات الإفريقية من أبوابها، أي من خلال الزعماء والقيادات المحلية[١].

وهاكم مثالًا يوضح استخدام الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأسلوب الحكمة في عمله الإغاثي والدعوي: «في إحدى الدول الأفريقية، بدأ الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تشغيل مركزٍ إسلاميٍّ، وحتى يضمن له الدعم الشعبي، شكل له مجلسًا من كبار السن، ومن رجالات المنطقة، وكان يجتمع معهم مرة أو مرتين كل سنة، ليسألهم عن رأيهم في المركز والمدرسين والخدمات الأخرى، وعن بناء بوابة بسيطة للمركز، وعن أي لونٍ يقترحون لحائط المدرسة، وكم شجرة يريدون أن تُزرَع؟ وعن نوع الأشجار التي يقترحونها؟ كانوا سعداء جدًّا لأن هناك من يستشيرهم، ويأخذ برأيهم، ويقدر سنهم، ومكانتهم الاجتماعية[٢]، هدف الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا الأسلوب إلى كسب محبتهم واستمالة قلوبهم، وعدم تدخلهم في مناهج التعليم، أو برامج العمل، وبعد مدةٍ سلّم الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المركز لإحدى الجمعيات الإسلامية الأجنبية، التي لا خبرة لها في إفريقيا، فأهملت كبار السنّ، وبدأت بتنفيذ ما تراه، دون إشراك الأهالي، وكانت النتيجة أنه لم يطل بهم المقام، إذ قام الأهالي بطردهم خلال مدةٍ قصيرةٍ. فالناس ليسوا بحاجةٍ للغذاء والماء بقدر حاجتهم إلى الحكمة في التعامل معهم»[٣].

---

(١) لقاء مع عبد الرحمن السميط، برنامج: وجوه اسلامية، قناة العربية، ١١/ ٠٩/ ٢٠٠٨م.

(٢) مجلة حياة، ملف أوراق متناثرة، د. عبد الرحمن السميط، العدد (٤٩) جمادى الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٣) رسالة إلى ولدي، ص(٥٣).

لقد رأى الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرارًا وتكرارًا رجالًا ونساءً أفارقةً مسلمين، تجاوزوا الستين من أعمارهم، ولم يعرفوا أن الزّنا حرام، فلم يخاطبهم بقسوةٍ في البداية، أو يعاتبهم، بل شرح لهم حكم الزّنا في الإسلام، بأسلوبٍ ليّنٍ وسهلٍ، حتى تحوّلوا بفضل الله إلى سفراء لهذا الدين، وبدؤوا يدعون له[1].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنّ بعض الدعاة أسهم في توزيع الإغاثة على الجائعين في شمال كردفان بالسودان عام ١٩٨٤م، وكانوا يقطعون التمائم والتعاويذ بشدّةٍ وفظاظةٍ، دون أن يشرحوا للناس حكمها الشرعيّ، وما ورد فيها من أحاديث نبويةٍ، حتّى أنّ أكثر من شخصٍ ترك قطع خيط التمائم أثرًا في جسده آنذاك، وعندما زار المنطقة بعد عشرين سنة، وجد أهلها أكثر حرصًا - مع الأسف -على تعليق التمائم، وهذا يدل على أن هذه الطريقة لم تكن حكيمةً في دعوة الناس إلى طريق الخير»[2].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصةٍ أخرى: «إنّ مسلمةً من جنوب السودان اسمها نونو، كانت تعيش في معسكرٍ للنازحين، على بعد ساعتين من الخرطوم، لم تلتزم طوال حياتها لا بصلاةٍ ولا بصيامٍ، ولا تعرف الحجاب، بل إنها كانت تستهزئ أحيانًا بالملتزمات، وتنظر إلى الحجاب على أنه علامة تخلف، في يوم من الأيام، زارت جارتها فأخبرتها بأن هناك دورة بالمركز الإسلامي الذي أقامه السميط، فحضرت إلى الدورة بعد ترددٍ- كانت أول محاضرة تشهدها- حيث شرح فيها

---

(١) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، ١٩/ ٥/ ٢٠١١م.

(٢) رسالة إلى ولدي، ص(٥٣).

شيخ المركز أركان الإسلام، وأركان الإيمان، شرحًا مبسطًا، ولم يظهر أيه علامةٍ على عدم رضاه بملابس هذه المسلمة المثيرة، بل استقبلها برحابة صدرٍ، وعاملها على أنها أختٌ في الله، فكانت هذه المعاملة كافيةً لإثارة شعورها بالذنب في حق نفسها، وفي حق الآخرين، وكان الموقف بداية عهدٍ جديدٍ في حياتها، تحولت بعده إلى مثالٍ للمرأة المسلمة، والداعية إلى الله بعفّة بدنها، ولسانها، وطهارة قلبها»[١].

ويذكر موقف آخر في هذا ويقول: «أقمنا معهدًا شرعيًا في شمال كينيا، ليكون أساسًا لنشر الدعوة الإسلامية في المنطقة، وبين قبائلها، واستقبلنا فيه طالبًا من كل قريةٍ، حتّى يعود إلى قريته بعد أربع سنواتٍ من الدراسة داعيةً إلى الله، وكان من بين هؤلاء الخريجين وثنيا دخل المعهد، وكان يعلق الصليب على صدره، لم نطلب منه إطلاقًا أن ينزعه، ولكنه بعد أن أسلم، تخلى عنه بنفسه عن قناعةٍ تامةٍ»[٢].

ثامنًا: أسلوب الوعظ:

الوعظ لغة:

يقال: العِظَةُ والموعظة، وكذلك الوَعظُ، والرجل يتّعِظُ، إذا قبِل الموعظة، حين يُذكَّر الخير ونحوه، ممّا يرقُّ لذلك قلبُه[٣].

وهو النصح والتذكير بالعواقب، وتذكير الإنسان بما يُليِّن قلبَه من ثوابٍ وعقابٍ[٤].

---

(١) حقيبة مسافر، ص(٨٧).

(٢) المرجع السابق، ص(٦٢).

(٣) تهذيب اللغة، محمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض، ج٣، ص١٦٤.

(٤) لسان العرب: ج:١٥، ص٣٤٥.

الوعظ اصطلاحًا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الموعظة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والقول الحق الذي يُليّن القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبَح جِماحَ النفوس المتمرّدة، ويزيد النّفوس المهذّبة إيمانًا وهدايةً»[١].

وقال الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في بيان معنى الموعظة: «هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب»[٢].

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الدعوة بالموعظة الحسنة: «وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إمّا تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإمّا بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، وإمّا بذكر ما أعدّ الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعدّ للعاصين من العقاب العاجل والآجل»[٣].

ونظرًا لأهمية هذا الأسلوب، فقد استخدمه الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن أساليبه الدعوية والإغاثية في إفريقيا، وقصّة ذلك الرجل الإفريقي الذي ركب معه في السيارة أكبر دليلٍ على ذلك، يقول الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عندما رأيته في الطريق وقفت له، ثم أركبته معنا، وأجلسته مكاني، وبقيت واقفًا، فاستغرب هذا الرجل الأسود هذه المعاملة من رجلٍ أبيض، لأنَّ القسيسين والنصارى

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية، ج١٩، ص١٦٤.

(٢) التفسير القيّم لابن القيم، ص٣٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ج١، ص١٨٤.

يستحقرونهم لسواد بشرتهم، فاستغل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحدث، وبدأ يعظه، ويخبره بأن الإسلام دينٌ لا يفرّق بين الأبيض والأسود، والغني والفقير، وتلا عليه آياتٍ من القرآن الكريم، وبعضًا من الأحاديث الدّالة على ذلك، فأسلم الرجل ولله الحمد، وقد كان زعيما لقبيلةٍ في شرق كينيا، وسمّاه عبد الله»[١].

تاسعًا: أسلوب المعاملة بالحسنى:

قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى لنبيه موسى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وهو فرعون الذي ادّعى الألوهية، وتعدّى في طغيانه وجبروته كل حدٍّ، فماذا نقول لمن كان جاهلًا، لا يعرف شيئًا عن الإسلام؟!

ومن تتبع نصوص القرآن الكريم، وسنّة النبي ﷺ يجد أنها اعتنت بمعاملة الناس معاملةً حسنةً، وما كان هذا الدّين ليؤثر في النّفوس، ويخالط شغاف القلوب، لو ما كانت الدعوة مقرونةً بالمعاملة الحسنة، وذلك من أبرز العوامل المؤثرة في تقبل النّاس لهذا الدين العظيم، وديانتهم به.

يقول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الأسلوب: «هناك أساليب أهم كثيرًا من أسلوب الوعظ، فمن بين عشرة ملايين شخص دخلوا الإسلام دون مبالغة، أقول: إنّ ٩٠٪ منهم دخلوا الإسلام بسبب المعاملة الحسنة، والكلمة الطيبة، كثيرٌ من المخالفين استطعنا أن نكسبهم عبر بناء جسورٍ معهم، سواءً كانوا

---

(١) برنامج بلا حدود، قناة الجزيرة الفضائية، يوم الأربعاء: ٢/ رمضان / ١٤٢٦هـ.

من الصوفية، أم من أديانٍ أخرى، وبعضهم عنده من البدع والشركيات ما لا يعلم بها إلا الله عز وجل، والآن تحولوا إلى توحيد الله وإلى دعاة»[١].

وكان من عادة الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه عندما يقيم مشروعًا من مشاريعه الخيرية في أي منطقةٍ إفريقيةٍ، فإنه لا يحرم غير المسلمين من الاستفادة من خدماته الإنسانية الموجهة أساسًا إلى المسلمين، وذلك تأكيدًا على سماحة الدين الإسلامي الحنيف، وتأليفًا لقلوبهم، وهذا بلا شك من الخُلُقِ الرفيع الذي يعزز مكانة الإسلام في النفوس، ويظهره على سائر المِلَل والنّحَل.

وهاكم مثالًا من أرض الميدان: «قصة إسلام الطالبة النصرانية إرلين، البالغة من العمر تسع عشرة سنةً، والتي التحقت بإحدى المراكز في شمال توغو، لتتدرب على مهنة الخياطة (حيث إن المناهج الدراسية في المراكز التي ينشئها السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجمع بين الدروس التطبيقية التخصصية والدروس النظرية التي تشمل مواد علمية وأخرى دينية تربوية، والذي يجري العمل به فيها طبقًا لنظام الدراسة أن يخيّر الطلبة غير المسلمين بين حضور الدروس الدينية، أو التغيب عنها، وبما أن إرلين نشأت في أسرةٍ نصرانيةٍ متمسكةً بعقيدتها، ومحافظةً على صلاة الكنيسة - ولم تكن تعرف شيئًا عن الإسلام- فقد اعتذرت في البداية عن حضور الدروس الدينية، التي تُعَرّف الدّارسين بالإسلام، في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق)[٢].

---

(١) برنامج: وجوه إسلامية، لقاء مع عبد الرحمن السميط، قناة العربية١١/ ٠٩/ ٢٠٠٨.

(٢) حقيبة مسافر، ص٧٨.

ولـمّا رأت هذه الطالبة أن غيابها عن دروس التربية الإسلامية لم يؤثر على المعاملة الحسنة التي تُعامَل بها من قبل المعلمات والمشرفين، وأنها لا تزال تحظى بنفس الاهتمام والرعاية كسائر الطالبات المسلمات، بدأت تحضر دروس التربية الإسلامية، لتتعرف على هذا الدين، الذي يظهر هذا القدر العظيم من التسامح الدينيّ الصحيح، ويحترم عقائد الآخرين بهذه الصورة الفريدة، ولا يجبرهم على اعتناقه، أو يغريهم بالمال، أو الجاه، أو السلطان، وما هي إلا أيامٌ حتى عرفت إرلين اليقين، وميّزت بين الحق والباطل، وهرعت في يومٍ من الأيام إلى إمام المسجد، فأعلنت إسلامها بين يديه، وأقبلت على مدير المركز، تطلب منه عددًا من الكتيبات، والأشرطة المترجمة إلى اللغة المحلية (لغة الكابي) أو اللغة الفرنسية، لتنهل من معين هذا الدين الذي لا ينضب، ولتصبح مثالًا رائعًا لمسلمةٍ جديدةٍ ظاهرًا وباطنًا»[1].

ومثلها مع القسيس الإيطالي، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنّا في صحراء شلبي، في شمال كينيا، وقدّر الله أن تتعطل سيارتنا، وكان الطريق وعرًا، والمكان قفرًا، في أثناء وقوفنا مرّت علينا سيارة الكنيسة، فطلبنا مساعدتهم، فرفضوا، وكان معهم قسيسٌ إيطاليٌّ، قال لنا: كيف نساعدكم وأنتم أعداؤنا، دعوا محمدًا يساعدكم (يقصدون الرسول ﷺ)، ذهبوا وتركونا، حاولنا أن نُصلِحَ سيارتنا، وشاء الله أن تَصلَح، مشينا في طريقنا، وبعد حوالي ٥ كلم من تحركنا، رأينا سيارة الكنسية متعطلةً، وقفنا وعرضنا عليهم المساعدة، فاستغربوا، وبقينا معهم حتّى أصلحنا

(١) مجلة الكوثر، العدد (٢٢)، يوليو ٢٠٠١م.

سيارتهم، وأخبرناهم أن هذا العمل ليس تفضلًا منّا فحسب، بل هو ما أمرنا به ديننا ونبينا محمد ﷺ، وقد عرفت فيما بعد أن جميع من كانوا في السيارة أسلموا ولله الحمد»[١].

وفي قصة أخرى مع أحد النصارى، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أذكر أنني زرت مركزًا إسلاميًّا، كنّا نقوم ببنائه في منطقة هولا، شرق كينيا، يشتمل على مسجدٍ ومدرسةٍ ودارٍ للأيتام وأخرى لتدريب النساء، وفي أثناء العمل حدّثني أحد العمّال المسلمين بأن أحد الصبّاغين من الذين يقومون بصباغة المركز كاثوليكيٌّ متعصبٌ، فما كان منّي إلا أن التقيت به، وهششت في وجهه، وامتدحت عمله، وسألته إن كان سلوك العمّال والزوّار المسلمين يعجبه، وما هو انطباعه عنهم؟ فأجاب بأنه تأثر بالأخوّة بينهم، رغم أنهم من قبائل مختلفة، كما تأثر بصلاة الجماعة، ولاحظ أنهم لا يشربون الخمر، وسألته: وماذا عن كنيستكم؟ فلم يجب! شرحت له مبادئ العقيدة الإسلامية، فلم يتردد في نطق الشهادتين، وسألت عنه بعد عدة أشهرٍ من انتهاء العمل في المركز، فذكروا لي أنه يحافظ على صلواته، ويشهد الجمعة، وأنه يجتهد في حفظ الفاتحة وبعض السور القصيرة، وهو فخورٌ باسمه الجديد (عبد الله) بدلًا من جورج، لقد غسل هذا الرجل تعبي جراء رحلةٍ شاقةٍ، وعبر طريقٍ وعرةٍ، سلكناها لمدة ١٥ ساعة من أجل الوصول إلى هذا المركز»[٢].

---

(١) برنامج: صفحات من حياتي، مع الدكتور عبد الرحمن السميط، تاريخ: ١٤٢٤هـ.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٢٣)، يوليو ٢٠٠٢م.

عاشراً: القدوة الحسنة:

عُرِّفت القدوة بأنها: «إحداث تغييرٍ في سُلُوك الفرد، في الاتجاه المرغوب فيه، عن طريق القدوة الصالحة، وذلك بأن يتَّخذ شخصًا أو أكثر، يتحقَّق فيهم الصلاح، ليتشبَّه به، ويُصبح ما يطلب من السلوك المثالي أمرًا واقعيًّا ممكنَ التطبيق»(١).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]، ففي هذه الآية يريد الله عَزَّوَجَلَّ من المسلمين التطلُّع للأفضل، وإلى أعلى المقامات، وانظر لم يقل سبحانه: واجعَلنا في المتقين، ولكنَّها تربية للمؤمنين على الهِمَّة العالية، وأن يكونوا مثل إبراهيم عليه السلام، يطلب إمامةَ المتقين، يقول شيخ الإسلام: «أي: فاجْعَلنا أئمَّةً لِـمَن يَقتدي بنا ويأْتَمُّ، ولا تَجعلنا فتنةً لمن يضلُّ بنا ويشقى»(٢).

ويقول السعدي في تفسير هذه الآية: «أي: أَوْصِلنا يا ربَّنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصِّديقين والكُمَّل، من عباد الله الصالحين، وهي درجة الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوةً للمتَّقين في أقوالهم وأفعالهم، يُقتدى بأفعالهم، ويُطمَأَنُّ لأقوالهم، ويسير أهل الخير خلفهم، فيهدون ويهتدون، ولهذا لمّا كانت هِممهم ومطالبهم عاليةً، كان الجزاء من جنس العمل، فجازاهم بالمنازل العاليات، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥]»(٣).

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها؛ للنحلاوي، ص ٢٥٧.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيميَّة، ج٣، ص٩١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص٦٨٨ – ٦٨٩.

ودين الإسلام دين القدوة، وأصحاب الهِمم العالية هم الذين يسعون ليكونوا قدوةً حسنةً، وأعظم قدوةٍ في الإسلام هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم نبيُّنا محمد ﷺ، ولذلك جعَله الله لنا أُسوةً وقدوةً، بل وأمرنا بذلك، فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «في الآية دلالةٌ على فَضْل الاقتداء بالنبي ﷺ، وأنه الأسوة الحسنة لا محَالة»[١].

وقال ابن كثير: «هذه الآية أصلٌ كبيرٌ في التأسِّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله»[٢].

إنَّ المثال الحيّ الذي يتحلَّى بجُملةٍ من الفضائل السلوكيَّة، يُعطي غيرَه قناعةً بأن بلوغَها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

والمثال الحيّ المرتقي في درجات الكمال السلوكي، يُثير في الأنفس الاستحسان والإعجاب[٣].

وإذا كانت القدوة الحسنة نموذجًا إنسانيًا حيًّا، يعيش ممثِّلًا ومُطبِّقًا لذلك المنهج الرباني الذي جاء به القرآن، فإنك تراها واقعًا يتجلّى في شيخنا الجليل الداعية الدكتور عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أحسبه والله حسيبه -.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج:٢١، ص٢٢٣، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ

(٢) تفسير ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ج:٣، ص٨٨.

(٣) أُسس الحضارة الإسلامية، للميداني، عبد الرحمن حسن حبنكّة، ص٨٠.

كان يقضي عشرة أشهرٍ إلى إحدى عشر شهرًا، متنقلًا في إفريقيا، لا يبقى ثلاثة أيامٍ في مكانٍ واحدٍ، ولمّا طال مكوثه في إفريقيا، أخذ أهله معه من الكويت، وكانوا ينامون مرةً في العراء، ومرةً في المساجد، ومرةً في الغابات، وبين الوحوش والهوام[(١)].

يسير في المستنقعات الطينية، حتّى إنه كان يصل فيها الماء إلى كتفيه، ناهيك عمّا بداخلها من تماسيح فتاكةٍ، لا يعلمها إلا الله، ويظل ماشيًا على رجليه مسافة ٢٠ كيلو إلى ٣٠ كيلو بعض الأوقات، لعدم وجود وسيلة نقلٍ تصل إلى تلك المناطق الوعرة والبعيدة، ويبقى من يومٍ إلى يومين بلا شربٍ، وإذا وصل إلى تلك القرية أو المنطقة النائية يجد ماءً، ولكنه لا يصلح لشرب الآدميين! بل قد لا يصلح لشرب الدواب! من كثرة ما فيه من أوساخٍ وطينٍ وروثٍ! وقد كان لذلك الماء ضرره الكبير على صحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد فشلت كليتيه، بل إن الديدان كانت تخرج من قدميه[(٢)].

وفي كينيا عندما ضربتها موجة الجفاف، زارها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ١٤٣٠هـ، ولم يجد ماءً نظيفًا للشرب، فاضطر إلى شراء لتر ماءٍ ملوّثٍ، بقيمة ٥ ريالاتٍ، من شدة العطش[(٣)].

يقول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم أكن أتوقع أن أسافر مع مجموعةٍ من الأبقار، على متن شاحنةٍ تجاوز عمرها ثلاثين سنةً، في رحلةٍ استمرت عشرة أيامٍ،

---

(١) من مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

(٢) من مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

(٣) برنامج زوايا، قناة الوطن الكويتية، ١٨/ رمضان/ ١٤٣٠هـ.

وعبر طريقٍ ترابيٍّ، لكنّني كنت مسرورًا بألسنة رفيقات السفر، اللواتي كُنّ يلحسن رأسي من حينٍ لآخر، كلّما تراكم فوقه شيءُ من الغبار المتطاير من تحت عجلات الشاحنة المريحة! ذلك أنّ البقر يحب في العادة أن يلحس الغبار الغنيّ بالأملاح، لقد كوفئت مرةً على فعل الخير بتحقيقٍ أُجري معي في أحد مراكز الشرطة، مُنعت فيه من الجلوس لعدة ساعاتٍ، لأنّ الضابط المحقق كان كاثوليكيًّا متعصبًا، والحقيقة أنّني لا أريد الخوض في تفاصيل المتاعب الجمّة التي كنّا نجابهها في المستنقعات، والنّوم في الأكواخ المفروشة بروث البهائم، والسير على الأرجل مسافاتٍ طويلةٍ، حتّى تتورم الأقدام، من دون طعامٍ أو شرابٍ، وبين الأهوال والمخاطر! فكم من مرةٍ تعرّضنا فيها لإطلاق نارٍ عشوائيٍّ، لاسيما في المناطق التي تعيش حروبًا أهليةً»[١].

وفي قصةٍ أخرى يقول: «كنتُ قد خرجتُ بصحبة رفيقٍ لي، في رحلةٍ دعويةٍ إلى صحراء شلبي، بشمال كينيا، بين مجموعةٍ من القرى الفقيرة، التي تكاد تنعدم فيها حتّى متطلبات العيش الضرورية! فلم نجد فيها دكانًا نشتري منه طعامًا أو مواد غذائيةٍ، ولم نعثر فيها على مطعمٍ، ولو صغيرٍ لإعداد وجباتٍ بسيطةٍ، تُسكّنُ لسعات الجوع، التي قد يتعرض لها المرء في مثل هذه الظروف والأحوال، ظللنا يومين كاملين من تاريخ وصولنا من دون طعام، ونحن ندعو النّاس هناك إلى دين الله، ونشرح لهم عقيدة الإسلام، مقتدين بحبيبنا محمد ﷺ الذي عصب بطنه من شدة الجوع، وخرج ليلةً فلقي أبا بكرٍ وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه

---

(١) حقيبة مسافر، ص٤٣.

الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله! قال: وأنا، والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما»[١]. يعيش في تلك المنطقة الآلاف من أبناء القبائل المعزولة التي لم تعرف الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر سبيلًا إلى حياتها، وهم يحبون سماع كلمتي مكة والمدينة المنورة، ولم تحُل وثنيتهم دون إيمانهم بوجود الله»[٢].

كان هذا الهدي النبويّ العظيم، هو المعين الذي يتزود منه بالصبر الجميل، الذي يعينه على تبليغ دعوة الحق، في تلك المناطق النائية، وفي تلك الأحوال القاسية.

وفي موقفٍ آخر، وفي أثناء زيارته لقبيلةٍ بدائيةٍ في وسط كينيا، لدعوة زعمائها وأبنائها للإسلام، قدّموا له حليبًا - تعبيرًا عن كرم الضيافة - في إناءٍ قذرٍ جدًا، يصفه الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: «لم أر أقذر منه في حياتي! يحوم حوله الذباب! وهم ينظرون إليه بدون أدنى حركة لإبعاده! لدرجة أنّ بعضه سقط في الإناء، فمنه من يسبح فيه! ومنه من لقى حتفه!»[٣]، وكان على الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ التزامًا بآداب الضيافة أن يُلبّي هذه الدعوة، مع أنه طبيبٌ سابقٌ، ويعرف ضرر مثل هذا الإناء، شرب الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إناء الحليب من غير أن يُظهر أيّ اشمئزازٍ أو تهرّبٍ من الموقف، ليستميل قلوبهم ويحببهم إلى ما يدعو إليه وينال منهم القبول والترحيب، ولاسيما أنه قد سمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مجموعةٍ من المنصّرين

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق رضاه بذلك، رقم ٢٠٣٨.

(٢) مجلة حياة، العدد (٧٦) شعبان ١٤٢٧هـ.

(٣) حقيبة مسافر، ص٤٤.

الأمريكيين، زاروا إحدى القرى الإفريقية، لدعوة أهلها إلى النصرانية، فعندما قدِّم لهم الطعام ترحيبًا بهم عافوه، وكانت نتيجة ذلك أن رفض أهل تلك القرية الاستجابة لدعوتهم، والدخول في ملتهم، دعا الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل هذه القرية إلى دين الله، فدخلوا فيه، حتى إذا عرف سبيلًا إلى نفوسهم، طفق يبين لهم أن نظافة البدن والملبس ونظافة الطعام والشراب ونظافة المكان من الإيمان»(١).

كان يركب السيارة لمدة عشرين ساعةً، حتّى يصل إلى الأماكن النائية، وأحيانًا يكون سيرًا على الأقدام، في الوحل والمستنقعات(٢).

تعرّض للأذى هو وزوجته وأبناؤه، وقد مرّ في يومٍ من الأيام على أناسٍ مجتمعين، فجلس قريبًا منهم، وكان متعبًا من طول السير، وإذا به يفاجأ بهم واحدًا واحدًا، يأتون ويبصقون على وجهه! وقد اكتشف أنها كانت محاكمةً في القبيلة ويمنع على الغرباء الحضور(٣).

وفى موقف آخر: دخل مع زوجته إلى قبيلةٍ من القبائل، فتعجب النّاس من ارتدائها للحجاب، وكادوا أن يفتكوا بها، لولا أنّها انطلقت تجرى إلى السيارة(٤).

وبما أنّ عمل الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرتبطٌ إلى حدٍّ كبيرٍ بالأسفار والتنقل بين الأماكن والمناطق المتنوعة في هذه القارة، فلابد أن يكون له نصيبٌ من

---

(١) المرجع السابق.

(٢) برنامج: صفحات من حياتي، مع الدكتور عبد الرحمن السميط، ١٤٢٤هـ.

(٣) المرجع السابق.

(٤) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تاريخ: ١٩/ ٥/ ٢٠١١.

القصص والمغامرات مع بعض الحيّات، والآفات، لكنّ أغلب تلك الحكايات كانت مع الكوبرا، التي صادفها عدة مراتٍ في أحراش موزمبيق[(١)]، أو في أدغال شرق كينيا (في ماليندي بالخصوص)، أو في مالاوي، وقد وقع ذات مرةٍ في موقفٍ خطيرٍ، حيث حاصرته إحدى هذه الأفاعي في أحد الغابات، فنفثت في عينيه سمًا قويًا، ولولا عناية الله، ثم وجود النظارات على عينيه، لتمكنت منه، «وقد كان هذا الموقف الأشد خطورة خلال أكثر من ربع قرنٍ عملًا في مناطقها»[(٢)].

وفي إحدى زياراته إلى مدغشقر، في عام ١٩٩٤م، سمع بقريةٍ اسمها مكّة، فشدّه الشوق إلى أن يسافر إليها، ولكنّ مدير مكتبه هناك والدعاة قالوا إنّ القضية صعبةٌ، لأن الطريق وعرٌ، فسألهم: «هل وصل إليها شخصٌ قبلي؟ قالوا نعم، أهل القرية»، يقول: «فسافرنا بطائرة بوينج كبيرة لمدة ساعة ونصف إلى ساعتين، إلى مدينة اسمها ماناكارا، في ذلك الوقت لم نجد سيارةً نظيفةً تقلّنا إلى قريةٍ اسمها فيوبينو، فقمنا باستئجار حافلةٍ صغيرةٍ بدون كراسي، فجلسنا على الحديد، وكانت السيارة قديمةً جدًا، حتّى إنه لم يكن لها مفتاح تشغيل، إنما يتم تشغيلها بواسطة الأسلاك الكهربائية، توصلها ببعضها فتعمل، استغرقت الرحلة إلى قرية بايابينو حوالي الساعة تقريبًا، ومن هناك عبرنا نهرًا كلّه تماسيح، والغريب أنه وخلال فترة إقامتي هناك، والتي فاقت في مجموعها السنة، لم أسمع أن تمساحًا من التماسيح أكل آدميًا! بينما في كينيا، في نهر تانا، وفي قريةٍ اسمها قريزا، في كل أسبوعٍ كنّا نسمع أن

---

(١) أحراش (جمع): مفرده حُرْش وحِرْش: أحراش، أراضٍ تغطِّيها الأشجارُ. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ص١٤، الناشر: عالم الكتب – القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٤٠)، فبراير ٢٠٠٣م.

التماسيح أكلت أحد المسلمين هناك، وكل سكان تلك البلدة مسلمون، ووجه الغرابة في الموضوع أنّ كل الحيوانات في مدغشقر غير مضرّة، فلا يوجد أسودٌ ولا نمورٌ، والأفاعي التي هناك تستطيع أن تمسكها بيديك، ويقال والله أعلم أنها لا تضرّ، والدليل أنّني لا زلت حيا حتى الآن، وقد اصطدت عددًا كبيرًا من الأفاعي بيديّ، أحيانًا نجدها في البيت، ونقوم بإخراجها خارجه، وفي إحدى المرات دخلنا أحد المساجد، ووجدنا أفعى في أعلى المسجد، في السقف، فتملّكنا الخوف في البداية، وضحك علينا الأهالي»(١).

يواصل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامه ويقول: «أذكر نفس الحادثة حصلت لنا في شمال كينيا، وضحك علينا الأهالي، وقالوا لا تخافوا، هذه حيّة بيتٍ، أفعى منزلية لا تضر، و تعيش على الحشرات، وبعد عبور النّهر، سرنا مدة ربع ساعةٍ، أو ثلث ساعةٍ على الأرض، وبعدها نزلنا إلى المستنقعات، والمستنقعات قد تصل أحيانًا إلى حد الصدر، أو ربما الكتفين، وكانت كلّها ملوثةً بأوساخ الأبقار، ولمدّة أربع ساعاتٍ، ونحن نخوض في هذه المستنقعات، لأن هذا هو الطريق الوحيد إلى أن وصلنا إلى قرية مكة، أذكر أنه قبل دخولنا إلى قرية مكة، كان معي أحد الإخوة، أصله من مروشيوس، فقال لي: من العيب أن تدخل ورائحتك بهذه الصورة، فانزع ثوبك، فنزعته وقام بغسله، ولكن أين غسله؟ في الماء المليء بالأوساخ! دخلنا بعدها إلى القرية، وكانت أول مرةٍ يرون فيها إنسانًا عربيًا يدخل إلى قرية مكة، وسألناهم عن سبب تسميتهم لقريتهم بـمكة؟ فقالوا ذلك اسم البلد الذي

---

(١) لقاء مفرغ مع قناة الجزيرة بعنوان: قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر، تاريخ الحلقة ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م.

أتينا منه، قلنا لهم: وأين يقع ذلك البلد؟ قالوا: في الشمال، لكنّهم لم يسمعوا ببلاد العرب، ولا سمعوا بالمملكة العربية السعودية، ولا سمعوا بالحجاز، رغم أن هناك قريةً أخرى اسمها حجاز، ينطقونها إيجاز، وكلّ ما يعرفونه أن مكة تقع في الشمال، وأنها مكانٌ طيبٌ ومقدّسٌ، فسألتهم: وما دينكم؟ فقالوا: الحمد لله نحن مسلمون بروتستانت! قلت: كيف ذلك؟ فقالوا: أجدادنا قالوا إننا مسلمون، لكنّنا لا نعرف عن الإسلام شيئًا، وزارنا البروتستانت هنا، وأخبرونا بأن الإسلام والبروتستانتية دينٌ واحدٌ، ولا يوجد بينهما فرق، وعلّمونا كيف نصلّي، وبنوا لنا هذه الكنيسة، التي ترونها، وأعطونا الإنجيل، قلت لهم: أنا من الكويت، والكويت في نفس أرض مكة، وأهلي هناك أرسلوني لكم لأطمئن عليكم، وعلى بقركم، وعلى زرعكم، وعلى نسائكم وأولادكم- وهذه طريقة الترتيب عندهم: الزرع والبقر أكثر أهميةً من الأولاد والزوجات-، وأعطيتهم هديةً: ثوبٌ لرئيس القرية، وقلت له هذه هديةٌ من أهلنا في مكة، وفي الكويت، فرح الرجل، وشرحتُ له أنّ أهلك في مكة يؤمنون بإلهٍ واحدٍ، وهذا الإله هو الذي يحيينا، وهو الذي يميتنا، وهو الذي يشفينا، وهو الذي ينزل المطر من السماء، ليس له مثيلٌ ولا ولدٌ ولا زوجةٌ، وبعدها قمت بإهدائه تمرًا، وقلت له: هذا طعام أهل مكة، وهذا هديةٌ من أهلكم في الكويت ومكة، ثم طلبت منه الأذن في أن أخرج، قال: للتوّ وصلتم، فما الذي أعجلكم؟ قلت له: هذا موعد صلاتنا، سأصلي الآن الظهر والعصر، قال لي: إذًا سأصلي معك، قلت له: لكن أنت غير مسلمٍ، قال: من قال أني غير مسلمٍ، أنا مسلمٌ، وربما أنا مسلمٌ قبلك، فأصرّ الرجل- جزاه الله خيرا-على أن يتوضأ ويصلّي معي، فقلت له: توضأ مثلي،

وجاؤوا لي بوضوءٍ، من ذلك الماء الملوث! فقمت أتوضأ، وهو يقلّدني في كل شيء، قلت له: أثناء الصلاة، لا تلتفت، وافعل مثلي تمامًا، وعندما قمت إلى الصلاة وقف معي وصلينا[١].

(١) لقاء مفرغ مع قناة الجزيرة بعنوان: قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر، تاريخ الحلقة ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م.



الفصل الثاني

عقبات العمل الإغاثي عند الدكتور السميط، وكيف تغلب عليها؟



وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العقبات التي واجهت الدكتور السميط في العمل الإغاثي.

المبحث الثاني: سبل علاج العقبات التي واجهت الدكتور السميط.

المبحث الأول:

عقبات العمل الإغاثي عند السميط

اصطدمت تجربة السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمعوّقات التي تواجه أي عملٍ تطوعيٍّ في إفريقيا بشكلٍ عام، فالقارة الإفريقية تتكون من ٥٤ دولة، وهو رقمٌ يرسم صورة التفكك والتمزق السياسيّ فيها[١].

وفي اليوم الواحد، يبلغ معدّل وفيات الأطفال دون سنّ الخامسة ١٤٠ حالةً، لكلّ ١٠٠٠ طفلٍ، كما أنّ معدّل الحياة المتوقعة عند الولادة لا يتجاوز ٥٤ عاماً بإذن الله، ويحصل ٥٨٪ فقط من السكان على مياهٍ نظيفةٍ، ويصل معدّل الأمية بين السكان الذين تتجاوز أعمارهم ١٥ عاما إلى ٤١ ٪[٢].

ومنذ مطلع القرن الحالي، والقارة الإفريقية تشهد صراعًا محتدمًا في الأفكار والتوجهات، بحثًا عن الموقع الصحيح على خريطة هذا العصر، في ميادين النهضة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية. وبسبب هذا الصراع، تبلورت قائمة كبيرة من التحديات، ومن أهمها: مكافحة الفقر المدقع الذي تعاني منه أكثر شعوب إفريقيا جنوب الصحراء، وضرورة وقف الحروب الأهلية، والصراعات المسلحة، من أجل إحلال السلام والاستقرار، وما يتبع ذلك من بيئةٍ تصون حقوق الإنسان، وتُحفّز على الإنتاج والإبداع والاستثمار.

---

(١) بانا برس: وكالة أنباء عموم إفريقيا: www.panapress.com

(٢) منظمة الأغذية والزراعة، حالة انعدام الأمن الغذائي في العالم، ٢٠١٣م.

وفي تقريرٍ نشرته منظمة الإغاثة الإنسانية البريطانية (أوكسفام) في أكتوبر ٢٠٠٧ م، يقدّر أنّ كلفة هذه النزاعات بلغت خلال الفترة من ١٩٩٠م إلى ٢٠٠٥م نحو ٣٠٠ مليار دولار، شملت ٢٣ بلدًا إفريقيًا، وهو حجمٌ يساوي تقريبًا حجم كلّ المساعدات المالية والاقتصادية التي تلقّتها هذه البلدان في الفترة نفسها.

أمّا التحدّي الأبرز، فهو الأمراض التي تعاني منها هذه القارة، وخاصةً الدول الفقيرة منها والمهمشة، وأخطرها مرض الإيدز، ومرض الملاريا، ومرض السل الرئوي، إذ يشكل الإيدز أخطر معوّقٍ يواجه القارة، وتشير بعض التقديرات إلى أنّ أكثر من ٢٥٪ من القوّة العاملة، قد تُفقد بسبب الإيدز، بحلول عام ٢٠٢٠م، في بعض الدول الإفريقية[١].

ومن العقبات التي يُتوقّع أن تواجه المجتمع الإفريقي خلال الأعوام القادمة بإذن الله: تأثير التغيّرات المناخية، وازدياد حدّة موجات الجفاف، والفيضانات، والكوارث الطبيعية، وشُحّ المياه، ومنها أيضا تزايد عدد اللاجئين في إفريقيا، والذين يُقدّر عددهم بين سبعة وعشرة ملايين لاجئٍ، إضافةً إلى المجاعات والكوارث الطبيعية والأوبئة، تُضاف إلى الديون الخارجية، التي تثقل كاهل إفريقيا، والتي تصل إلى ما يعادل ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من إجماليّ الدخل القوميّ.

ومنها كذلك الديمقراطية، والحكم الصالح، بما ينطوي عليه من توسيع المشاركة الشعبية في عملية صنع القرارات، وتكريس سيادة القانون، وتوفير

---

(١) موقع منظمة الصحة العالمية: http://www.who.int/about/ar/

الآليات الفعّالة، التي يمكن للمواطنين من خلالها ممارسة حقوقهم، وتمكينهم من الحصول على المعلومات والبيانات الضرورية لفهم الواقع والتأثير فيه، إضافةً إلى ضعف مستوى التعليم في جميع الحقول، ممّا يتطلب ضرورة الانخراط الواعي والمدروس في مسيرة التحولات العالمية الكبرى ممثلة في ثورة المعلومات والاتصالات[١].

وعندما تبنّت الأمم المتحدة إعلان الألفية الثالثة بشأن التنمية، في سبتمبر ٢٠٠٠م، والذي تضمن ثمانية أهدافٍ أساسيةٍ، تصبو إليها البشرية، من أجل عيشٍ أفضل، تحققها الدول خلال الفترة الممتدة بين ٢٠٠٠م – ٢٠١٥م، وهي: القضاء على الفقر المدقع والجوع، وتحقيق تعميم التعليم الابتدائي، وخفض معدلات وفيات الأطفال دون الخامسة، وتحسين صحة الأمهات، ومكافحة مرض نقص المناعة (الإيدز)، والملاريا، وغيرهما من الأمراض، وضمان الاستدامة البيئية، وتطوير شراكةٍ دوليةٍ، من أجل التنمية. فلا مناص لإفريقيا من مواجهة هذه التحديات بجديةٍ تامةٍ، ونظرةٍ ثاقبةٍ، وإعمالٍ للإرادة الجماعية، التي تُصمّمُ على تحويل وضع القارة من مظاهر الفقر والمرض والصراعات المسلحة إلى واقعٍ يسعى إلى التنمية المستدامة، ويحارب الفقر، ويُرَسّي قواعد السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان[٢].

---

(١) المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، http://rcssmideast.org/

(٢) موقع الشبكة العربية العالمية:

Global Arab Network ،http://www.globalarabnetwork.com

إنّ أهم ما يعيب الاقتصاديات الإفريقية هو عدم تنوعها وتركيزها على سلعٍ قليلةٍ، وتأخر أساليب الإنتاج، وتعتبر منطقة شمال إفريقيا أهم المناطق الاقتصادية، حيث تساهم بنسبة ٤١٪ من الدخل القومي للقارة، مقابل ١٧٪ لغرب إفريقيا، و٥.٣٪ لوسطها، و٨,٤٪ لشرقها، و٢٨,٣٪ لمنطقة الجنوب الإفريقي.

وتحتل القارة الإفريقية موقعا مهما في خريطة النفط العالمية، إذ بلغ إنتاجها اليوميّ نحو ١٠,٢٨٢ مليون برميل عام ٢٠٠٥م، بنسبة ١٢,١ ٪ من إجمالي الإنتاج العالمي، الذي بلغ نحو ٨٤,٦١٥ مليون برميل يوميًا في العام نفسه، أمّا احتياطات القارة فقد ارتفعت من نحو ١٠٠ بليون برميل إلى ١٠٢ بليون برميل عام ٢٠٠٦م.

أما في قطاع الزراعة فيعمل فيه أكثر من ٧٠ ٪ من القوى العاملة، ويساهم بما يقدر بنحو ٣٠ ٪ من الإنتاج القوميّ الكليّ للقارة، ومع ذلك فإنّ المزارعين الأفارقة هم أكثر فئات المجتمع فقرًا، ولا تتعدّى صادرات البضائع الإفريقية نسبة ٠,٦٨ ٪ من التجارة العالمية، ويعيش ٤٥ ٪ من السكان تحت خط الفقر، أو بأقل من دولار يوميًا، والناتج الداخلي العامّ للقارة، يمثل١ ٪ من الناتج الداخلي العامّ للعالم، في حين أنّ نسبة السكان هي ١١ ٪ من سكان العالم(١).

كانت هذه نظرة عامة لأبرز العقبات التي يمر بها أي عمل يستهدف المجتمع الإفريقي عموما. وفيما يأتي حديث بالتفصيل عن أهم تلك العقبات:

---

(١) المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، http://rcssmideast.org/

أولاً: التنصير:

من أبرز التحديات التي تواجه المسلمين في إفريقيا: التنصير، وأكبر دليلٍ على ذلك ما حصل في مؤتمر كولورادو، المنعقد سنة ١٩٧٨م، الذي جمع ولأول مرةٍ كلّ الكنائس بمللها المختلفة، لهدفٍ أساسيٍّ واحدٍ هو: تنصير إفريقيا في نهاية القرن العشرين، ورُصِدَ لذلك حوالي ٤٠ مليار دولار.

لقد سبق لجمعية العون المباشر أن أصدرت عدّة نشراتٍ تسلّط الضوء على المشروع التنصيريّ الهائل، من حيث أهدافه، ومناهجه، ووسائله، وإمكانياته، ومنظماته، بشكل عام[١].

لم يترك التنصير دولةً في تلك القارة إلا وكان له نشاطٌ فيها، لما فيها من انتشارٍ للجوع، والفقر، والأمراض، فتلك هي مادة التنصير الأساسية، إنّ عدد المنصرين العاملين في هيئاتٍ ولجانٍ تنصيريةٍ يزيدون على أكثر من ٥١ مليون منصر، وعدد الطوائف النصرانية في العالم اليوم ٣٥ ألف طائفة، ويملك العاملون في هذا المجال ٣٦٥ ألف جهاز كمبيوتر لمتابعة الأعمال التي تقدمها الهيئات التنصيرية، ولجانها العاملة، ويملكون أسطولًا جويًّا لا يقل عن ٣٦٠ طائرة، تحمل المعونات، والمواد، التي يوزعونها، والكتب التي تطير إلى مختلف أرجاء المعمورة، بمعدل طائرةٍ كلّ أربع دقائقٍ، وعلى مدار الساعة، ويبلغ عدد الإذاعات التي يملكونها، وتبث برامجها يوميًّا: أكثر من ٤٠٥٠ إذاعةٍ وتلفزيون،

---

(١) أساليب المنصرين للوصول إلى أهدافهم في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، الدكتور: مهدي رزق الله أحمد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٢)، شوال: ١٤٢٨هـ.

وحجم الأموال التي جمعت لأغراض الكنيسة تزيد على ٣٠٠ مليار دولار، وحظ إفريقيا من النشاط التنصيري هو الأوفر[(١)].

أضف إلى ذلك التبرعات التي تدعم النشاط التنصيري - كما يرصدها السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تبرعات صاحب شركة مايكروسوفت بلغت في عامٍ واحدٍ ما يقارب مليار دولار، ورجل أعمالٍ هولنديٌّ تبرع بمبلغ ١١٤ مليون دولار دفعةً واحدةً، وقيل إنّ هذا المبلغ كان كل ما يملكه، وفي أحد الاحتفالات التي أقامها أحد داعمي العمل التنصيري في نيويورك، قرّر أن يوزع نسخةً من الإنجيل على كل بيت في العالم، وكانت تكلفة فكرته ٣٠٠ مليون دولار، ولم تمر ليلةٌ واحدةٌ حتى كان حصيلة ما جمعه أكثر من ٤١ مليون دولار[(٢)].

ووسائل المنصّرين في التنصير كثيرةٌ، ويجمعها أن ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، حيث تدّعي القيام بأعمالٍ إنسانيةٍ، كبناء مستشفياتٍ، وعلاج المرضى فيها، أو بناء مدارس، أو حفر آبارٍ في الأرياف، أو نحوها، بحجة المساعدات الإنسانية، لكنّها تحمل التآمر على الإسلام والمسلمين.

وسأذكر من هذه الوسائل ما يلي:

١- الطّب والعلاج، فالمنظمات التنصيرية كلّما سمعت بمكانٍ فيه فقراء، أو مرضى، هبّت إليه على جناح السرعة، ليس رحمةً بهم، ولكن طمعًا في إدخالهم في النصرانية.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) خادم فقراء إفريقيا، ص(١٩).

٢-إثارة الفتن والحروب، ليأتي هؤلاء المنصّرون على صورة المنقذ، ليتحول هؤلاء النّاس إلى النصرانية، فلابد من وجود أزماتٍ معينةٍ ومشكلاتٍ وعوامل تدفع الناس أفرادًا وجماعاتٍ خارج حالة التوازن التي اعتادوها، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية مثل: التفرقة العنصرية.

٣-تدبير الانقلابات العسكرية على من ترى أنّ نشاطها سيقوى بسقوطه، فتلجأ المنظمات التنصيرية إلى تدبير الانقلابات العسكرية والتواطؤ مع منفذيها، لتحقيق أغراضها.

وقد جاء في إحدى النشرات التنصيرية: بأنّ الأمير النيجيري أحمد بلو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعتبر أكبر عقبة في شمال نيجيريا ضد التنصير، بل هو الذي يفتح الباب للإسلام في نيجيريا، وبعد ذلك كان انقلاب أورنس الذي تربّى على أيدي المنصّرين، وتولّى خلال الانقلاب تلامذة المدارس التنصيرية المراكز القيادية هناك.

٤-إنشاء المدارس الأجنبية لتعليم اللغات أو غيرها في بلاد المسلمين، فتعليم اللغة الإنجليزية يستخدم كطعم، وهذا الطعم ممزوجٌ بالدعوة إلى الإباحية، والدعوة إلى الأخلاق النصرانية.

يقول المستشرقGOP[1]: «إن التعليم هو أكبر العوامل الصحيحة التي

(١) المستشرق البريطاني gop : «هاملتون جب» ولد في الإسكندرية في ٢ يناير ١٨٩٥م، انتقل إلى أسكتلندا، وهو في الخامسة من عمره، للدراسة هناك، التحق بجامعة أدنبرة لدراسة اللغات الساميّة، عمل محاضرًا في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن عام ١٩٢١م، =

تعمل على الاستغراب، وإنّ انتشار التعليم على الطريقة الغربية، سيبعث بازدياد - في الظروف الحاضرة - على توسيع تيار الاستغراب وتعميقه».

٥- البعثات الدراسية، فهم يستغلّون البعثات الدراسية للطلبة المسلمين خارج البلاد الإسلامية.

٦- بناء أكبر عددٍ من الكنائس في البلاد الإسلامية، والاهتمام بمظهرها، حتّى في الأماكن التي لا يعيش فيها أي نصرانيٍّ، لتكون مكانًا ينطلق منه العمل التنصيريّ في المنطقة، ولتحقق بعض ما أنشئت من أجله، ولذلك يحرص المنصرون أن تكون مباني الكنائس والإرساليات والمدارس شاهقةً وغريبة المظهر، حتّى تؤثر في عقول الزائرين، وفي عواطفهم، وخيالاتهم، إنّ ذلك في اعتقاد المنصرين يقرب غير النصارى إلى النصرانية.

=

وتدّرج في المناصب الأكاديمية، حتى أصبح أستاذًا للغة العربية عام ١٩٣٧م، وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديرًا لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة «هارفارد» بعد أن عمل أستاذًا للغة العربية في الجامعة، بالإضافة إلى اهتمامه اللغوي، فقد أضاف إلى ذلك الاهتمام بتاريخ الإسلام وانتشاره، وقد تأثّر بمستشرقين كبار من أمثال تومارس آرنولد، وغيره؛ من أبرز إنتاج جب: (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى) سنة ١٩٣٣م، ودراسات في الأدب العربي المعاصر، وكتاب: (الاتجاهات الحديثة في الإسلام)، وشارك في تأليف: (إلى أين يتجه الإسلام)، وقد انتقل جب من دراسة اللغة والآداب والتاريخ إلى دراسة العالَم الإسلامي المعاصر، وهو ما التفتَ إليه الاستشراق الأمريكي حينما أنشأ الدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق، وله كتابٌ بعنوان: (المحمدية)، ثم أعاد نشره بعنوان: (الإسلام)، وله كتاب عن الرسول ﷺ. كشاف المستشرقين (المستشرقون البريطانيون)، د. أنور محمود زيناتي، شبكة الألوكة www.alukah.net.

٧- الدعوة إلى التنصير من خلال بعض القنوات والإذاعات، وقد قال فريد أكورود: «يبدو أن الإذاعة اليوم هي إحدى الوسائل الرئيسة التي يمكن بواسطتها الوصول إلى المسلمين في بلدان الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا المغلقة، حيث إنّ الإذاعة يمكنها أن تخترق الحواجز الحدودية، وأن تعبر البحار، وتقفز الصحاري، وأن تنفذ إلى مجتمعات المسلمين المغلقة». وقد أنفقوا على هذه الوسائل قرابة : ١١٨٦٥ مليون دولار.

٨- استغلال حاجة الناس للعلاج، وحاجة الناس وقت النكبات والكوارث، وفقر كثيرٍ من هذه الدول، في الوقت الذي تعجز فيه الدول عن القيام بكفاية هؤلاء الناس، فقد استغلّت هذه المنظمات الإغاثية مصائب الشعوب وأمراضها ومآسيها، لتدعوها إلى ضلالاتها، فما تَحُلّ كارثة بأمةٍ من حربٍ أو زلازل أو فيضاناتٍ، إلا ورأيت الجمعيات التنصيرية تنتقل إلى الموقع المنكوب، لتقدّم للمحتاجين العقيدة النصرانية مع قرص الدواء، ولقمة العيش، وقطعة الكساء.

٩- فتح الفرص للتعليم المهنيّ، وفي هذا المجال يقول بيزوز الذي تسلّم رئاسة الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٤٨م، وكانت تسمّي حين ذاك بالكلية البروتستانتية الإنجيلية: «لقد أدّى البرهان إلى أنّ التعليم أثمن وسيلةٍ استغلّها المبشّرون الأمريكيون، في سعيهم لتنصير سوريّة ولبنان، ومن أجل ذلك تقرّر أن يُختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية من مبشريّ الإرسالية السوريّة.

١٠-المرأة: وما يتعلق بها من مواضيع، من تحرير المرأة، ونبذ مظاهر العنف ضدها، ونحو ذلك من المسائل التي يتسللون بها على المسلمين، ويستغلونها للطعن في الإسلام»[١].

ثانيًا: القوى السياسية:

إنَّ صعوبة الوضع السياسي والمتمثل في صعوبة التفاوض بين القوى السياسية المتصارعة، يعتبر أحد أهم العوائق أمام التنمية في إفريقيا، وثمّة إجماعٌ في الرأي، من جانب عددٍ من الخبراء المعنيين بالشؤون الإفريقية، أنّ أبرز أسباب إهدار إفريقيا لفرص التقدّم هي: غياب النظم الديمقراطية، وغياب نظم الحكم الرشيدة في العديد من الدول الإفريقية، ممّا أدّى إلى تفشّي الفساد، والقبلية، والنزاعات العرقيّة، التي عبّرت عن نفسها في سلسلةٍ من الصراعات العرقية، والحروب الأهلية التي دمّرت إمكانات التقدّم[٢].

تعرض السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمواقف كثيرةٍ على أيدي هؤلاء السياسيين، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأذكر أنه ما يقارب من ٢٠ يومًا شاب شعر رأسي فيها حقيقةً وليس مبالغة، فقد قام وزير الداخلية الفرنسي السابق شارل باسكوا، وهو يمينيٌّ متطرفٌ، ويعادي الإسلام، بزيارةٍ إلى موريتانيا، وطلب من المسؤولين هناك أن يغلقوا كل مكاتب الجمعيات الإسلامية، التي كان لها نشاطٌ كبيرٌ في أوساط

---

(١) التنصير يغزو العالم الإسلامي، أحمد عبد الله الرفاعي، مقال في مجلة البيان، العدد (١٥٣)، ٢٠٠٠م.

(٢) مجلة العربي الكويتية، مقال بعنوان: التنمية في إفريقيا: المعوقات وآفاق التطوير، عبد الله تركماني، بتاريخ ١١/ ٢٠٠٩.

الفقراء، ونشاطها جيِّد، فأرسلوا لنا مجموعة من الشرطة يقودها عقيدٌ، وكتب محضرًا بتسليم مقرنا، حتّى أنه سجّل عدد الملاعق والصحون، ولاحظ عدم وجود السكاكين في المطبخ، وتمّ إغلاق مكتبنا وسُجِن مديره، بحجة أنهم اكتشفوا مصنعًا للدّبابات! وكان هذا مؤلـمًا جدًا بالنسبة لي»[١].

وفي السنغال طلبوا منه أن يغادرهم، وقالوا له: «للأسف طلب إبعادك جاء من أعلى سلطةٍ، ونحن نعرف أنّكم مظلومون، وما نريده منكم فقط أن ترفعوا لوحة لجنة مسلمي إفريقيا من على المقر، لكنّه رفض رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقرّر أن يغادر السنغال، ورفض العودة إليهم، إلا بعد اعتذارٍ علنيٍّ من رئيس الدولة، على أن يُذاع في نفس وسائل الإعلام التي تَمّ تشويه صورته فيها، وبالفعل رجع إلى السنغال، بعد اعتذار رئيس الجمهورية، وقد أبلَغَتهُ النّيجر، ومالي، وغينيا، أنّ نفس الشخص-وزير الداخلية شارل باسكوا- طلب منهم نفس الطلب ورفضوا»[٢].

وفي موزمبيق، حصل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ترخيصٍ حكوميٍّ، لبناء مستوصفٍ، في منطقةٍ شديدة الفقر. وعندما تمّ الانتهاء من بنائه، وحُدّدَ يوم افتتاحه، إذا بالمسؤولين يفرضون عليه تعيين تسعة عشر موظفًا في هذا المستوصف الصغير، الذي تَقِلّ مساحته عن ٥٠ مترًا مربعًا! مع أنه ليس في البلد مستوصفٌ حكوميٌّ بنفس الحجم ويعمل فيه مثل هذا العدد من الموظفين! حاول إقناع هؤلاء المسؤولين بصعوبة استيعاب هذا العدد الهائل، فصمّوا آذانهم، ولم يبق أمامه سوى

---

(١) برنامج ساعة حوار مع عبد الرحمن السميط، قناة المجد الفضائية، ٨/ ٠٥/ ٢٠٠٨.

(٢) المرجع السابق.

الاستجابة لهذا الطلب أو التخلي عن هذا المشروع الخيري، بعدما بُذل في إنشائه كل غالٍ ونفيس، ممّا اضطره لتحويله إلى مدرسةٍ قرآنيةٍ[١].

وفي أنغولا التي لا تعترف بالإسلام، بلغ التضييق فيها على العمل الإغاثي الإسلامي مبلغًا قد لا يكون له مثيل - حتّى في الدول التي يحارب فيها علنًا- ولذلك فإنّ بناء مسجدٍ حتّى داخل محيط المركز الإسلامي، يُعدّ أمرًا مخالفًا للدستور! وتعليم أيتام المسلمين الصلاة مخالفٌ لقوانين البلد، أمّا استيراد المصاحف المترجمة، والكتيبات الإسلامية، فيكاد يكون نوعًا من التهريب، أو التجارة الممنوعة[٢].

ثالثًا: الفقر:

لقد سبقت الإشارة إلى مؤشرات التخلّف المخيفة، التي تعاني منها البلدان الإفريقية بشكل عامٍ، ويعاني منها المسلمون بشكل خاصٍ، وهذا العائق هو الذي فرض على السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يتوسع في عمله، فحيثما تحرك دعاته واجهتهم حالات الفقر، والحاجة لأبسط الضروريات، ودائمًا يُضطَرون لتعديل البرمجة الزمنية لأيّ برنامجٍ ينوون القيام به، حتّى لا تتعارض هذه البرامج مع مواسم الزراعة والحصاد، حيث لا يمكنهم ألبتّة التفرغ في أيّ وقتٍ، لِتَعَلّمِ دينهم[٣].

---

(١) برنامج: صفحات من حياتي، قناة المجد الفضائية، ١٤٢٤هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) محاضرة بعنوان: أنقذوا إخوانكم في إفريقيا، موقع إسلام ويب، صوتيات، islamweb.net

إن الوضع الاقتصادي السيئ، وإن كان يفسح المجال للعمل الدعوي الإغاثي كما ذكرت من قبل، إلاّ أنّه من جهةٍ أخرى يعتبر من عوائق سرعة انتشاره، لما يترتب عليه من مشكلاتٍ عدّة، فبالنظر سريعًا في تلك البلاد نجد أنّ مؤسسات البنية التحتية والاقتصادية فائقة الضعف والتخلف، فالمطارات غير مهيأةٍ، ولذا كثيرًا ما يحتاج المسافر إلى ثلاث أو أربع محطاتٍ ليصل إلى المكان الذي يقصده، ممّا يعني استغراق الرحلة وقتًا أطول وجهدًا أكبر، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فالطرق معظمها غير معبّدة، والمواصلات الداخلية غير متوفرةٍ، وهذا كلّه مع عدم وجود الأمن في بعض المناطق يقف حجر عثرةٍ أمام العمل الدعوي، ويمنعه من المضيّ قدمًا إلى حيث يريد، أضف إلى ذلك ضعف التقنية الحديثة، كخدمات الاتصال العامة، كالهاتف، والإنترنت، ووسائل الإعلام، تقف عائقًا أمام استفادة المدعوين، واستغلال العمل الدعويّ لها إلا في إطارٍ محدودٍ جدًا، ويبقى أثره محليًا.

ومن العوائق كذلك عائق اللغة، فكثيرٌ من المدعوين لا يجيد اللغة العربية، ولا حتّى اللغات الأخرى: كالإنجليزية والفرنسية، ممّا يتطلب ضرورة مخاطبتهم باللغة المحليّة، وهذا لا يتأتّى إلَّا عن طريق أناسٍ من البيئة نفسها، خاصةً وأنّ هناك كثيرًا من اللغات واللهجات المحلية السائدة، حتّى في الدولة الواحدة، ممّا يزيد الأمر صعوبةً[1].

(١) آفاق العمل الدعوي في إفريقيا، حوار مع الشيخ محمد بن عبد الله الدويش، http://www.83.bab.com /

رابعًا: الجهل:

يكثر الجهل في المناطق التي يسكنها المسلمون في إفريقيا، عبر اختلاط تعاليم الإسلام بمظاهر الوثنية والخرافات أو البدع، التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا أصل لها في السنّة النبويّة الشريفة، وقد يبلغ مدى هذا الجهل في كثيرٍ من مظاهره درجة حرمان النّفس من حقها في الحياة الطبيعية العاديّة، ومن صور ذلك الجهل: أنّ المرأة في إحدى المناطق المسلمة بكينيا تُحرَم من ممارسة حياتها الطبيعية في أيامٍ معينةٍ، التزامًا ببعض العادات هناك، إذ يَحرُمُ عليها أثناء فترة الحيض أن تغتسل، أو تُنَظّفَ ملابسها، وعليها كذلك أن تلزم البيت ولا تخرج منه، وأن تقضي هذه المدّة في غرفةٍ مظلمةٍ لا إضاءة فيها ولا نور. وإذا أرادت أن تنام، فعلى جلد بقرةٍ فوق الأرض مباشرةً، حتّى أنّه ليحرم عليها بعض المأكولات، والمشروبات: كالحليب مثلًا، وعند ذهاب إحدى القوافل الدعويّة إلى هذه المنطقة، كان ترحيب النساء بها كبيرًا كأنّهنّ يبحثن عمّن يُحرِرُهُنّ من سجن هذه البدع، والعادات السيئة[(١)].

خامسًا: الخوف وعدم الأمن:

تكثر الحروب الأهلية التي يُشعلها السّاعون للسيطرة على ثروات إفريقيا، وتُعَدّ من أكبر العوائق التي تحول دون تحقيق التنمية في هذه القارة، مع أنّها في أمسّ الحاجة إلى من يقف بجانبها[(٢)].

---

(١) مجلة حياة، ملف أوراق متناثرة، العدد (٥٦) ذو الحجة ١٤٢٥هـ.

(٢) التنمية في إفريقيا. المعوقات وآفاق التطوير، عبد الله تركماني، مقال في مجلة العربي الكويتية، بتاريخ ١١/ ٢٠٠٩م.

وقد واصل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ العمل في ظل هذه الحروب الطاحنة، مع أنه كان يفقد من ٨–١٠ من العاملين معه على أقل تقديرٍ في هذه الحروب، ولا تراه ينسحب من تلك المناطق، لأنّ الحاجة إلى عمله تكثر، وقد تعرّض في إفريقيا للاغتيال عدة مرات، من قبل المليشيات المسلّحة، بسبب حضوره الطاغي في أوساط الفقراء والمحتاجين، وعندما اندلعت الحرب الأهلية في غينيا بيساو، وتدخلت القوات السنغالية فيها، اختارت تلك القوات المركز الإسلاميّ الذي يتبع للسميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيساو كقاعدةٍ لها، حيث احتلته، واستولت على ما فيه من محتوياتٍ، وطردته منه بالقوّة، وقد لحقت به أضرارٌ بليغةٌ، بسبب القصف الصاروخيّ، والمدفعيّ الذي استهدفه[١].

وفي ليبيريا أصابت قذائف المدفعية سقف أحد مكاتبه، وقُتِلَ الحارس الذي عُثِرَ على هيكله العظمي ملقىً داخل المركز، عند زيارة السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ له، بعد مرور أشهرٍ على وقوع هذه الأحداث. وكان الجميع يخشى أن تكون الألغام قد زُرِعَت داخل المكتب[٢].

وفي نيجيريا احتلت قوات الجيش النيجيري مركز دار السلام للأيتام في سيراليون ودمرته بالكامل، وقد قام بإعادة بنائه الجيش الأردني واتخذوه معسكرًا لهم، وعندما غادرو نيجيريا بعد انتهاء مهمتهم سلموه له[٣].

---

(١) خادم فقراء إفريقيا، ص(٥٥).

(٢) خادم فقراء إفريقيا، ص(٥٦).

(٣) المرجع السابق، ص(٥٧).

سادسًا: المرض:

ظهر هذا العائق في صورتين:

الصورة الأولى:

تتعلق بما يعانيه أهل إفريقيا وسكانها من الأمراض التي تنتشر هناك، وقد سبق أن ذكرها الباحث، وتشير بعض التقديرات إلى أنّ أكثر من ٢٥ ٪ من القوّة العاملة قد تُفقد بسبب الإيدز بحلول عام ٢٠٢٠ م، في بعض الدول الإفريقية[١].

الصورة الثانية:

تتعلق بحالة السميط الصحية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما عاناه من عشرات الأمراض، فقد أُصيب بجلطتين في القلب، وجلطة في المخّ، مع شللٍ قد زال، وارتفاعٍ في ضغط الدَّم، ومرض السكَّريّ، وجلطاتٍ في السَّاق، وخشونةٍ في الرُّكبة، تَمنعه من الصلاة دون كرسيٍّ، وارتفاعٍ في الكولسترول، ونزيفٍ في العين، ومع ذلك كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعيش في قرىً نائيةٍ، تنقطع فيها الكهرباء وينعدم فيها الماء، مع حاجته لاستخدام إِبَر الأنسولين خمسَ مراتٍ في اليوم، ووجود أدويةٍ لابد من وضعها في مكانٍ باردٍ، أمّا الماء الملوّث، فحدّث ولا حرج! فقد شربه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرارًا، لعدم وجود الماء النظيف، والذي كان بإذن الله سببًا رئيسيًا في إصابته بالفشل الكلوي، وبخروج ديدانٍ من رجليه وساقيه. وقد كان لمرض الملاريا التي تشتهر به إفريقيا نصيب الأسد مع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلم يكن بمنأى عنه،

---

(١) الشبكة العربية العالمية،

Global Arab Network ،http://www.globalarabnetwork.com /

وأصيب به أربع مرات، رفض أول مرتين أخذ العلاج اللازم لها- تعاطفًا مع أولئك الفقراء المصابين بالملاريا والذين لا يجدون ثمن علاجه- إلا أنّه اضطر بعد تدّني حالته الصحيّة، إلى أخذ العلاج، ومع ذلك كان معرضًا للإصابة بها بعد كل زيارةٍ لشرق إفريقيا[١].

سابعًا: المشروع الفرنكفوني:

ظهر مفهوم الفرنكفونية لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر ١٨٨٠م، وقد وضعه الجغرافي الفرنسي: أونسيم ركلوس، للإشارة إلى الأشخاص والدّول التي تستعمل اللغة الفرنسية، وهي: حركةٌ فكريةٌ ذات بعد أيديولوجي، تهدف إلى تخليد قيم فرنسا الأم، في كل مستعمراتها التي انسحبت منها عسكريًا، ومدافعة التيارات القومية واللغوية الأخرى، وذلك من خلال اعتماد اللغة الفرنسية باعتبارها ثقافةً مشتركةً بين الدول الناطقة بها كليًّا أو جزئيا.

وقليلا ما يهتمّ الباحثون بتسليط الضوء على هذا المشروع الفرنكفوني، ومخاطره الجمّة، التي قد لا تَقِلُ تأثيرًا عن المشروع التنصيري، وترى منهجية هذا المشروع في أنّ اللغة والثقافة الفرنسيتين يجب أن تسودا البلدان المستعمرة سابقًا - ولاشك أنّ اللغة هي وعاء الفكر والثقافة - وأن يَحِلّ المشروع الفرنكوفوني محلّ الثقافة العربية والإسلامية، التي تسود ثلاثة أرباع القارة الإفريقية، وتأتي بمحتوىً فكريٍّ وثقافيٍّ وحضاريٍّ مناقضٍ في كثير من أسسه ومبادئه واتجاهاته للدين الإسلامي، ولروح الحضارة الإسلامية.

---

(١) من مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

وتكمن الخطورة الفائقة لهذا المشروع في كونه يعمل من خلال النظم التعليمية، وها هي البلدان الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى قد أسست نظمها حسب الإستراتيجية الخاصة للمشروع الفرنكوفوني! ويمتد كذلك بتأثيراته إلى كافة المجالات المؤثرة، بالنسبة لأي بلدٍ أو أيّة أمّةٍ، مثل الإعلام، والفنون، والآداب، والقضاء، والجيش[١].

ويعتبر هذا المشروع معنيًّا بتنحية الدّين الإسلاميّ في البلدان الإفريقية، وكثيرًا ما تتبنّى رموزه المحلية مواجهاتٍ وانتقاداتٍ حادّةٍ للدين الإسلاميّ، بطرق مباشرةٍ وغير مباشرةٍ، وتضع برامج استراتيجيّةٍ في المجالات التعليمية، والاقتصادية، والاجتماعية، وتكون ذات مضامين مناقضة لقيم الدّين الإسلاميّ في كثيرٍ من الأحيان[٢].

ثامنًا: الإرهاب:

يواجه العمل الخيري بكل مؤسساته اليوم كثيرًا من الضغوط والعقبات، نتيجة تجفيف موارده المالية، بحجة الإرهاب، وقد أثرت تلك الضغوط على تعامل الحكومات والمجتمعات مع هذا العمل، واتخذت أشكالًا وصورًا عديدةً، أسفرت عن تحجيمه، ونبذه، والنفور منه، **ومن تلك الصور:**

١- اتهامه بوجود علاقة بينه وبين الإرهاب، ومحاولة توجيه أيّ تهمٍ تدينه، والوصول إلى أيّ خيوطٍ تثبت هذه التّهم.

---

(١) الإستراتيجيات الفرنكوفونية وأدواتها، د: عبد العزيز بلقزيز، مقال في صحيفة عمان، ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٠م.

(٢) مجلة العربي الكويتية، كمال عبد اللطيف، العدد (٦١٢)،١١/ ٢٠٠٩م.

٢- محاولة إجبار العمل الخيريّ على التخليّ عن ربط الدّعوة بالإغاثة، لما لذلك من أثرٍ يعرفونه في ربط النّاس بالإسلام، ومؤسسات الدعوة، والعمل الخيري، في الوقت الذي يُفتَحُ الباب بمصراعيه للمؤسسات التنصيريّة لاستغلال حاجة النّاس للغذاء والدواء.

٣- التضييق على التبرعات، والتحويلات المالية، للمؤسسات الإسلامية.

٤- تصفية المؤسسات الخيرية النّشطة.

٥- الهجوم الصهيونيّ الغربيّ، على العمل الخيريّ، من خلال الحملات الإعلاميّة، لتنفير النّاس منه، وإشاعة الخوف بينهم، لمنعهم عن دعمه ومساندته.

٦- الحملة العلمانيّة الليبراليّة، في البلدان الإسلاميّة، التي يقودها مجموعةٌ من الكتّاب، بقصد تصفية العمل الخيريّ، بحججٍ واهيّةٍ، لتقويضه ونسف مؤسساته[١].

وللأسف الشديد، إنّ هذه الحملة حققت نجاحاتٍ عديدةً في تحجيم العمل الخيريّ الإسلاميّ، وتقييد أنشطته، وبرامجه، وقد ظهرت آثار ذلك بجلاءٍ في أزمة دارفور، ومجاعة النّيجر، وزلزال تسونامي في إندونيسيا، حيث غُيِّب العمل الخيريّ الإسلاميّ بشكلٍ لافتٍ، بينما أصبحت هذه الأزمات مرعىً خصبًا للمنظمات التّنصيريّة والتغريبيّة، ولا زالت بعض الدول الغربية تتعامل مع العمل الخيريّ والإغاثيّ الإسلاميّ بانتقائيةٍ قانونيّةٍ، وتعده مصدرًا من مصادر الإرهاب، رغم أنّها لم تُثبت ذلك قانونيًا، بل على العكس، فعندما أحيلت بعض

---

(١) التمويل الخيري العقبات المعاصرة والحلول البديلة، محمد ناجي عطية.

القضايا إلى المحاكم الأمريكيّة، ظهرت براءة العمل الخيريّ الإسلاميّ- كما حدث مع مؤسسة الحرمين- وفي الاتجاه نفسه لا زالت عدّة دولٍ تتعامل مع العمل الخيريّ الإسلاميّ بمنطق التّوجس، والقلق من جهة، ومنطق التهميش والإقصاء، من جهةٍ أخرى[(١)].

ولا شك أن عمل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأثر بهذه العاصفة الدولية، التي ضربت العمل الخيريّ الإسلاميّ، بعد أحداث سبتمبر، ولهذا السبب تمّ طرده من مدغشقر، وقد عزم على أن يستقر فيها، وبنى بيتًا هناك، وأوصى بدفنه فيها، وطُرِدَ من أثيوبيا بعد عقد عملٍ وشراكةٍ حكوميّةٍ، استمرت لخمس سنوات[(٢)].

تاسعًا: قلة الدعم المالي:

واجهت السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقبات تتعلق بالتمويل، وتتلخّص تلك العقبات فيما يلي[(٣)]:

١- الضغوط الدوليّة الغربيّة -الأمريكية خصوصا- بسبب ما يسمّونه الإرهاب.

٢- تخوف الكثير من أهل الأموال، وإحجامهم عن الاستمرار في دعم العمل الخيريّ، متأثرين بالحملات الدّعائية، ومُؤثِرين السلامة، مع قلّة وعي الكثير من المستمرين في دعم العمل الخيريّ، في البذل غير المدروس والإنفاق

---

(١) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) معوقات تفعيل عمل المنظمات الخيرية، د. مهدي محمد القصاص، مقال بعنوان: سلسلة ثقافة الخير (٦)، ٢٧/ محرم/ ١٤٣٦هـ.

على أمورٍ جانبيةٍ، لا ترتقي إلى مستوى حاجة الأمة، وأولوياتها في الإنفاق، إضافة إلى وجود الفارق الهائل بين إنفاقهم الشخصيّ، وأنفاقهم الخيري.

٣- التحديات الداخلية، التي كانت تواجهه داخل مؤسسته الخيرية (جمعية العون المباشر)، ومنها: ضعف التواصل مع المتبرعين، وضعف تأهيل الكادر الوظيفيّ، إضافةً إلى عدم توفر الخبرة الكافية في إدارة الموارد، وضعف أنظمة الرّقابة على الأداء والموارد.

٤- الثقافة السائدة بين المنظمات الخيرية، من اعتماد الموارد الماليّة - أساسًا شبه كليٍّ أحيانًا - على التبرعات والهبات التي يجود بها المحسنون، وعدم السعي الحثيث لتكوين أوقافٍ تعتمد عليها المنظمات في الإنفاق الدائم، وغير المشروط على أنشطتها من قبل المانحين، الأمر الذي يُمَكّنها من حريّة التخطيط، واختيار الإستراتيجيات المناسبة لها.

٥- التمويل الخارجيّ في بعض البلدان، رغم أهميته، إلا أنه لا يخلو من التأثيرات السلبية، منها: ربط نشاط المؤسسات المحليّة وفق أجندة واهتمام الجهات المانحة، وإهمال الاحتياجات الحقيقية للمجتمع.

٦- التخوف والهاجس الأمنيّ الذي تعيشه المنظمات الخيريّة، والعاملون فيها، في معظم الأقطار، فقلّ أن تسلم مؤسسةٌ إسلاميّةٌ من الحملات الإعلاميّة، والمساءلة والتحقيق، والمراقبة، والتدقيق، حول نشاطها ونشاط أفرادها، أو حوالةٌ من حوالاتها. لقد أصبح افتعال القضايا، وصناعة الأحداث، والأخبار السلبية، روتينًا يوميًّا تواجهه المنظمات، حتّى أوجست خيفةً، وحبست أنفاسها، خوفا من الدور الذي ينتظرها.

عاشراً: أولوية الولاء القبلي على الولاء الديني:

لا تزال العصبيّة القبليّة متجذرةً في المجتمع الإفريقيّ، وتتجاوز حدود الشعور الطبيعيّ بالانتماء القوميّ كشعورٍ فطريٍّ؛ ولذلك سعت بعض القوى لاستغلال عامل التّنوع القبليّ، في تأجيج الصراعات بين المسلمين وغير المسلمين، ومن جهةٍ أخرى فإنّ ولاء بعض العاملين في مجال العمل الخيريّ لمؤسساتهم، وليس لله سبحانه وتعالى، يمثل عائقًا، بسبب أنّهم ينكرون الإنجازات والأعمال التي قام بها الآخرون، في سبيل أن يُقال إنّ تلك المنظمة لم تنجح[(١)].

الحادي عشر: التّعصب المذهبيّ واللغويّ:

إنَّ الصعوبة الحقيقية في هذا العائق تكمن في تضييع بعض الدعاة من الجماعات الإسلاميّة لأوقاتهم وجهودهم في البحث عن أخطاء الآخرين! لكي يُثبت كُلٌّ منهم أنّ جماعته تمثّل صورة الإسلام الصحيحة، فضلًا عن حرص هؤلاء الدّعاة على أداء العمرة عشرات المرات، وما يتطلبه ذلك من نفقاتٍ ماليّةٍ كبيرةٍ، وهم يرون أمام أعينهم هؤلاء الفقراء من المسلمين، الذين أقاموا مساجدهم من القش، أو ورق الكرتون، أو الخيش أحيانًا[(٢)].

وعندما زار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إحدى المدارس الدّينيّة التي يشرف عليها علماء من الهند، وباكستان في إفريقيا، وجدهم يُعلّمونهم لغة الأوردو، التي يتكلمون بها! وسألهم

---

(١) مجلة قراءات إفريقية، حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا واقعه ومشكلاته، العدد (٦)، سبتمبر ٢٠١٠م.

(٢) خادم فقراء إفريقيا، ص٥٨.

كيف يقضي الطالب الأفريقيّ ٣ سنواتٍ من عمره في تعلّم هذه اللغة؟ فقال له مدير المدرسة: إنّ السبب هو: وجود عددٍ كبيرٍ من الكتب والمراجع بهذه اللغة[١].

الثاني عشر: الفرق المنحرفة والضالة:

لا تزال الغالبيّة العظمى من المسلمين الأفارقة يعيشون حياتهم الدّينيّة وسط التمسك بالممارسات المخالفة للسنّة النّبويّة الشريفة، متأثرين بخلفيات تلك الملل والنّحل الضّالة، وأبرزها الصوفيّة، وأكثر هذه المناطق تأثرًا هي: دول غرب إفريقيا، وتمثل دول غرب إفريقيا ذات المساحة الجغرافيّة الكبيرة مركز ثُقلٍ كبيرٍ للدّين الإسلاميّ في القارة الإفريقية، بعد أن غيّر الإسلام من واقع شعوبٍ وجماعاتٍ كانت تعيش في جهلٍ شديدٍ، وتقاليد دينيّةٍ ضالةٍ، قوامها اعتناق الوثنيّة والخرافة.

وأهميّة إقليم دول غرب إفريقيا استراتيجيًّا تعود للكثافة السكانيّة، ولامتداد الرّقعة الجغرافيّة التي تشتمل على ١٥ دولةً، هي: السنغال، جامبيا، الجابون، غينيا بيساو، غينيا (كوناكري)، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج (كوت ديفوار)، غانا، توجو، بنين، نيجيريا، بوركينا فاسو، مالي. ويَدين حوالي ١١٤ مليون مسلم - أي قرابة ٥٥٪ من دول غرب إفريقيا - بالدّين الإسلاميّ، من جملة سكّان الإقليم، البالغ عددهم ما يزيد على ٢٠٥ ملايين نسمة[٢].

---

(١) مجلة حياة، ملف أوراق متناثرة، د/ عبد الرحمن السميط، العدد (٤٧) ربيع أول ١٤٢٥هـ.

(٢) مشاكل المسلمين في غرب إفريقيا، د: راغب السرجاني، مقال في موقع قصة الإسلام، ٢١/ ٤/ ٢٠١٠م. http://islamstory.com/

الثالث عشر: عدم مراعاة فقه الأولويات:

من المهم جدًا الاطلاع على طبيعة المنطقة، وعلى طبيعة الناس، الذين سوف تقوم بدعوتهم؛ لأن هذين الأمرين كفيلان بإلغاء أيّ خطأ فادحٍ غير مقصود، قد يقع فيه الدعاة، وبالتّالي يتسبب في تأخر وصول الإسلام إلى تلك المناطق.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشكلة الكبرى التي تعاني منها الدّعوة الإفريقيّة هي: انعدام فقه الأولويات، عند كثيرٍ من شبابنا الذين يتصدّون للدّعوة في إفريقيا، وانعدام فقه الواقع لديهم، وأذكر في جمهورية غينيا بيساو، التي يتعايش فيها المسلمون والنّصارى والوثنيون، ورأينا الكثير من النّساء في بعض القرى عراةً تمامًا، لا يُغطّون عوراتهم المغلّظة. فيأتي إليهم بعض الشباب المُتَحَمّس من إحدى دول الجزيرة العربية، ويترجم فتوىً لشيخٍ فاضلٍ، بعدم جواز إظهار العين، عند لبس النّقاب، ويطبعها ويوزعها هناك»[1].

ويذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن شابًا متحمسًا، جاء إلى قبيلة الدّيغو المسلمة اسمًا! -والتي يؤمن أغلبها بالسّحر والشّعوذة، وكثيرٌ منهم يعبدون الأصنام، والقليل منهم من يعرف أركان الإسلام- وجعل محور دورةٍ عقدها هناك، هو: تحريم صيام يوم السبت، وإن سبقه أو لحقه صيام يومٍ آخر، ويأتي دعاةٌ آخرون فيتحدّثون عن الاحتفال بالمولد النّبويّ، ويدخلون في فتنةٍ كبرى، تسيل فيها الدماء، وينتج عن

---

(١) مجلة البيان: حوار مع د. عبد الرحمن السميط، بعنوان: العمل الإسلامي في إفريقيا، العدد (٨٠)، ربيع الآخر: ١٤١٥هـ.

ذلك إغلاق مساجد في وجه المصلين! وتدّخلت على أثرها الحكومات غير المسلمة، وطردت عدّة منظماتٍ إسلاميّةٍ، وَحُرِمَ هؤلاء من الدّعوة إلى دين الله[1].

الرابع عشر: قلّة العناصر المؤهلة، التي تقود العمل الخيري:

أرسل رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجموعة كبيرةً للدّراسة في الجامعات الخليجية- وكان ذلك خطأً قاتلًا بالنسبة له -لأنّهم عندما تخرّجوا طَلَبَ منهم أن يذهبوا إلى قبيلة الأنتيمور في مدغشقر، ولكنّهم رفضوا جميعًا بدون استثناء، وقالوا له: كيف نعمل في منطقةٍ كلّها بعوض، والكهرباء تنقطع كلّ يومٍ، ولا يوجد فيها خدمات صحيّة! وبالرغم من ذلك، فقد بقي السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها ثلاث سنواتٍ، ولم يترك المنطقة، إلا عندما أُجبر إجبارًا على تركها.

إذا كانت هذه نظرة الدّعاة الأفارقة المتخرجين حديثًا من جامعاتٍ إسلاميّةٍ، فهذا يعني أنّ هناك مشكلةً في إعدادهم، بل إنّ المصيبة الكبرى وجود عددٍ من هؤلاء الخريجيّن من الجامعة الإسلاميّة، يعملون الآن دعاةً في السّفارة الإيرانيّة في غانا، وأوغندا، ومدغشقر، وهذا يعني أنّ هناك خطأً في التربية، كان يجب أن يتربّون في إفريقيا، بأولوياتٍ إفريقيةٍ، وهي تختلف عن أولوياتنا في الخليج[2].

الخامس عشر: ضعف التنسيق بين الجمعيات الخيرية الإسلامية:

إذا كان التنسيق في الأصل معدومًا بين الحكومات العربية والإسلاميّة، بل بين الوزارات المختلفة في الحكومة نفسها! فمن باب أولى عدم وجوده بين

---

(١) حقيبة مسافر، ص٢٣.

(٢) مجلة الكوثر، العدد (٦٠)، أكتوبر ٢٠٠٤م.

مؤسسات العمل الدعويّ والإغاثيّ عموما، في الدّول العربيّة والإسلاميّة، ومن هنا استطاعت الدّول العظمى أن تضرب العمل الخيريّ الإسلاميّ، وذلك حينما تُركت منظماتٌ كبيرةٌ تعمل بعبثيةٍ، وبدون هدفٍ أو تنسيقٍ، على العكس تمامًا- وللأسف- فإنّه لا تكاد تخلو دولة في إفريقيا، إلّا ويوجد بها مجلسٌ يضمّ المؤسسات التنصيريّة المختلفة فيها، بل في كثيرٍ من الدّول الإفريقيّة، تُقسّم خريطة البلد: هذه منطقة للكاثوليك، وهذه للبروتستانت، وهذه للأرثوذكس، وهكذا[1].

السادس عشر: المدّ الشيعيّ:

صدر كتاب عنوانه: التّشيّع في إفريقيا- تقرير ميداني-١٤٣٢هـ، عن اتحاد علماء المسلمين، تحت إشراف لجنة تقصيّ الحقائق بمجلس الأمناء، وقد اشتغل الكتاب على ٣٢ دولةً من دول القارة السمراء (إفريقيا)، توزعت على شمال وغرب وشرق ووسط القارة، وعُني الكتاب فقط بأنشطة التشيع، التي تجاوزت المحيط الشيعيّ داخل وخارج إيران، لتدخل إلى المحيط السُّنيّ في الدول الإسلاميّة، أو التّجمعات السنيّة في البلاد الأخرى. ومن أبرز ما جاء في الكتاب: هو بيان الجهات المشرفة على النّشاط الشيعيّ في البلاد السنيّة، وتمثلت في الجهات الإيرانية، وجهاتٍ شيعيّةٍ لبنانية، وعراقيّة، وخليجيّة.

وذكر الكتاب أهم الوسائل التي تقوم على نشر التشيّع في البلاد السنيّة، وتتمثل في: فتح المدارس العلميّة، وبناء الحسينيات، وبناء المستشفيات، وتقديم

---

(١) مجلة قراءات إفريقية، حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا واقعه ومشكلاته، العدد(٦)، سبتمبر ٢٠١٠م.

المساعدات، وجهودٌ خارجيّةٌ عبر بوابة الابتعاث إلى إيران، وغيرها من الجهود الأخرى، التي وردت في ثنايا الكتاب.

وقد فصَّل الكتاب حالة التشيع في الدول الإفريقية، وقَرَن التغلغل الشيعيّ في تلك الدّول بالأرقام والصور، وهو يؤكد العزم الجاد عند الحكومة الإيرانية، لنشر التشيّع، مهما كلّف الأمر[١].

السابع عشر: الحركة الصهيونية:

لم تمثل هذه الحركة عائقًا كبيرًا للسميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وقد ذكرها الباحث هنا، باعتبار أنّها من العوائق التي تواجه الإسلام عمومًا في إفريقيا- وذلك لأنّ الوجود الإسرائيليّ في إفريقيا على المستوى السياسيّ فقط، وليس على مجالات التنميّة والمساعدات.

كان السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقدّم المساعدات الإغاثيّة للمسلمين في إفريقيا طلبًا للأجر والمثوبة من الله أولًا، ثم حرصًا منه على دعوتهم إلى الإسلام، وتنمية مجتمعاتهم، والنهوض بهم، ولا يرجو من ذلك أيّ هدفٍ سياسيٍّ، أو غيره، وكان يقدّم تلك المساعدات بشكلٍ خفيٍّ أحيانا، يقول السميط: «عندما نحضر لهم الدقيق والطعام نضعه أمام البيت ثم ندق الباب ونهرب»[٢].

---

(١) التشيع في إفريقيا، تقرير ميداني، اتحاد علماء المسلمين.

(٢) لقاء مع عبد الرحمن السميط، بعنوان: سفير الخير في إفريقيا، صحيفة الوطن الكويتية، الثلاثاء: ٢٦/٩/٢٠٠٦م.

أمّا الإسرائيليون فعلى عكس ذلك، فقد أقاموا مزرعةً فيها ١٠٠ دجاجة، في سيراليون، وأقاموا لذلك احتفالًا، حضره رئيس الجمهورية، والوزراء، والمسؤولون، وكبار رجال الدولة، وقدّمت إسرائيل ألف دولارٍ، تبرعًا للفريق الوطنيّ لكرة القدم في سيراليون، وفي اليوم التالي نشرت كلّ الصحف هذا الخبر في صدر صفحاتها الأولى، وتدّعي بأنّ المسلمين لا يعرفون إلا بناء المساجد في إفريقيا! لكنّها في المقابل نسيت حفر آلاف الآبار، وكفالة ملايين الأيتام وتعليم آلاف الطلاب في المدارس! وهم لم يقيموا مدرسةً واحدةً في إفريقيا! ولكنّهم يركّزون على بعض المناطق الإستراتيجية: مثل كينيا، وعلى شخصياتٍ معينةٍ مثل: رؤساء الجمهوريات، وكبار المسؤولين، حيث يستثمرون الأموال لهم.

وهذه الخطّة وضعتها جولدا مائير، حيث تعمل على استمالة كبار الشخصيات السياسية، والابتعاد عن الشّارع، أو العمل الخيريّ لأنه بلا فائدة.

والحقيقة أنّ سمعة اليهود في إفريقيا ليست على ما يرام، بسبب بحثهم عن الكسب السريع بأيّ صورةٍ، وحدث مرة أن اتفقوا مع حكومة ساحل العاج على توريد باصات جديدةٍ لنقل الرّكاب بين المدن، وعندما دفعت الحكومة ثمن الباصات لتستلمها، فوجئت بأنها سيئةٌ جدًّا، وغير صالحةٍ! كما أنّ تجارتهم في الماس، وخصوصًا في سيراليون، أعطت صورةً سيئةً عنهم[1].

(١) لقاء مع عبد الرحمن السميط، بعنوان: سفير الخير في إفريقيا، صحيفة الوطن الكويتية، الثلاثاء: ٢٦/٩/٢٠٠٦م.

المبحث الثاني:

سُبُل التغلب على العقبات التي واجهت الدكتور السميط في عمله الإغاثي

إنّ نجاح أيّ عملٍ، يكون مرهونًا بالتّعرف على مشكلاته، ومعوّقاته، وطرائق تذليلها، فبعد أن عرفنا العوائق والعقبات التي واجهت السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثناء عمله الإغاثي في إفريقيا، سيتناول الباحث في هذا الجزء من البحث بمشيئة الله، الكيفية التي استطاع عن طريقها تذليل تلك العقبات والعوائق التي واجهت عمله الإغاثي في إفريقيا، وسيكون التّناول بشيءٍ من التفصيل على النّحو التالي:

سُبُل التغلب على عقبة التّنصير

على الرغم من وجود مئات المؤسسات الكنسيّة في إفريقيا، إلّا أنّ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعايش مع ذلك الوجود بحكمةٍ واتزانٍ، فكان يَنهى عن المساس بدور العبادة المسيحية، والشعائر الدينيّة لغير المسلمين، في القرى التي يدخل أهلها في الإسلام، وانتقد بشدّةٍ الدّعاة الذين يزورون بلدان الأقليات المسلمة، وينشرون فتاوى ضد النّصارى، ممّا يؤدي إلى تعطيل الدّعوة بين النّاس هناك.

ولعلّ من حكمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّه لم يُعرف عنه أنّه واجه بعداوةٍ التّوجه الكنسيّ في إفريقيا، بل ناقش بالحجة والبرهان- المستمدَيْنِ من الإسلام- القساوسة القائمين عليه، حتّى إنّ البعض منهم دخل في الإسلام.

قدّم المصلحة العامّة للقارة على مصالح الأفراد، بمعنى أنّه إذا دخل قريةً فقيرةً اختار أولًا أن يحفر لهم بئر ماءٍ، يساعدهم جميعهم مسلمهم وكافرهم على الزراعة وسقي الأنعام والشرب وما إلى ذلك، الأمر الذي يجعلهم يثقون تمامًا في

أنّ هذا الشخص يساعدهم دون أن ينتظر منهم مقابلًا، كما تفعل الكنيسة، والتي تقدم الطعام للمسيحيين فقط، دون غيرهم، وهي نقطة الضعف التي انطلق منها السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث كان يقدّم الطعام والملابس للجميع بدون تحديد ديانتهم، ثمّ يجلس معهم ليحدثهم عن الإسلام، وَيُلَيّن قلوبهم، الأمر الذي ساعد كثيرًا في إسلام العشرات، بل والآلاف، بهذه الطريقة البسيطة.

ثمّ يُتبع ذلك ببناء مسجدٍ وتعيين داعيّةٍ، من نفس القبيلة، وبناء مدرسةٍ، ودار أيتامٍ، والمُلاحَظ أنّ أغلب الدّعاة يكونون من نفس القبيلة ممّا يُساعد على توصيل المعاني، وشرح المبادئ، والتبصير بأمور الدّين الإسلاميّ.

يقول السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وللعلم فإنّ الأرقام التي يذكرها بعض أئمّة المساجد، أو من يكتبون في الصحف غير صحيحة، فأنا أعمل في هذا المجال منذ ٢٧ سنة، وأقضي سنويًا من عشرة إلى أحد عشر شهرًا داخل إفريقيا، ونعمل في أربعين دولةً إفريقيةً، وزرت قرىً ومدنا إفريقيّة أكثر من أيّ إنسانٍ عربيٍّ، أو مسلمٍ آخر، وأقولها عن ثقةٍ وعمّا ألمسه يوميًا، أنّ الإسلام ينتشر في إفريقيا أكثر بكثيرٍ من أيّ دينٍ آخر، وأطلب من هؤلاء الذين يتحدثون عن تراجع الإسلام في إفريقيا أن يرجعوا إلى أكثر مجلةٍ مسيحيّةٍ متخصصةٍ في التبشير، وهي مجلة علمية بحتة واسمها (انترناشيونال بولتن اوف ماشنيري سيرش) عدد: يناير/ ٢٠٠٥م، حيث يذكر د. ديفيد بارت، وهو: أستاذ جامعيٌّ متخصصٌ في إحصائيات التبشير، أنّه خلال الثلاثين سنةً الماضية، زادت أعداد المسيحيين في إفريقيا، وغير إفريقيا، بنسبة ٢٧٪، بينما زادت أعداد المسلمين ١١١٪ خلال نفس الفترة. وأعتقد أنّ الكسب الأكبر للإسلام في إفريقيا، في المناطق التي نعمل

فيها، حيث أُقدّر عدد الذين أسلموا خلال السبعة والعشرين عامًا الماضية، بأكثر من ٥ ملايين شخص»[١].

وقد يقول القائل إنَّ هذا الرقم مبالغٌ فيه! ولو أخذنا مالاوى كمثال، وهي: بلدٌ لا يعمل فيها أيّ مؤسسةٍ إسلاميّةٍ غير جمعية العون المباشر، سنجد أن نسبة المسلمين فيها عام ١٩٨٠م كانت١٧٪، والآن وصلت نسبة المسلمين إلى أكثر من ٥١٪، وإذا كان عدد سكان مالاوى الآن ١٥ مليونًا، فهذا يعني أنّ المسلمين زادوا ٣٣٪، أي ما يعادل ٥ ملايين شخصٍ، وفي رواندا نسبة المسلمين الآن أكثر من ١٧٪، فيما كانت نسبتهم عام ١٩٨٠م ٦٪. لقد سبق لجمعية العون المباشر أن أصدرت عدة نشرات تسلط الضوء على المشروع التنصيريّ الهائل، من حيث أهدافه، ومناهجه، ووسائله، وإمكانياته، ومنظماته. وبشكلٍ عام[٢].

وقد قام السميط رحمة الله عليه بخطواتٍ نجحت في الحدّ من التنصير- نوعًا ما- في الدّول الإفريقيّة، التي عمل فيها، وذلك باتباعه للأساليب التالية:

١- توسيع نشاط الدعوة إلى الله تعالى في أوساط النّصارى، من المقيمين في بلاد الإسلام، وغيرهم، وهذا يحقق عدة أهدافٍ:

أولًا: هداية من شاء الله منهم.

---

(١) انظر: ملامح من التنصير. دراسة علمية، طباعة مركز دراسات العمل الخيري، الكويت،٢٠١٠م ص١٦-٣٠.

(٢) سفير الخير في إفريقيا، لقاء مع عبد الرحمن السميط، صحيفة الوطن الكويتية، الثلاثاء ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٦م.

ثانيًا: وسيلةٌ فعّالةُ لإحباط جهود النصارى، تمثلت في عدم التمييز بين المسلم وغير المسلم في الهدايا، وتوزيع الطعام والكساء، وحتى كفالات الأيتام في بعض الأحيان، ممّا جعل الإنسان الإفريقيّ يميّز بين من يدعمه بدون مقابلٍ، ومن يشترط عليه المسيحيّة أولًا.

ثالثًا: إنَّ أفضل وسيلةٍ للدفاع هي الهجوم، فهو يواجه الكيد التنصيريّ بوسائل مكافئةٍ، ليس بالضرورة أن تكون في نفس الخبث الكنسيّ، وإنّما بالدّعوة بالحسنى، والمقارعة بالحجج، وفضح كذبهم على الملأ، وقد حدث في إحدى القرى الإفريقية كما يروي السميط: «أنّ أحد القساوسة قد دعا الأهالي لإقامة قُدّاسٍ في يوم الأحد، فقام رجلٌ كبيرٌ في السنّ، وسأل القسيس عن وجود الله؟ هل هو خلفه أم أمامه؟ فإن كان خلفه فمن المعيب أن تدير ظهرك لله، وإن كان أمامه، فمن غير المنطق أن يستقبله هو بوجهه، ويترك النّاس بظهورهم لله. وأكمل الشخص قائلًا: المسلمون يوجّهون وجوههم في اتجاهٍ واحدٍ، وهو مكان إلههم، ويتساوى في ذلك غنيّهم، وفقيرهم، إذًا هم أفضل منكم! كانت كلمات الرجل هي القشّة التي قصمت ظهر البعير، وأسقطت كل ما كان يريد قوله.

رابعًا: في ذلك فضحٌ لأعمال المنصريّن؛ لأنّ هؤلاء المسلمين الذين دخلوا في الإسلام حديثًا، يعرفون بني قومهم، وخططهم، وربما حضروا معهم في بعض الأعياد، والمناسبات، والطقوس.

٢- نشر العلم الصحيح بين المسلمين، وتوعيتهم بأمر دينهم، عقيدةً وأحكامًا وأخلاقًا؛ وذلك لحمايتهم من التأثير بالآخرين، فإنّه ليس بمكانٍ لولوج المنصريّن إلى القلوب السليمة، والعقول المنيرة، إنّما يكون خطرهم على الجهّال،

ولذلك ينبغي ترتيب أمر توعية المسلمين، ونشر الدّعوة الصحيحة فيما بينهم، في كل مكانٍ.

٣- المساعدة في قيام مؤسساتٍ طبيةٍ خيريّةٍ إسلاميّةٍ، تستثمر جهود الأطباء، وتقتطع من وقت فراغهم، ولو شيئًا يسيرًا، لتطبيب المسلمين الفقراء، بدعمٍ كاملٍ من جمعية العون المباشر بالكويت، وبعض الخيّرين في كل مكان، ويُصاحب ذلك جهدٌ دعويّ، لعودتهم إلى الله تعالى، ودعوتهم إلى التوبة من الذنوب والمعاصي والآثام.

٤- إعداد مطوياتٍ مختصرة، بلغاتٍ شتّى عن الاسلام، وهو ما عُرف عند السميط بالدّعوة عن طريق الكُتب المترجمة بلغاتٍ محليّةٍ، يسهل قراءتها.

٥- العناية الخاصّة بالمسلمين الجدد، فإنّنا نجد النصارى يعتنون كثيرًا بالنّصارى الجدد، يقول السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس مهمتنا إعلاميّة فقط، فنحن نعلن كل أسبوع أنّ ٢٠ إفريقيًّا يشهرون إسلامهم، ثمّ ينتهي دورنا عند هذا الحد! لا، مهمتنا تبدأ من يوم أن دخل هذا الشخص في الإسلام، فلابد أنّ نحتضنه، ونعلمه، ونتلطف معه بحسن الخلق، وندعوه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ونؤلف قلبه على الخير، ونعمل على الاتصال به بالهديّة، وبالكلمة الطيّبة، وبالزيارة، وبالدّعوة إلى المناسبات؛ فذلك يعمل على تعميق الإسلام في قلبه».

سبل التغلب على العقبات السياسيّة؟

كان أحد وسائله لكسب الحكومات، هو: تنفيذ ما يطلبون، ويوافق منهجه وسياسته، وكان يشركهم في افتتاح مراكزه الإسلامية في تلك البلدان، سواءٌ كانوا

مسلمين أو غير مسلمين، ويحرص على أن يكون عمله مقرونًا بقبولٍ حكوميٍّ، وله طابعٌ رسميّ، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا واجه مشكلةً من أحد السياسيين البارزين، يَعمَد إلى زيارته، وتقديم الهدايا له، ومن ثمّ استمالة قلبه له، وكان لعمله الإغاثيّ الإنسانيّ أكبر الأثر في تخفيف هذه العقبة، وما حدث معه في إثيوبيا، دليلٌ على ذلك، حيث هناك أربع مراكز ومدارس للتعليم العام، بناها السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان لابد له من تحديد مسار عمله، إمّا أن يكون دعويًا، أو إغاثيًّا، لأنّ نظام الدولة عندهم لا يسمح بممارسة العمل في طريقين! اختار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكون عمله إغاثيًّا، ومن خلال عمله الإغاثيّ في أحد مخيمات العيون، أعطي من قبل حكومة أثيوبيا شراكةً لمدّة ٥ سنواتٍ، استطاع من خلالها أن يمارس نشاطه في الدعوة إلى الله[١].

سُبُل التغلب على عقبة الجهل؟

آمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن التعليم هو مفتاح الدّعوة في إفريقيا، فبنى المدارس والكليات، وحفر الآبار، وشيّد المستوصفات، وأنشأ المراكز الإسلاميّة المتكاملة، وعقد دوراتٍ لأئمّة المساجد، والدعاة إلى الله، ودوراتٍ للمهتدين الجدد، ودوراتٍ للطلبة والنساء، وعمل على إرسال القوافل الدّعوية إلى الأماكن النائية، وترجم الكتب، وافتتح محطات الإذاعة، وشارك بعض دعاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بثّ بعض البرامج التلفزيونية، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أذكر جيّدًا عن تجربتنا في إذاعة القرآن الكريم في سيراليون – التي شريناها من حكومة سيراليون- أنّ بعض القرى لم ترَ داعيةً، لكنّها أسلمت، وصحّ تمسكها بهذا الدّين، بواسطة الإذاعة! وأرسلت لنا

---

(١) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

قرىً كثيرةً، كانت قد انحرفت، أو قَرُبَت من الانحراف عن منهج الله، بأنّ تلك الإذاعة التي سمعوها، أنقذتهم بفضل الله من الكفر[١]، كُلّ ذلك كان له الأثر الكبير- بعد توفيق الله- في فتح أعين المجتمع على الإسلام.

سُبُل التغلب على عقبة الخوف وعدم الأمن

يقوم العمل الخيريّ بدورٍ كبيرٍ في إحلال السّلام، وحلّ المشاكل الاجتماعية، والأمنية، فالعمل الخيريّ يمتص طاقات الكثير من الشباب، الذين يوجههم عمل الخير إلى هذا الطريق، ولو تُركوا لكان خطر انحرافهم أكثر وأكبر.

يقول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا أستطيع أن أحصي أولئك الذين أنقذهم عملنا بفضل الله من مهاوي الجريمة، والانحطاط الخلقي». وعلى سبيل المثال فقد عقد في النّيجر دوراتٍ خاصةً بالمنحرفات أخلاقيًا، واستجابت الغالبية العظمى منهنّ، وبدأن رحلة التوبة، والحياة الطّاهرة، وكانت نسبة نجاح هذه الدورات في إنقاذهن من حضيض وذل الزّنا إلى كرامة المرأة في الإسلام ٨٦,٦٪ ولله الحمد[٢].

وفي منطقة كليفي، في كينيا، روّعت عصابةُ من اللصوص الأهالي، وطاردت قوات الشرطة أفرادها طويلًا، وأخيرًا اكتشف أنّ زعيم العصابة مسلمٌ، له شعرٌ بشعٌ، تشمئز منه النفوس، أرسل له السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعاةً من جماعته، ليزوروه، ويشجعوه على تنمية هوايته بالرّسم الجائز شرعًا، فرسم أحد

---

(١) برنامج: وجوه إسلامية، لقاء مع عبد الرحمن السميط، قناة العربية،١١/ ٠٩/ ٢٠٠٨.

(٢) مجلة حياة، ملف أوراق متناثرة، العدد (٥٣)، رمضان ١٤٢٥هـ.

مساجدهم هناك وأعطوه مكافأةً، ثمَّ طلب منهم أن يرسم بعض المناظر الطبيعيّة، وفرح بهذا العمل، فساعده على فتح محل للرسم بالقرب من أحد مساجده، فاشتهر أمره، وبدأ يؤدي الصلوات الخمس في المسجد، بفضل الله الذي أنعم عليه بالهداية، ثمّ بفضل مهنة الرسم، التي صار يعيش على دخلها»[(١)].

ويذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ العصابات المسلحة من قطّاع الطرق، التي تهجم على المدنيين، وتسلب أموالهم، وممتلكاتهم، روّعت إحدى مناطق الصومال، فأرسل عددًا من الدّعاة إلى هؤلاء اللصوص، فرجع تسعة منهم، هداهم الله، وأصبحوا ملازمين للمسجد، بعد أن أدخلهم دورةً دينية، وأهدى كل واحدٍ منهم طعامًا لعائلته يكفيه شهرًا كاملًا»[(٢)].

كانت آثار الاضطرابات القبلية تؤثر على سير الدعوة الإسلاميّة في إفريقيا، وولّدت في بعض الأحيان في نفوس أبناء القبائل عداءً للإسلام، مثل ما حدث مع أبناء قبيلة غيرزي، حينما نفروا من الإسلام والمسلمين، بسبب العداوة المتبادلة بينهم وبين قبيلة المالينكي، وعندما أنشأ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مركزًا في مدينة أنزيريكوري، كان من أوجب واجباته أن يعمل على تصحيح صورة الإسلام في أذهان أفراد قبيلة غيرزي، وأن يقنعهم بأنّ هذا الدين جاء للنّاس كافةً، لا تفاضل فيه بينهم، إلاّ على أساس التقوى، والعمل الصالح، ولا يعترف إطلاقًا بفوارق الدّم، أو اللون، أو الجنس، أو اللغات، أو الأوطان، أو غيرها من المقاييس

---

(١) مجلة الكوثر، العدد(٥٧)، يوليو ٢٠٠٤م.

(٢) مجلة الكوثر، العدد(٥٢)، فبراير ٢٠٠٤م.

العرقيّة البشريّة، وأنّ ما يجري بينهم وبين إخوانهم من عداوةٍ ومناوشاتٍ عصبيّةٍ إنما هو بسبب عدم الإيمان بالعقيدة الصحيحة، وسوء فهمها، أو التشدّد في أسلوب تبليغها.

وقد أدت هذه السياسة التي انتهجها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في علاج هذه الأوضاع إلى اعتناق الكثير من الوثنيين الإسلام، بعدما اتضحت معالم صورته في أذهانهم، وفصلوا بينه، وبين سلوك منافسيهم المالينكيين، وقد أشادت السلطات المحليّة بالأسلوب الحضاري، الذي تبناه في الدّعوة الإسلاميّة، حتى أصبح مضرب مثلٍ في الأوساط الرسميّة والشعبيّة، وأصبح دعاته نماذج رائعةً في تمثيل صورة الإسلام، بما تحلّوا به من مكارم الأخلاق، وحسن المعاملة، ولينٍ، وحكمةٍ في الدعوة إلى الله(١).

سُبُل التغلب على عقبة المرض

يقول السميط: سألقي عصا الترحال يومَ أن تُضمَنُ الجنّة لي! هذه هي وربي الهمّة العاليّة! كيف يرتاح، والملايين من الناس بحاجةٍ إلى عمله! وكيف يفوّت على نفسه تلك الفرصة العظيمة، في دخول النّاس إلى الإسلام، وكل أسبوعٍ يدخل في الإسلام العشرات من أبناء إفريقيا(٢)!

أمّا بالنسبة للمجتمعات الإفريقية، فقد حرص رَحِمَهُ ٱللَّهُ على بناء المباني الطبية، من مستشفياتٍ ومستوصفاتٍ، بلغت أربع مستشفياتٍ، في بنين،

---

(١) مجلة الكوثر، العدد(٥٨)، أغسطس ٢٠٠٤.

(٢) مجلة نون، لقاء مع د. عبد الرحمن السميط، العدد الرابع، رمضان- شوال ١٤٢٦هـ.

وغامبيا، والنيجر، وبوركينافاسو، مجهزةً بأجهزة حديثة، و٢٥٦ مستوصفًا، وأرسل القوافل الطبيّة، التي قامت بإجراء العمليات الجراحيّة[١].

سُبُل التغلب على عقبة الإرهاب

استطاع السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يتجاوز هذه العاصفة، بفضل الله ثمّ بفضل الطابع الإنساني البحت لكل نشاطاته الخيريّة في إفريقيا، وبسبب سيرته الرائعة، القائمة على التعاون، والتحاور مع الإنسان - أيا كان دينه، أو ملّته - بالإضافة إلى العمل المؤسسي البعيد عن الارتجال، والمُنَقّى من أيّ تسييسٍ، ولم تؤثر حملة ما يُسمّى الحرب العالميّة على الإرهاب - في تقدير السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ - على العمل الخيريّ في إفريقيا، مقارنةً بالضغوط التي مورست على الهيئات الخيريّة العاملة في جنوب شرق آسيا، خاصّةً في أفغانستان، وباكستان، والجمهوريات الإسلامية المستقلة.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الضغوط التي تمارس ضد العمل الخيريّ ومنظماته هي جزء من مخططٍ كبيرٍ ضد الإسلام، والمسلمين، ويجب أن نعمل، ولا نتأثر بهذه الحملات، المهم أن نعمل عملًا مدروسًا، ومؤسسيًّا، له كوادره ومتخصصوه، وقد دعوت جامعة الكويت، والجامعات الخليجية، إلى تدريس مادة إدارة العمل الخيريّ، لسدّ العجز في الكوادر المتخصصة، التي تحتاجها الجمعيات الخيريّة، خاصةً أنّها في حاجةٍ ماسةٍ إلى أفرادٍ مدربين، ومُعدّين إعدادًا جيّدًا، يُمَكّنُهم الولوج في العمل الإداريّ على أسسه العلميّة الصحيحة»[٢].

---

(١) موقع جمعية العون المباشر /http://direct-aid.org/cms.

(٢) برنامج: وجوه إسلامية، لقاء مع عبد الرحمن السميط، قناة العربية، ١١/ ٠٩/ ٢٠٠٨

سُبُل التغلب على عقبة الدّعم الماليّ

يجد الباحث أنَّ الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مارس الحلول التالية:

١-تحديد أولويات العمل الخيري.

٢-ترشيد العمل الخيري.

٣-اتجاهات مهمة لتعظيم الموارد المالية.

٤-فن التعامل مع المتبرعين والاهتمام بهم.

٥-نصائح للاحتفاظ بالمتبرع مدى الحياة.

٦-تجنب الأخطاء القاتلة في جمع التبرعات[1].

أولاً: تحديد أولويات العمل الخيري:

١-تحرير مفهوم العمل الخيري في عقول العاملين معه في هذا القطاع، وفصلها عن غيرها من المفاهيم الأخرى، مثل: الرّبط بين عمليات الجهاد، والمقاومة، وبين العمل الخيري.

٢-عدم الصّمت عن دعاوى الأعداء والمنافقين، وتثبيت عامّة النّاس والمتبرعين؛ لئلاّ تهتز ثقتهم به، من خلال استخدام وسائل الإعلام، والمؤتمرات، والنّدوات، والاتصالات الفردية، والاتصال بالمسؤولين، وتفعيل كافة الآليات المناسبة، لمواجهة هذه الحملات الضاريّة.

---

(١) الإدارة الحديثة في العمل الخيري، د. عبدالرحمن السميط، محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.

٣- غرس الثّقة لدى المتبرعين، وتقوية العلاقة بهم، وبالداعمين، والمحافظة عليهم، وتمكينهم من الزيارات الميدانيّة، وتزويدهم بالتقارير الدوريّة، التي من شأنها إثبات مصير تبرعاتهم.

٤- العمل المتواصل للاعتماد - بشكل رئيس- على تمويل مشاريعه من خلال وجود الأوقاف والاستثمار، لأنّه حينئذٍ سيجد مناخًا من الحريّة، لرسم إستراتيجياته، وأهدافه، وسياساته، بصورةٍ مستقلةٍ وبعيدةٍ عن تسلّط الدّاعمين، وهذا يدفعه إلى تحديد أولوياته، وإنفاق موارده في تنفيذ تلك الأولويات.

٥- عدم التقليل من الأهمية الخاصة للمتبرع، ومراعاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ للظروف المعاصرة، التي تضمن له بعون الله تعالى الاستمرار والازدهار.

٦- الخروج من الحيّز التقليديّ، والإدارة الفرديّة، إلى حيّز العمل الجماعيّ المنظّم، وتفعيل مجلس الإدارة.

٧- استفادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنظمة المنظمات العالمية، نظرا لظروف دراسته للطب في كندا وبريطانيا، وما تخللها من أنشطةٍ دعويّةٍ سبق ذكرها[١].

٨- التعاون مع الهيئات الإسلامية، والمنظمات العالميّة الأخرى، كرابطة العالم الإسلامي، والنّدوة العالميّة للشباب الإسلامي، ومنظمة الأمم المتحدة.

٩- العمل على تغيير صورة العمل الإغاثيّ، باعتباره عمليةَ استجداءٍ وشحاذةٍ للمتبرعين، أو عملية توزيع الأكل والشرب واللبس على المحتاجين!

---

(١) سبق ذكرها في التمهيد، تحت عنوان نبذة عن حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إلى عمل إغاثيٍّ تنمويٍّ شاملٍ للمتبرع والمحتاج[١].

ثانيًا: ترشيد العمل الخيري:

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا ينفق ما تحت يده من الأموال، إلا فيما يعود عليه بأعلى منفعةٍ يتمنّاها، وبأقل خسارةٍ قد تحدث في الموارد التي بين يديه، واعتمد في ذلك على ما يلي:

١- بنى مشاريع تعليم، ودرّب الكثير من المحتاجين، والأيتام، وحوّلهم من مستهلكين وعالةٍ إلى منتجين، عن طريق دعم وتمويل المشاريع الإنتاجية الصغيرة.

٢- تخفيف الاعتماد الكليّ على المتبرعين، والتركيز على المشاريع الاستثمارية، وتقسيم البرامج والأعمال إلى: برامج ضروريةٍ، تغطيها الإنفاقات الضروريّة، في حال شحّ الموارد الماليّة، وبرامج توسعية، تضاف عند توسّع الموارد، وازدياد التبرعات[٢].

ثالثًا: فن خدمة المتبرعين:

أ- لا يستغني العمل الخيريّ الإسلاميّ عن المتبرع، مهما بلغ هذا العمل من القوّة، وإنّما كان السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطالب بعدم الاعتماد الكليّ عليه، وليس الجزئي، ويعود ذلك إلى أنّ التبرع في الإسلام واجبٌ شرعيٌّ على الموسرين، وأنّه بذلك يقدّم لهم خدمةً، حين يقبل تبرعاتهم، ويصرفها في مصارفها الصحيحة، مقابل الأجر والثواب من الله تعالى.

---

(١) الإدارة الحديثة في العمل الخيري، د/ عبد الرحمن السميط، محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.

(٢) المرجع السابق.

ب- اتبع طرق وأساليب في التعامل مع هؤلاء المتبرعين، ومن هذه الأساليب:

١- معاملتهم بكرامةٍ واحترامٍ، من دون تَبَذّلٍ وإهانةٍ للنفس، والانطلاق من مبدأ الثواب المشترك، والمنافع المتبادلة، بين المتبرع والمنظمة الخيرية.

٢- احترام أوقاتهم، وقدراتهم، وخبراتهم.

٣- توفير المعلومات الواضحة، والدقيقة، عمّا يطلبونه.

٤- الالتزام بالمواعيد في تنفيذ الأعمال، وتجنب تحديد المواعيد التي لا تستطيع الوفاء بها.

٥- ضمان أنّ المعلومات الخاصة بتبرعاتهم تعامل بسريّةٍ تامّةٍ، بالقدر المسموح به قانونًا.

٦- تجنب تهميشهم، من خلال اتباع الشفافية، والوضوح، في اطّلاعهم على تبرعاتهم ونتائجها، مهما بلغ مقدار الثقة، حتى تحصل المنظمة على المزيد من الثقة والأمان.

٧- تبشيرهم بالإنجازات التي تسببوا فيها، لإدخال السرور على قلوبهم.

٨- الوقوف عند شروطهم المتفق عليها، وعدم الاجتهاد في تجاوزها، إلّا برضاهم، أو تحويلٍ للمشاريع، إلّا بموافقتهم، ومن غير إلحاحٍ وإحراجٍ لهم، لتغيير قناعاتهم[1].

---

(١) الإدارة الحديثة في العمل الخيري، د. عبد الرحمن السميط، محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.

رابعًا: كيف حافظ على المتبرعين:

اتبع رَحِمَهُ ٱللَّهُ النصائح التالية:

١- إرسال خطاب شكرٍ، فور استلام التبرع.

٢- يبلِّغه بالإنجازات التي ستنفذ نتيجة تبرعه.

٣- عدم تأخير حل مشكلاتهم أبدًا.

٤- دعوته مع غيره للاتصال بالمنظمة، والزيارة الميدانيّة، وافتتاح المشاريع المنفَّذة.

٥- إشراك المتبرع في مناسبات المنظمة.

٦- مشاركة المتبرع في مناسباته الخاصة.

٧- استشارتهم في بعض مشاريع المنظمة[1].

خامسا: تجنب الأخطاء القاتلة في عملية جمع التبرعات:

قد يقع العاملون في المؤسسات الخيرية في بعض الأخطاء، بقصدٍ أو بغير قصدٍ، أثناء التعامل مع المتبرعين، وقد تتكرر هذه الأخطاء، ممّا يؤثر سلبًا على سمعة المؤسسة، وعلى استمرار الدّاعمين في الحماس لدعمها، ومساندتها.

ومن تلك الأخطاء ما يلي:

١- جمع التبرعات لقضايا لا تهم، ولا تثير اهتمام الناس، أو قضايًا منتهية.

---

(١) الإدارة الحديثة في العمل الخيري، د. عبد الرحمن السميط، محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.

٢-عدم تحديد أهدافٍ واضحةٍ، وعدم وجود فوائد جليّةً من وراء جمع التبرعات.

٣-المبالغة، وعدم الواقعية، فيما تطلبه المنظمة من المتبرع.

٤-عدم تحرّي واختيار الوقت المناسب، عند طلب التبرعات.

٥-ظهور المنظمة بمظهر غير المتخصص، والمدرك لأبعاد عملها.

٦-اعتماد المنظّمة على شريحةٍ واحدةٍ في تبرعاتها.

٧-عدم مشاركة أعضاء مجلس الإدارة، مشاركةً فعليّةً، في كل ما يتعلق بالمنظمة[١].

سُبُل التغلب على عقبة التعصب المذهبيّ والولاء القبليّ

كان من سياسة السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك ألَّا يكون المدير العام لأيّ مكتبٍ له في إفريقيا شخصًا من نفس القبيلة أو المنطقة أو الدولة؛ لكي لا يُحسب هذا الشخص على مذهبٍ دون مذهب، أو قبيلةٍ دون قبيلة، فإذا حصلت النزاعات يكون محايدًا! وهذا هو السبب في أن جمعيته ومكاتبه هي الوحيدة -غالبًا- التي تعمل في مناطق النزاعات، مثلما حدث في مجاعة الصومال، حتّى إنّ الأمم المتحدة اضطرت إلى إرسال معوناتها عن طريق جمعية العون المباشر، لكونها الجمعية الوحيدة التي تعمل في تلك المناطق[٢].

---

(١) الإدارة الحديثة في العمل الخيري، د. عبد الرحمن السميط، محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.

(٢) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

سُبُل التغلب على عقبة الفرق المنحرفة والضالة

حرص السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على استمالة كُلّ فئات المسلمين، فيتوجّه الجميع نحو إعادة بناء المجتمعات الإسلامية، بطريقةٍ إيجابيّةٍ، بعيدًا عن الصّدام والتناحر، ويبتعد تمامًا عن إثارة أيّ صدامٍ، أو عداوةٍ، مع أيّ فرقةٍ، أو ملّةٍ، ليكسب قلوبهم، ثمّ يتحاور معهم بأسلوب المؤمن الحكيم.

سُبُل التغلب على عقبة قلّة الدّعاة

عرفنا مما سبق ذكره في الوسائل، أنّ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ اهتم بالتعليم في الدّرجة الأولى، فقام بفتح المدارس وتعليم الناس، وقام بعمل دوراتٍ شرعية للطلاب، وبنى كذلك المعاهد الشرعية، التي خرّجت عشراتٍ بل مئات الدّعاة، حتى بلغ عدد الدّعاة المفرّغين للدعوة إلى الله منها، أكثر من ١٠٠٠ داعية(١).

وبنى كليةً للشريعة في كينيا، وكان من ضمن مناهجها الدَّعوة الميدانيّة، حيث يَخرُج الطلبة كلّ يوم خميسٍ وجمعةٍ، مشيًا على أقدامهم، أو ركوبًا في الشاحنات، وقد يمشون على أقدامهم ٥٠ إلى ٦٠ كم للدعوة إلى الله، وفي نهاية عطلة الأسبوع، يرجعون لدراستهم، وهدفه من ذلك: تدريبهم على تحمل المشقة والتعب في الدعوة إلى الله، فطبيعة إفريقيا صعبةٌ، لابدّ للدّعاة فيها من صبرٍ، وتحمّلٍ، وأن يكونوا على قدر تلك المشقة والصعاب، وقد مرّ بنا في هذا البحث كيف أنّ بعض الدّعاة من الخليج ذهبوا إلى إفريقيا للدعوة إلى الله، ولكنّهم لم يستطيعوا البقاء فيها(٢).

---

(١) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

(٢) برنامج: عبد الرحمن الفاتح، قناة الوطن الكويتية. رمضان ١٤٣٥هـ.

سُبُل التغلب على عقبة التشيع

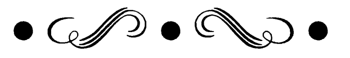
تطلب الأمر وقفةً جادّةً من السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن القائمين معه على العمل الإغاثيّ والدّعويّ في إفريقيا، وذلك بالعمل في اتجاهين متوازيين، بالقوّة ذاتها:

الاتجاه الأول: دعم العمل التنمويّ والإغاثيّ ماديًّا ومعنويًّا، في سبيل إظهار الصورة الحقيقيّة للإسلام، ورسالته الخالدة، عبر افتتاح الجامعات، والمدارس، وبناء المساجد، وإرسال العلماء، والدّعاة، وتعزيز الروابط السياسيّة، والثقافية، والاقتصاديّة، مع تلك البلدان.

الاتجاه الثاني: العمل على بيان حقيقة التّشيّع، وكشف ضلالاته[١].

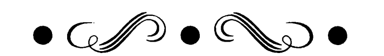
---

(١) مقال بعنوان: رجل يعرف كيف يدعو للإسلام، د. عبد الواحد خالد الحميد، جريدة «الرياض» السعودية، العدد(١٣٩٨)، ٤ أكتوبر ٢٠٠٦م.



الفصل الثالث

الدّروس الدّعوية المستفادة من العمل الإغاثي عند الدكتور السميط وأثرها في قبول دعوته



وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الدروس الدّعوية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي إلى الله تعالى.

لـمّا كان العالم اليوم يعيش في حالة بؤسٍ وشقاء، مردّها إلى الاستغلال، وسوء توزيع الثروات، واحتكار موارد العالم الطبيعية، والفساد الإداريّ، وغياب العدالة الاجتماعية، والعبث بالبيئة، وإشعال حروبٍ طاحنةٍ، لأسبابٍ مفتعلةٍ، دوافعها الطمع في السلطة والثروة[١].

نتج عن هذه التصرفات، مجاعاتٌ مات فيها الملايين من البشر، ومن بين هؤلاء الضحايا في عامٍ واحدٍ فقط، ٦ملايين طفلٍ، دون سنّ الخامسة من عمرهم، ويموت معظمهم دون أن تلحظهم وسائل الإعلام، ودون أن تصل إليهم يد العون من أيّ إنسانٍ أو أيّ منظمةٍ، وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى أنّ ٨٤٢ مليونًا من البشر، يعيشون في حالةٍ من الجوع، ونقص الأغذية، منهم ٢٠٦ ملايين في إفريقيا جنوب الصحراء[٢].

ولذلك فانَّ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ عمله في إفريقيا من خلال العمل الإغاثيّ، وحرص على تنمية المجتمع الإفريقي بشكلٍ عامٍ، في جميع مجالاته الصحيّة والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والثقافيّة، والتربويّة، والدينيّة، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يردّد شعاراتٍ تحفيزيّةٍ، طوال فترة عمله هناك: «من الفقر إلى الفخر، بناء الإنسان لا تشييد العمران، إعداد الساجد قبل بناء المساجد»[٣].

---

(١) دليل إدارة مراكز الإغاثة في مناطق الكوارث، المقدمة.

(٢) منظمة الأغذية والزراعة حالة انعدام الأمن الغذائي في العالم، ٢٠١٣م، http://www.fao.org

(٣) برنامج: عبد الرحمن الفاتح، قناة الوطن الكويتية، رمضان ١٤٣٥هـ.

وهذه العبارات ليست مجرد شعاراتٍ رنّانةٍ كان يردّدها أمام وسائل الإعلام فحسب، وإنّما هي ترجمةٌ واقعيّةٌ لعمله، الذي استمر أكثر من ربع قرنٍ في قارة إفريقيا.

ولا شك أنّ هذا الوقت الطويل والجهد الكبير والتجربة المميزة للسميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدعوة إلى الله تعالى لابد أن يستفيد منها كلّ من سلك طريق الدعوة إلى الله فصار داعيا إلى الحق والهدى، وتتعدّى الفائدة كذلك إلى مجال الدعوة إلى الله عموما، وهذه سُنّة سنّها الله في الأرض لعباده الصالحين، فنحن نتحدث عن أئمّة الإسلام من عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى عهد التابعين الأعلام إلى عهد ابن تيمية وابن القيم ثُمّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ولا زلنا نتعلم دروسا من علومهم إلى الآن.

وقد درج السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على التخطيط أولًا في جميع أعماله الدعوّية والإغاثيّة، وكان لذلك التخطيط الأثر الكبير في استمالة الشعوب الأفريقية، وحثّهم على معرفة دينهم الحق، ممّا جعلهم يقبلون تلك الأعمال، ويتأثّرون بها، ويحبونها.

وفي هذا المبحث، سيشرح الباحث كيفيّة توزيعه للعمل الإغاثي في إفريقيا - وهو في نظر الباحث - السّبب الأهم بعد توفيق الله وعونه، في تميز ذلك الشيخ الجليل.

أولاً: قام السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتقسيم القارة الإفريقيّة إلى خمسة أجزاء :

وهي الشمال، والجنوب، والوسط، والشرق، والغرب، ويمكن تسمية كل جزءٍ منها (بالقطاع)، ولا يخفى أهميّة هذا التقسيم، الذى يؤدّي إلى تقصير الظّل

الاداريّ، لقارةٍ ممتدةٍ، كقارة إفريقيا، هذا إلى جانب أنّ التقسيم يُسَهل عملية التخطيط للدعوة، كما أنّه يُسهم في تيسير أمر حصر وتحديد المشكلات.

ثانيًا: تقسيم الأجزاء إلى دول:

لـمّا كان الجزء، أو القطاع، يشمل عدّة دولٍ، كان لابد من تقصير الظّلّ الإداريّ أكثر، لذا فيمكن أن يُقسم القطاع إلى عدّة دولٍ؛ فإنّ هذا التقسيم يُسَهل وبشكلٍ ميسرٍ التحديد الدّقيق، والعلميّ، لكافّة قضايا، ومشكلات، ومعوّقات كل بلدٍ، على حدة، الأمر الذى يُسهم وبصورة عمليّةٍ، في علاج، وإزالة كافّة القضايا، والمشكلات، والمعوقات، ومن هنا تظهر لنا أهمية تقسيم القطاع إلى دول.

ثالثًا: حصر وتصنيف سكان كل دولة على حدة:

بعد ذلك انتقل إلى المرحلة التّالية، وهي: حَصرُ وتصنيف سكّان كلّ دولةٍ على حدة، والحصر يتمثل في تحديد عدد السكان في كل دولة، وذلك من واقع التّعداد السكانيّ، أمّا تصنيف السكّان فيكون وفق المعتقد، فمثلًا: كم يبلغ عدد المسلمين في كل دولةٍ؟ وما هي نسبتهم المئوية لباقي السكّان؟ ثمّ كم يبلغ عدد أهل الكتاب (اليهود والنصارى)؟ وكم عدد الوثنيين، أو الملحدين؟

إنَّ هذا الحصر والتصنيف يجعلهم يقفون على حقيقة الوجود الإسلاميّ، وغير الإسلاميّ، في كلّ دولةٍ على حدة، فإذا كان عدد المسلمين كبيرًا، كان عليه الحفاظ عليهم، والعمل على زيادته، وإذا كان قليلًا عليه السعي نحو زيادة هذا العدد، ومعرفة عدد أهل الكتاب تجعله يقف على حقيقة، وموقف الدعوات المناهضة للإسلام، وبخاصة العمل التنصيرىّ، أمّا معرفة عدد الوثنيين فيجعله

يقف على حقيقة هذه الشريحة من المجتمع، فيعمل على دعوتهم، للدخول في الإسلام، وهكذا تتضح لنا أهمية تصنيف وحصر سكان كل دولة على حدة.

رابعًا: حصر المشكلات في كل دولة على حدة:

بعد تحديد وتصنيف سكّان كلّ دولةٍ على حدة، بقي أن يقوم بدراسةٍ علميّةٍ لكل دولةٍ، ليحدّد المشكلات التي تعاني منها، والمعوّقات التي تعترضها، سواءٌ كان ذلك في الجانب العقدي، أو الاجتماعيّ، أو الاقتصاديّ، أو السياسيّ، أو الثقافيّ والفكري، فمتى ما حدد وبشكلٍ علميٍّ تلك المشكلات، والمعوقات، سهل عليه علاجها، وكثيرةٌ هي المشكلات في الجوانب آنفة الذكر.

إنَّ حصر المشكلات بدقّةٍ يُبَيّنُ مواطن القصور والخلل، وهذا بدوره يجعل القائمين على أمر الدّعوة على درايةٍ تامّةٍ، ومعرفةٍ دقيقةٍ، بواقع كل دولةٍ على حدة، وبالتّالي يسهل عليهم التّخطيط العلميّ المدروس، لمجابهة كل الاحتمالات، والتوقعات، التي قد تظهر، أو تطفو على السطح، وهذا يُسهم بدوره في وضع إستراتيجيةٍ دعويةٍ مبنيّةٍ على أُسسٍ علميّةٍ، وهذا ما تفتقده الدّعوة الإسلاميّة في إفريقيا.

خامسًا: حصر المنظمات الدّعويّة العاملة في إفريقيا:

إنّ حصر المنظمات الدّعويّة أمرٌ في غاية الأهمية، في جانب التخطيط للدّعوة الإسلاميّة في إفريقيا؛ وذلك لأنّها الجهات التي يُناط بها القيام بأمر الدّعوة، وإصلاح المجتمع، لذا لابد من حصرها، والوقوف على عددها، ومواقع تواجدها ونفوذها، وكثيرةٌ تلك المنظمات والجمعيّات العاملة في إفريقيا، ولكن ليس هناك إحصائيّةٌ دقيقةٌ، لتلك المنظمات والجمعيات – وهذا بدوره أثّر سلبًا

على سير الدّعوة في إفريقيا - لذا لابد أن تكون هناك إحصائيةٌ دقيقةٌ، عن عدد كافة المنظمات، والجمعيّات الدّعويّة، العاملة في المجال الدعويّ، أو الخدميّ الاجتماعي، ولا يخفى أهميّة هذا الحصر الذي يحدد للقائمين بالدعوة إلى الله نسبة الوجود الفعليّ للمنظمات الدّعويّة، ويجعلهم على بينةٍ من أمرهم، فإذا كان عدد المنظّمات قليلًا عملوا على زيادته، وإن كان كبيرًا عملوا على توظيفها وتسخيرها بالطريقة المُثلى في خدمة الدعوة إلى الله.

كما أنَّ حصر المنظمات الدَّعويّة، يسهل عملية التنسيق فيما بينها، ويؤدي إلى أن يُكمّل بعضها عمل بعضٍ، ممّا ينعكس إيجابًا على العمل الدعويّ في إفريقيا، فكلما كان التنسيق موجودًا كلما كان الإنجاز الدّعويّ كبيرًا، وظاهرًا، ومؤثرًا، وكلما فُقِدَ التنسيق ضَعُفَ وقلّ أثر العمل الدعويّ، ومن هنا تأتى أهمية حصر المنظمات.

سادسًا: حصر المنشآت الدعوية:

وهى منشآتٌ دعويةٌ تقوم على ذكر الله، ونشر الإسلام، والعمل على شرح وتوضيح تعاليمه، وهي بمثابة القلب للأمة الإسلاميّة، إذ في صلاحها صلاح الأمّة، وفى قصورها، أو ضمورها، أو ضعفها، فساد الأمّة.

ومن ذلك تظهر أهمية هذه المؤسسات الحيوية والهامّة؛ لذا فإنَّ حصرها والوقوف على عددها في كلّ دولةٍ على حدة، له فوائد عديدةٍ، يمكن إيجازها في الآتي:

١- يجعل القائمين على أمر الدّعوة إلى الله يقفون على حقيقة، وعدد هذه المنشآت، ولا يخفى ما في ذلك من فوائد، حيث يقفون على الموقف الحقيقيّ، والوجود الفعلي، لهذه المنشآت، في المجتمع المسلم في إفريقيا.

٢- إنّ معرفة عدد هذه المنشآت، يُساعد القائمين على أمر الدَّعوة إلى الله في تحديد حاجة المجتمع لهذه المنشآت، فإذا كان عددها كبيرًا، يعمل على تفعيلها، وتحسين واقعها، وإن كان قليلًا، عمل على زيادتها.

٣- إنَّ معرفة مواقع تلك المنشآت، يُساعد القائمين على الدّعوة إلى الله في تحديد المواقع الأقلّ نصيبًا من هذه المنشآت، فيعملوا على زيادة عددها، في تلك المواقع، حتّى يحدث التوازن في التوزيع، الذى بدوره يؤدي إلى الإصلاح الشامل في المجتمع.

٤- إنَّ الحصر يُسهل على القائمين على أمر الدعوة إلى الله إجراء مقارنةٍ بين هذه المنشآت والمنشآت الخاصة بالطرف الآخر، المتمثل في الكنائس والأنديّة الأجنبيّة والمحلية، وهذا بدوره يساعدهم في التخطيط السليم لمجابهة مثل هذا النوع من المنشآت المعادية.

هذا التقسيم الإستراتيجي الذى اتبعه السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ممثلًا في جمعية العون المباشر، ساعد بشكلٍ كبيرٍ في التّحكم بالقارة السمراء، من حيث النشاطات الدّعويّة، والإنشائية، وغيرها، من البرامج التي تنفذها الجمعية منذ نشأتها.

ويعتبر هذا التقسيم مرجعًا أساسيًّا للعمل الخيريّ، ويمكن تطبيقه في كل المجالات، نظرًا لسهولته، وعمق آثاره، ومخرجاته، ويؤكد ذلك ما سيذكره الباحث في الجدول التالي من نتائج عمل هذا الشيخ الجليل خلال ٣١ عاما، وهي الفترة التي قضاها السميط في إفريقيا.

م	البيان	العدد
١	إجمالي عدد الأيتام	٦٥.٠٠٠ يتيم ويتيمة
٢	إجمالي المشاريع التنموية	٤٠٧٥١(مزارع، ورش تدريب، خياطة، مناحل...)
٣	المشاريع الإنشائية	مشروع (مسجد، بئر، دار أيتام، معاهد) ٢٣.٢١٤
٤	مستشفيات كاملة ومجهزة	٢
٥	عدد الجامعات	٣ جامعات
٦	عدد المدارس النظامية	٢٣٠ مدرسة (ابتدائي، إعدادي، ثانوي)
٧	عدد المدارس القرآنية	٣٦٧ مدرسة
٨	مراكز تأهيل النساء	٦٢ مركز
٩	مستوصف طبي	٢٥٨
١٠	مساجد	٤٥٦٥
١١	معاهد شرعية	٣٦
١٢	آبار ارتوازية	١٧٣٠
١٣	آبار سطحية	١٤٢١٥
١٤	الطلاب المسجلين بالمدارس الابتدائية والثانوية والروضة	١.١٠٠.٠٠٠ طالب وطالبة
١٥	الطلاب المسجلين بالجامعات والكليات	١٤.٥٧٦ طالب وطالبة

م	البيان	العدد
١٦	الطلاب المكفولين بمنح دراسية	٦٣٢٥ طالب وطالبة
١٧	البرامج الصحية المنفذة	١٥٠٤ (قوافل، تطعيم، ختان، مخيمات...)
١٨	البرامج الدعوية	٦٧٢٦ (قوافل دعوية، إذاعات قرآنية، مسابقات، دورات شرعية...)
١٩	إجمالي الدعاة	٤٠٨٢
٢٠	إجمالي الحجاج	٤٣١
٢١	الأضاحي	١٣٥.٤٠٨ أضحية
٢٢	إفطارات صائم	٨.٠٤٤.٣٩٥ وجبة
٢٣	مراكز التدريب المهني	٥٥ مركزا
٢٤	عدد نسخ المصاحف الموزعة	٥١ مليون نسخة
٢٥	توزيع الأغذية والأدوية والملابس	١٦٠ ألف طن
٢٦	طبع وتوزيع كتيب إسلامي بلغات أفريقية مختلفة	٦٠٥ ملايين (٦٠٥٠٠٠٠٠٠)
٢٧	المحطات الإذاعية	عشر محطات
٢٨	عدد دور الأيتام	٢٠٠ دار

المبحث الأول:

الدروس الدعوية المستفادة من العمل الإغاثي عند الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ والمتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى

١- ضرورة التخصص الدعوي:

مع تعدُّد حاجات الأمّة يتعيَّن على العمل الدعويّ إحياءُ منهجيَّة التخصُّص الدعويّ، في أحد مجالات الدّعوة، والدكتور السميط مثالٌ واقعيٌّ في أثر التخصُّص في العمل الدّعويّ والإغاثيّ، ولا شك أنّ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأثر بدراسته في الغرب، فهناك جامعاتٌ تمنح الشهادات العليا في تخصّص العمل الخيريّ، ففي جنوب بريطانيا هناك جامعة تقدم الماجستير والدكتوراه في البناء بعد مشاكل الحروب والكوارث، وهناك معهدان في أكسفورد، أحدهما متخصص في اللاجئين، وهناك جامعات عدة في الولايات المتحدة متخصصة في إدارة العمل الخيري، وقد طالب السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بضرورة التخصُّص في العمل الخيريّ، وأنشأ مركز دراسات العمل الخيريّ في الكويت عام ٢٠٠٨م من أجل ذلك[١].

٢- العمل الإغاثي والأمن الاجتماعي:

ومن ذلك أنّه حوّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الأيتام الذين كفلهم إلى سفراء ووزراء وأطباء ومسؤولين، فهذا البروفسور: أحمد ماكين، أحد أيتامه وهو البروفسور الوحيد في مدغشقر، وفي مومباسا ترأس أحد أيتامه جامعة زنجبار.

---

(١) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تاريخ: ١٩/ ٥/ ٢٠١١م.

وهذا سفير كينيا في الكويت كان أحد أيتامه، واليتيمة زينب مستشارة وزارة الصحة في مومباسا كذلك إحدى أيتامه[1].

٣- الحفاظ على الهويّة الإسلاميّة:

تحاول الجمعيات النصرانيّة بشتّى الوسائل الماديّة والمعنويّة تنصير المسلمين، أينما وُجدَت، وتركّز على الدّول الفقيرة في إفريقيا؛ لعلمها التّام بحاجتهم للدّعم والإغاثة هناك، وكان لعمل السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تلك القارة السمراء، عظيم الأثر في الحفاظ على الهويّة الإسلاميّة، إذ إنّ المناطق التي زارها كانت في الأصل مسلمةً، ثمّ تحوّلت عن دينها، بسبب الجهل، وحركات التنصير، وتكاسل الدّعاة إلى الله في الوصول إلى تلك المناطق، وقد مرّ معنا بالتفصيل، وسائل المنصريّن في إفريقيا، باعتباره العقبة الأولى، والخطر الأعظم، الذي يُهدّد إفريقيا، ومر معنا الطرق التي اتّبعها السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التّغلب على هذه العقبة الكؤود، إضافةً إلى ما سواه من المخاطر التي تهدد المسلمين هنا.

٤- صِناعةُ دُعاةٍ محليّين:

كان من أنجح مشاريع الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صناعة دعاةٍ من أهل البلد نفسه، حيث عمل على إخراج دعاة من كلّ بلد فأهل البلد أعرَفُ به من غيرهم، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عندنا داعٍ اسمه عبد الرحمن ينجور، وكان تاجرَ ألماسٍ، تركَ التّجارة، وكان غنِيًا جداً، وبيته الآن مفتوحٌ، كلّما أسلم واحدٌ، يجيء ويسكن

---

(١) لقائي مع مسؤول العمل الإغاثي، في جمعية العون المباشر، أ/عمار بوبكري، الثلاثاء: ٢٦/٨/١٤٣٥هـ

عنده ثلاثة أشهر، ويَذْهب عنده مكانٌ لتعليم القرآن، يُعلّم القرآن، ويُعلّم مبادئ الإسلام، وتجد بيته مليء بالمسلمين أشكالًا وألوانًا. هذا الرّجل عنده طرقٌ غريبةٌ في الدَّعوة إلى الله»[١].

وبهذا نستطيع القول: أنَّ صناعة دعاة محليّين ضرورةٌ دعوية.

(١) مجلة الكوثر: العدد ٤٤، يونيو ٢٠٠٣م.

المبحث الثاني:

الدروس الدعوية المستفادة من العمل الإغاثي عند الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ والمتعلقة بالداعي إلى الله تعالى

١ ـ العلم قبل العمل:

استفاد السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ من دراسته في الخارج- وزياراته لبعض الجمعيات التنصيرية هناك وزياراته لبعض السجون والكنائس - فعرف مقدار ما يملكون من عملٍ إداريٍّ بعيدٍ عن العشوائية، والعاطفة، يقول في أحد مقابلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحمد الله أنّي أكملتُ دراستي العليا في بريطانيا، فقد تعلّمت منهم كيف أنّ الأساس في أيّ عملٍ هو: التخطيط، ووضع الأهداف، وهذا ما كنتُ أعمله قبل أن أبدأ أيّ عمل»[١]. نتج عن ذلك رسمه للخطط الواضحة، والمدروسة، للعمل الإغاثي، في إفريقيا، والتي استفاد وسيستفيد منها بإذن الله، كلّ من يُمارس هذا العمل في تلك القارة، خصوصًا، والعالم عموما. كما اعتمد بعد الله على الدّراسة العلميّة الميدانيّة، التي عملتها المنظمات العالميّة الأخرى، مثل: الانتشار[٢]، أو اليونسكو[٣]، بالإضافة

---

(١) لقاء دعوي مع اللجنة الطبية، عبد الرحمن السميط، تاريخ ومكان الإلقاء ١٤/ ٦/ ١٤٢٦هـ، مدينة الدمام.

(٢) تميزت مؤسسة الانتشار العربي بالتزامها في تحديث التراث العربي والتركيز على إضفاء إضاءات وأبحاث تميزت بالجدية، وبالجرأة في إعادة إحياء التراث الإسلاميّ، والوجود الإسلاميّ في دول إفريقيا. تأسست عام ١٩٩٧م، لأصحابها: عبدالغني، ونبيل مروه.

(٣) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: أو ما يعرف اختصارًا باليونسكو(UNESCO)، هي: وكالة متخصصة تتبع منظمة الأمم المتحدة تأسست عام ١٩٤٥م، هدف المنظمة الرئيسي هو: =

إلى دراسة مكاتب جمعيته، الموجودة في مناطق الإغاثات، وهي مكاتب مؤهلةٌ لذلك[1].

٢ ـ التحدِّي والمعاناة:

طريق الدَّعوة إلى الله طريقٌ شاقٌ، محفوفٌ بالمَكاره. يقول الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس مِن عادتي أنْ أَرجع دون قرية كنت أنوي الذَّهاب لها»[2].

وحينما يكون العمل الدعويّ والإغاثيّ شاقًّا، أو بعيدًا، يُشْفِق الداعيّة على أسرته، من تلك المعاناة، فينفرِدُ الدّاعيّة بالعمل، ويحاول تنحيةَ أسرته، مع أنَّ الأسرة، هي خطّ الإمداد الأولّ بعد الله للدَّاعية، تُساعده في عمله، وتقتدي بسلوكه، وتقدِّر كثيرًا من ظروفه وأحواله.

وقد مرّ شيخنا الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمثل هذه التجربة، فعاش في إفريقيا ٢٦ سنة، وأهله مقيمون في الكويت، ويلحقون به في الصيف. قرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن يأخذهم معه في إفريقيا، في أوقات العطل الرّسميّة، وقت الصيف. فكانوا ينامون

=

المساهمة بإحلال السلام، والأمن، عن طريق رفع مستوى التعاون بين دول العالم، في مجالات التربية، والتعليم، والثقافة، لإحلال الاحترام العالمي للعدالة، ولسيادة القانون، ولحقوق الإنسان، ومبادئ الحريّة الأساسية.

(١) معالم القدوة في حياة الشيخ الدكتور: عبدالرحمن بن حمود السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، للأستاذ: محمد بن حمد الخميس، محاضرة ضمن ندوة الوفاء ببيت عميدها الشيخ/ أحمد محمد باجنيد بالرياض، ١٥/ ١/ ١٤٣٥هـ https://fwdksa.wordpress.com

(٢) برنامج: زيارة خاصة، قناة الجزيرة الفضائية،٢/ ٦/ ٢٠٠٧.

في المساجد الطينيَّة، وفي الغابات، وأحيانًا يَمُرّ يومين وثلاثة أيام، لم يأكلوا فيها، إلا موزًا في الفطور والغداء والعشاء»[١].

إنَّ أحوج زادٍ يحتاج إليه الداعية: أن يُشبع روحه من الهمّة العاليّة التي تكون بمثابة الدّافع له بعد توفيق الله، فإذا كانت الصّحة هي المحرك الرئيس للإنسان، إلا أنها قد تأتي في الـمَنْزلة الثانيّة إذا قُورِنَت بالهمّة والإرادة. ومع قائمةٍ طويلةٍ من الأمراض، التي كان يُعاني منها شيخنا الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إلَّا أنه عمل عملًا لَمَ تصل إليه دُولٌ بَعْد، وذلك بالهمَّة العاليّة، والإرادة الجازمة. فإذا صحَّ العزم هان الطلب، وزال المرض. كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعطي عمله كل وقته، فالأعمال التي يُعطيها صاحبها فضول وقته لا تحقق الهدف المنشود، وخاصّةً إذا كانت هذه الأعمال في خدمة الأمَّة بكاملها. وقد تبين لنا من خلال سيرته رَحِمَهُ ٱللَّهُ حجمُ المعاناة التي وصلَتْ إليها أمَّةُ الإسلام في إفريقيا، يصوِّر لنا السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشهدًا من حال تلك الأمَّة، فيقول: «في منطقة مكلوندي في جنوب النَّيجر، يوجد ٢٠٠ ألف نسمة، نصفهم مسلمون، لا يعرفون الصَّلاة، ولا الصوم، بل لا يعرفون شهادة أنْ لا إله إلَّا الله! هذا الواقع الأليم لحال الأمَّة الإسلامية، يُحتّم علينا الدّعوةَ إلى الله، ورفْعَ الجهل، والبذلَ والتعاون على كافَّة المستويات والأصعدة»[٢].

---

(١) معالم القدوة في حياة الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن حمود السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، للأستاذ: محمد بن حمد الخميس، محاضرة ضمن ندوة الوفاء ببيت عميدها الشيخ/ أحمد محمد باجنيد بالرياض، ١٥/ ١/ ١٤٣٥هـ https://fwdksa.wordpress.com

(٢) المرجع السابق.

وإذا استعرضنا سيرة السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ وما عاناه في مجال الدعوة والإغاثة في إفريقيا، أدركنا أنَّ الداعية لابد أن يتربَّى على روح التحدِّي والإصرار، وبهذا تتجدَّد الهمة في قلبه وتزول الانهزامية لديه.

لَـم تكن إفريقيا خيارًا اضطراريًّا للدكتور السميط، فقد كانت أوروبا بجمالها وطبيعتها الفاتنة، خيارًا ممكنًا له! قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان بإمكاننا أن نعيش في كندا، كان بإمكاننا أن نعيش في أوروبا، وعُرِضت علينا فُرَص رفَضْناها، ورفضت حتَّى الإقامة في الكويت»[(١)].

وهذا يحتِّم على الدُّعاة الالتفاتَ للمناطق الضعيفة والفئات المُحتاجة، وعدم الاقتصار على العمل الدعويِّ في المجتمعات المتحضِّرة، واللقاء بالطَّبقات الغنيَّة!

٤ ـ الثبات والاستمرار في العمل:

قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] حينما سُئِل الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «متى ستُلقِي عصا التَّرحال؟ قال: «سأُلقي عصا الترحال يوم أن تضمن الجنَّة لي، وما دمت دون ذلك فلا مفرَّ لي من العمل حتَّى يأتي اليقين»[(٢)].

وقال: «كان بالإمكان أن أعيش بالكويت مؤخَّرًا، بعدما شعرت أنِّي قضيتُ فترة من حياتي، كان بالإمكان أن نقضِيَها في عملٍ خيري أسهل»[(٣)].

---

(١) تقرير عن الداعية د. عبد الرحمن السميط، قناة الوطن الكويتية الفضائية، ١/ ١/ ٢٠١٢م.

(٢) مجلة قراءات أفريقية، العدد (٦)، سبتمبر ٢٠١٠م.

(٣) المرجع السابق.

هذه الخاطرة التي ذكَرَها الدكتور كثيرًا ما تَطْرأ على العاملين في الحقل الدعويِّ، حيث يظنُّ الشخص أنّه أدّى دورًا مشكورًا، وبحاجةٍ إلى الاعتزال، وكان من نتائج ذلك، ضَعْفُ الأعمال، وتَخَلُّف بعضها! إنَّ دور الداعية ينتهي بموت صاحبه، بينما يبقى مشروعه مستمرًّا[١].

٥ ـ تحديد الهدف:

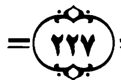
وما يُعيقُ النتائج في العمل الدّعويّ: انشغال الدَّاعية بمشاريعَ صغيرةٍ يَفرضها الواقع، الحلّ الأمثل للدَّاعي إلى الله تعالى، ولكلّ من يريد النّجاح في عمله، أن يُفرِّغ نفسه ويحدّد هدفه، وعلى هذا سار الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلم تشغَلْه المشاريع الصغيرة، والأزمات الكثيرة، بل شغله مشروع إصلاح الأمَّة، ودعوتها إلى الله. يقول عن مشروعه: «لقد أسلمَ في إثيوبيا، وشمال كينيا، ٥٠ ألفًا من قبيلة البوران، وأسلمَ ٣٠ ألفًا في شمال كينيا، من قبائل الغبرا، والبرجي، وأسلم مئات الألوف في رواندا، ومثلهم في ملاوي، و٨٠ ألفًا أسلموا في جنوب تشاد، و٦٠ ألفًا في جنوب النّيجر، وعشرات الألوف في جنوب السنغال، وغينيا الغابيَّة، وبنين، وسيراليون، وغيرها»[٢].

وبِهذا الجهد الجبَّار، يرسم الدكتور السميط قاعدةً دعويَّةً هامّةً في العمل الدعويِّ، وهي: أنَّ الانشغال بمشروعٍ يعود نفعه للأمّة كاملةً، أولى من تشتيت

---

(١) معالم القدوة في حياة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن حمود السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، للأستاذ: محمد بن حمد الخميس، محاضرة ضمن ندوة الوفاء ببيت عميدها الشيخ/أحمد محمد باجنيد بالرياض، ١٥/ ١/ ١٤٣٥هـ https://fwdksa.wordpress.com

(٢) برنامج ساعة حوار مع عبد الرحمن السميط، قناة المجد الفضائية، ١٤٢٤هـ.



الجهد في مشاريع متفرقة هنا وهناك. ويبقى للأزمات خصوصيتها.

٦ ـ الصبر وعدم استعجال النتائج:

يُخيّم على قلوب بعض الدُّعاة اليأس، حين يتذكَّرون حاجة مشاريعهم إلى الدَّعم المالي، وفَقْرهم في التواصل مع المتبرِّعين، وصعوبة الوصول لأهل البَذْل والإحسان، ثم صعوبة إقناعهم، وقلَّة ما يجودون به أحيانًا.

هذه العقَبات جعلَت البعض لا يفتَح مجالًا لنفسه بالتَّفكير في مشروعٍ دعويّ، وهذا ما حدث للدكتور السميط في بداية العمل، فقد تفاجأ بأنَّ مجموع ما حصل عليه ١٠٠٠ دولار في السنة، فسقطَتْ من ذهنِه مشاريعُ بناء المساجد وحَفْر الآبار، وتشييد الجامعات، إلا أنَّ الدكتور أعطى الدُّعاة استراتيجية دعويّة مهمَّة، وهي: تغيير سياسة جمع التبَرعات، واستبدال الطبقة الغنيَّة بالطبقة المتوسطة، فيقول: «نركِّز على متوسِّطي الدخل؛ شعرنا بأنَّ المرأة - مع كلِّ تقديرٍ واحترامٍ للرِّجال - أكثرُ بركةً، وأكثر قدرة عاطفية من الرَّجل، وتُعطي أكثرَ من الرجل، شعرنا بأنَّ المرأة الَّتي عمرها بين ٢٥ و ٤٥، وتَعْمل مُدرِّسة أو ممرِّضة أو طبيبةً، أو غيرها، تعطينا كلَّ شهر ١٠٠ ريال، أو ٢٠٠ ريال، أو ٥٠٠ ريال»[١].

ونجد أنَّ إحساس الدَّاعية يختلف عن سائر النَّاس، إنه يتلذَّذ حين يرى نتائج أعماله تتحقَّق أمام عينيه ولا يجد اللذَّة في استقبالٍ أو احتفالٍ أو حفاوة. يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله أني أشتاق أن أعيش مع الناس البُسَطاء، أشتاق إلى رؤية الأيتام، وأن أعيش بينهم، وان أحادثهم بعد صلاة المغرب، أو بعد صلاة الفجر،

---

(١) مجلة حياة العدد (٨٨)، شعبان ١٤٢٨هـ.

أشتاق وأشعر بالفخر عندما أرى الأيتام الذين كانوا مشرَّدين حفاةَ الأقدام، اليوم هُم أطبَّاء ومهندسون وأساتذة جامعيُّون ومديرو مدارس، وخبراءُ في أماكن مختلفة، أشعر بأنَّ هذا فخرٌ لي، وأشعر أنَّ جهدي خلال ثمانية وعشرين سنةً كافأني الله أنِّي رأيتُ النتائج الآن»[١].

٧ ـ المبادرة وعرض النفس:

المبادرة تُكْسِبُ الفرصة. لم يَنتظر السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن توجه له دعوةٌ رسميَّة من الجهات الحكوميَّة، أو أن يُرسَمَ له عملٌ دعويٌّ يُناسبه، فبعد أن استكمَل دراسته العليا في الخارج، ورجع لبلده الكويت، وجد في نفسه طاقةً هائلةً للعمل الخيريِّ، فعرض نفسه على وزارة الأوقاف، للتطوُّع بالعمل الخيريِّ، ولكنّ بيروقراطية العمل الحكوميّ كادت أن تحبطه. ومع ذلك لم ييأس وحاول أكثر من مرةٍ، حتّى حَقّقَ له الله ما يريد[٢].

وصدق الله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

٨ ـ الإحسان إلى جميع المنكوبين:

وأضرب مثالًا على ذلك بدار أيتامه، التابعة لمركز الهدى، في مدينة كيجادو الكينية، حيث كان أغلب الأيتام المقيمين فيه من قبيلة الماساي الوثنية. ومع مرور الأيام أسلموا جميعًا، بدون أيّ ضغوطٍ، وتحوّلوا إلى دعاةٍ، وسط أهاليهم

---

(١) برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تاريخ: ١٩/ ٥/ ٢٠١١م.

(٢) برنامج ساعة حوار مع عبد الرحمن السميط،٨/ ٠٥/ ٢٠٠٨.

وقراهم، فأسلمت ٣٠ قريةً، من قرى القبيلة، عن طريق أبنائهم الأيتام. وقد تمّ إرسال ٥٥٠ ألف طن من المساعدات والأدوية والأغذية والملابس(١).

٩ ـ العمل المؤسسي الرسمي:

المقصود بالعمل المؤسسيّ في هذا البحث هو: العمل الجماعيّ الذي يلتزم بمبدأ الشورى والتناصح، ويقوم بتوزيع الأعمال والبرامج والصلاحيات على مجالس عمل، ولجان متخصّصةٍ، وفرق عملٍ متكاملةٍ، تضم أعضاء مؤهلين(٢).

وتتجلّى أهمية العمل المؤسسي في أمور عدة، منها:

١- تآلف القلوب، وتآزر العقول، لمزيد من الإنجاز، والتصحيح والإبداع، حيث يُسدِّد بعض العاملين بعضًا، وتتلاقح أفكارهم، وتتكامل خبراتهم. ولهذا أُمِرَ سيِّدُ ولدِ آدم ـ وهو أكمل الخلق عقلًا، وأخشاهم لله تعالى ـ بمشاورة أصحابه، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

٢- الاستقرار الإداريّ، في جميع الأعمال والأنشطة، فإذا غاب فردٌ سدَّ مكانه آخرون، وإذا مرض، أو عجز قام مقامه غيره، فلا يتوقف العمل بغياب أحدٍ، أو عجزه، وبذلك يستمر العطاء ولا يتوقف، بإذن الله تعالى.

---

(١) دليل إدارة مراكز الاغاثة في مناطق الكوارث،ص١٢.

(٢) أصول علم الإدارة، سامي زين العابدين حماد، (ص ١١٥).

٣-رعاية حقوق المؤسسة، والحفاظ عليها، وأداء الأمانة كما أمر الله تعالى، فالفرد ـ مهما كان مخلصًا - ربما يُخطئ أو يُقصِّر، ولا يجد من يقوِّمه، ويرشده إلى الصواب، ويأخذ بيده إلى الحق.

٤-استيعاب طاقات الأمّة، وتوظيفها توظيفًا متكاملًا متآلفًا، فالعمل المؤسسي يضمن مناخًا أفضل للعمل، والإبداع وتكامل الجهود.

٥-العمل المؤسسي الجماعيّ أقرب إلى الموضوعيّة، والتجرد، في اتخاذ القرارات، ورسم السياسات، فالحوار، وتبادل الآراء، هو الذي يقود إلى اتخاذ القرارات وإنضاجها[١].

وقد تبيّن للباحث من سيرة هذا الدّاعية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنّه حوّل عمله الإغاثي، من عملٍ فرديٍّ إلى عمل مؤسسيٍّ جماعيٍّ منظّم، سهّل له بإذن الله الاستمرار، والبقاء، رغم ما واجهه من عقباتٍ، وصعوباتٍ، تعجز عنها دولٌ وحكوماتٌ!

وكان من أهم الركائز التي ساعدته في ذلك بعد توفيق الله تعالى أنّه حَرِصَ على أن يكون عمله تحت مظلّة الحكومات الرّسميّة للبلاد التي يدخل إليها، فيعطي تلك الحكومات خطّةً لعمله، ثمّ يعطيهم تقارير بما تم إنجازه، ويُرسل لكلّ وزارةٍ ما يَخُصّ مسؤولياتها، كما حصل معه في إثيوبيا، إضافةً إلى أنّه كان يسعى لإشراك المسؤولين في تلك البلاد، في افتتاح مراكزه، التي يبنيها، سواءٌ كان مسلما أو غير مسلمٍ[٢].

---

(١) من مقابلتي للدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

(٢) دليل إدارة مراكز الاغاثة في مناطق الكوارث،ص ١٣.

١٠ ـ تشجيع الكسب وأهمية مشاركة المستفيدين:

نادرًا ما كان يقدم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المساعدات الإغاثية نقدا للفقراء، ولكنّه كان يقدّم مشروعاتٍ تنمويّةٍ صغيرةٍ، مثل: فتح بقالات، أو تقديم مكائن خياطةٍ، أو إقامة مزارع سمكيّةٍ، فهذه تُدّر دخلًا لهم، وتنتشلهم من الفقر، وتترك أبلغ الأثر في نفوسهم، فيهتدون إلى الإسلام بإذن الله.

١١ ـ الدّاعية الميدانيّ:

أن نزول الداعية إلى ميدان عمله، وبقائه فيه، يجعله عارفًا بما يحتاجه ذلك المجتمع، فيرسم خططه، وبرامجه، على ضوء ذلك، ويعرف مقدار حاجتهم، فيعمل البرامج، ويوزّع المساعدات، ويعرف عاداتهم، وسلوكياتهم، فيعرف كيف يدخل إلى قلوبهم.

وهذا بالفعل ما كان يتميّز به السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فقد بقي في ميدان عمله أكثر من ثلاثين عامًا متواصلةً، عاش بينهم وأكل من أكلهم، وشرب من مائهم، ونام حيث ينامون، وتعرّض للأخطار، والأمراض، التي كانوا يتعرّضون لها!

وقد رأى رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض البرامج الإغاثية ما يندى له الجبين، فبعضهم يأتي بعدته وعتاده، فيبني لهؤلاء المحتاجين والمنكوبين بيوتًا لم يحلموا بها- وهم في الواقع ليسوا بحاجةٍ لها- وبعضهم يعطيهم أنواعًا من الأكل، أو اللّبس، لا تتناسب وما اعتادوا عليه، كما حصل في مجاعة الصومال عام ١٩٩١م، فقد وصل لهم ما يقارب من مليون دجاجة! وأهل الصومال في الغالب لا يحبّون أكل الدجاج. ولذلك رُمي أكثرها في البحر. وأُرسلت لهم أنواعٌ كثيرةٌ من الأطعمة،

ولكنّهم في غالب الأحيان لا يجدون الماء الذي يطبخونها فيه[(١)]. وقد كانت جمعيته - جمعية العون المباشر- أول منظمةٍ في العالم، بدأت إغاثة الصوماليين، في تلك المجاعة، التي ضربتهم، عام ١٩٩١م، حيث بلغ حجم المساعدات التي قدّمتها لهم خلال عامٍ واحدٍ فقط ١٩٩١م - ١٩٩٢م، نحو ٨.٥ ملايين دولار، عن طريق ١٠٧ مراكز إغاثةٍ لرعاية الأطفال اللاجئين في الصومال، وقدّمت ١٥٠ ألف وجبةٍ يوميا، بالإضافة إلى إنشاء ٨ مستوصفات، كما قامت بحفر ٣٢٢ بئر ماء، في مناطق المجاعة، بالتّعاون مع اليونيسيف، ومنظماتٍ دوليّةٍ أخرى. وفى شمال كينيا، وإثيوبيا، أنشأت الجمعيّة عددًا من مراكز الإغاثة، يعمل كلّ مركزٍ منها على إطعام ٥٠٠ طفل، وتقديم ١٠٠ وجبة للنساء الحوامل، والمرضعات، كما بدأت الجمعيّة في إرسال متطوعين من دولٍ خليجيّةٍ وأوروبيّةٍ عدّة، إلى المناطق المنكوبة في القرن الأفريقي، والإسهام في أعمال الإغاثة الإسلامية هناك[(٢)].

وقام السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإعداد خطةٍ، لإعادة تأهيل المناطق المنكوبة، تشمل: توزيع قطعان من الأغنام، والماعز للمربيّن، وتدريب النّساء على الأعمال اليدويّة التقليدية، والعمل على إعادة تأهيل بعض نقاط المياه الصالحة للشرب[(٣)].

فشتّان بين من يرى بعينه، ويعرف بنفسه، وبين من يسمع بأذنه، ويعرف من غيره!

---

(١) مقابلتي مع الدكتور/ عبد الله السميط، يوم الأربعاء: ٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

(٢) موقع جمعية العون المباشر www.who.int/bulletin/volumes.

(٣) برنامج: عبد الرحمن الفاتح، قناة الوطن الفضائية، رمضان ١٤٣٥هـ.

الخاتمة

في نهاية البحث يلوح لي عدد من النتائج أتبعها بجملة من التوصيات، وهي كما يلي:

أولاً: النتائج:

١-كان للنشأة الدينية المميزة للسميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعنايته بالعمل التطوعيّ منذ صغره أعظم الأثر بعد توفيق الله في نجاح عمله[١].

٢-إنَّ مستقبل الدعوة الإسلاميّة في إفريقيا، لمن يعرف واقع القارة، يقع بين قوّةٍ وضعفٍ، وفرصٍ ومخاطرٍ.

فأمّا القوّة فتتمثل في اعتزاز الأفارقة بدينهم، وصفاء فطرتهم، ورسوخ الثقافة العربية والإسلاميّة، والإقبال المنقطع النظير على تعلم الدّين، واللغة العربية، لدى جميع الشرائح الاجتماعية، وقيام الدّعاة والمشايخ الأفارقة بدورٍ بارزٍ، ونشطٍ، لتثبيت الإسلام في نفوس المسلمين، وكسب غير المسلمين للإسلام.

وأمّا الضعف فمصدره عوامل الفقر، والتخلف الاجتماعيّ، والثقافيّ، والاقتصاديّ، بكل ما تحمله هذه العوامل من آثارٍ مدّمرةٍ على كرامات النّاس، وإهدار مستقبل أجيالٍ كاملةٍ، من أبناء المسلمين وغيرهم، فضلًا عن مخاطر عمل الخصوم كما تمّت الإشارة إليه آنفًا، ومن هنا تأتي أهمية عمل الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تلك القارة المنسية.

---

(١) برنامج: صفحات من حياتي، قناة المجد الفضائية،١٤٢٤هـ.

٣- الانضباط الشرعيّ للسميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العمل الإغاثي والدعويّ. أدّى لاستقامة عمله على جادة الصراط المستقيم.

٤- العفوية والارتجال، أو الجهود الفردية غير المدروسة، لا يمكن أن تنهض بالعمل الخيريّ، أو تحقق تطلعاته وطموحاته. أمّا العمل المؤسسيّ المحكم، فإنه الطريق الصحيح لترسيخ العمل الخيريّ، والحفاظ عليه. ومن هنا يجد الباحث أنّ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حوّل العمل الإغاثيّ والدّعويّ، من عملٍ فرديٍّ قد ينتهي بموت صاحبه، إلى عملٍ مؤسسيٍّ مستمرٍ ومنظّم.

٥- حرص السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على توطين العمل الخيريّ، في الدّول الإسلاميّة المختلفة، ومناطق الأقليّات المسلمة في إفريقيا.

٦- العناية بالتدريب، ورفع القدرات، والإمكانات، من الأولويّات المهمّة، التي اهتم بها السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان لها بفضل الله سرعة الانتقال بالعمل الخيريّ إلى طور المهنية، ثمّ إلى الإبداع والتجديد.

٧- ركّز السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على التخصّص في العمل الخيري.

٨- الانضباط القانونيّ، والماليّ، استطاع من خلالها رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يَرُدّ الشبهات، والضغوط الدوليّة، ويحقق أكبر قدرٍ ممكنٍ من الجودة، والارتقاء الإداريّ في عمله.

ثانيًا: التوصيات:

وأمام هذه العوامل أجد أنني بحاجة إلى التوصية بعدة أمور:

١- ينبغي ألَّا تؤدي الضغوط الدوليّة، أو الإقليميّة على العمل الخيريّ، إلى الانحسار، أو التراجع، بل ينبغي أن يكون ذلك محفزًا، ومشجعًا، على مزيد من

العطاء، والإنجاز. قال الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

٢- لاشك أنّ في مجتمعنا قدرات، وطاقات تحتاج إلى: الاستِكْشاف، والتَّنمية، ولئن تخلَّت الـمَراكز الحكوميَّة عن دورها في ذلك، فإنّ القائمين على المراكز الدعويَّة، و التربويَّة، عليهم المبادرةُ لذلك، فالطّاقة، والموهبة، التي تمتَّع بها الدكتور السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المرحلة الثانويَّة، لها نظائر في واقعنا المعاصر، ويبقى التحدِّي مفروضًا علينا في اكتشافها ومتابعتها.

٣- السعيُ لتأسيس أعمالٍ مؤسسيّةٍ مستقلةٍ، قادرةٍ على النهوض بنفسها، بتدريب رجالها، وإنشاء الاستثمارات الوقفية لها، وإبرام الشراكات القويّة معها.

٤- دراسات العمل الخيريّ، والتطوعيّ، تعدّ عِلمًا من العلوم الدّعويّة المهمة، التي لم تأخذ حظّها من الدراسة والبحث، وهو جديرٌ بأن تخصص له كليةٌ أو معهدٌ، وإلى أن يتحقق ذلك أوصي المعهد العالي للدعوة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، أو قسم الثقافة الإسلامية فيها، بإضافة مواد خاصةٍ في العمل الخيريّ ومهاراته.

٥- ينبغي لكلّ مؤسسة من مؤسسات العمل الخيريّ مراجعة لوائحها الإداريّة، وأطرها التنظيميّة، وأدائها الوظيفيّ، بواسطة مؤسسةٍ من مؤسسات التطوير الإداريّ المتخصصة.

٦- العمل الخيريّ يحتاج إلى غطاءٍ إعلاميّ، يُبرِز إنجازاته، ويدفع شبهات المبطلين عنه. ولئن قصّرت المؤسسات الخيريّة في لغتها الإعلامية في وقت سابق، فإنني أوصي بضرورة تصحيح الوضع وإعطاء الإعلام عنايةً خاصة.

٧-لكثير من المؤسسات الإسلاميّة الخيريّة تجارب وخبراتٍ مهمّة، تراكمت مع مرور الزمان، ومن المهم جدًّا حثّ تلك المؤسسات على تدوين تجربتها في العمل الدعويّ الخيريّ، من أجل استثمار تلك التجارب وتوظيفها لمصلحة المؤسسات الناشئة، أو الأفراد العاملين في هذا المجال، وعلى رأس تلك المؤسسات جمعية العون المباشر.

٨- تأسيس إدارةٍ قانونيّةٍ مستقلةٍ في كل مؤسسةٍ خيريّةٍ، من أجل ضبط عمل المؤسسة، والتأكد من التزامه بالقوانين المنظمة للعمل الخيريّ.

٩- أتمنّى من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، ممثلةً في المعهد العالي للدعوة والاحتساب، أن ينسقوا لعمل ندوةٍ تُعنى بجهود هذا الدّاعية الجليل -أحسبه والله حسيبه-.

وفي النهاية لا يزعم الباحث بأنّه جمع في هذا البحث كلّ ما يتعلق بالشيخ السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكنّ الباحث حرص حرصًا كبيرًا على ألَّا يدّخر ما في وسعه، لإنجاح هذا البحث، وخدمة مجاله -مجال الدّعوة إلى الله- عن طريق دراسته للعمل الإغاثيّ للسميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ. والعمل البشريّ لا يمكن أن يكتمل، فكل بني آدم خطاء! ومعرضٌ للنقص والنسيان. ولهذا أدعو أن يكون هذا البحث نواةً لأبحاثٍ أخرى، تتعلق بالسميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو وربي جامعةٌ في عمله الإغاثيّ، والدعويّ، لا يمكن أن يكفيها بحث كهذا. وقد ترك الدكتور السميط مدرسته مفتوحة الأبواب، ليدخل إليها من شاء من الأخوة الدّعاة، ولينهلوا منها ما طاب لهم، من الأساليب والوسائل المتبعة، التي توصلهم لهدفهم المنشود بإذن الله. فجزاه الله خيرًا على ما عمل، وغفر الله له، وأسكنه فسيح جناته، مع الصّديقين والشهداء.

هذا ما استطاع الباحث البلوغ إليه في هذا البحث، ويعلم الله كم بذل من وقتٍ وجهدٍ ومالٍ لإظهاره بالمظهر الذي يتناسب وعمل هذا الشيخ الكريم والدّاعية العظيم. أسال الله أن يجعل ما عمل في موازين حسناته، وأن يجمعه به، ومن أشرف على هذه الرسالة، ومن ناقشها، ومن ساعده فيها، ومن قرأها، ومن نحب جميعا، في الفردوس الأعلى من الجنة، وأن يجعلنا من المتحابين فيه.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا. والحمد لله رب العالمين.



الفهارس



وتشتمل على:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأماكن والبلدان.

فهرس الفرق والقبائل.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيـات القرآنية

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾	١٥٩	٢٢٩
سورة النساء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ...﴾	١	٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾	٥٨	٤١
﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾	١٠٤	٢٣٥
سورة المائدة		
﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾	٤٢	٤٢
سورة التوبة		
﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً...﴾	١٢٢	٩٥
سورة يونس		
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	٢٩
سورة هود		
﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١١٥	٢٩

الآيــة	رقمها	الصفحة
سورة الحجر		
﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾	٩٩	٢٢٥
سورة النحل		
﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	٨٢	٢٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾	٩٠	٢٨
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾	١٢٥	٥، ١١٥، ١٤٠
سورة الإسراء		
﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ ﴾	٥٣	٢٨
﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾	٧٠	٢٣
سورة الكهف		
﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا ﴾	٢٩	٢٤
سورة طه		
﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾	٤٤	١٤٧

الآيـة	رقمها	الصفحة
سورة النجم		
﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾	٣١	٢٨
سورة الرحمن		
﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾	٦٠	٢٨
سورة الممتحنة		
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾	٨	٢٥، ٤٢
سورة الإنسان		
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨	٨٩
سورة الضحى		
﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾	٩	٩١
سورة الماعون		
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾	١ – ٣	٢٩

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
الدين النصيحة	٢٦
فُرِجَ سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فَفَرَجَ صدري ثم غسله بماء زمزم	١٤٠
كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في المواقف فيقول هل من رجل يحملني إلى قومه؟	٥٩
اللهم اهد دوساً، وائت بهم	٢٦
لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ	٦٥
مَا زَالَ جبريلُ يُوصِينِي بالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّه سَيُوَرِّثُه	٣١
من بنى لله مسجدًا يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة	٧٧
من فطر صائما كان له مثل أجره	٨٩
وأنا، والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما	١٥٥

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الفرق والقبائل

فهرس المصادر والمراجع

١- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح، الناشر: مكتبة الصحابة، ط٢، ١٤١٩هـ.

٢- الإدارة العامة وتنمية المجتمع: على عبد العليم محجوب، دار الثقافة العلمية، ٢٠٠٠م.

٣- الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت ط:٣، ١٤٠٩هـ.

٤- أساليب البحث العلمي: الأسس النظرية وتطبيقاتها في الإدارة، نائل عبد الحافظ العواملة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م، عمان.

٥- أساليب الدعوة إلى الله بين التجديد والمحافظة ودور الداعية المعاصر، إعداد: علي بن محمد بن عمر المختار يوسف، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٣هـ.

٦- أُسس الحضارة الإسلامية؛ للميداني، عبد الرحمن حسن حبنكّة، دار القلم، ١٩٩٨م.

٧- أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.

٨- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط٥، مصر: دار الوفاء، ١٤١٢هـ.

٩- أصول علم الإدارة، سامي زين العابدين حماد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٠٤هـ.

١٠- الاقتصاد الصناعي، د. مدحت كاظم القريشي، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠١م.

١١- أنوار البروق في أنواء الفروق، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، الناشر: عالم الكتب، الرياض.

١٢- البحث العلمي، مفهومه أدواته أساليبه، ذوقان عبيدات، إشراقات للنشر، الكويت، ٢٠٠٣م.

١٣- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ط:١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

١٤- التدرج في دعوة النبي ﷺ، د. إبراهيم المطلق، ط١، الرياض: مركز البحوث، ١٤١٧هـ.

١٥- تفسير ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط:٢، ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

١٦- تفسير الطبري، حققه وأخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر،ط:١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، الرياض.

١٧- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط:١، ١٤٢٧هـ، مؤسسة الرسالة، الرياض.

١٨- التفسير القيم للإمام ابن القيم، المؤلف: ابن القيم، المحقق: محمد حامد الفقي، مدار الوطن للنشر، الرياض،١٤٢٦هـ.

١٩- تهذيب اللغة، المؤلف :محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق :محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.

٢٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط:١، ١٤٢٠هـ.

٢١- حقيبة مسافر، د. عبد الرحمن السميط، طباعة مركز دراسات العمل الخيري، الكويت،٢٠١٠م.

٢٢- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، أصل الكتاب: رسالة ماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٢٣- خادم فقراء إفريقيا. إعداد: فريق عمل موقع لبيك إفريقيا. www.labaik.africa.org

٢٤- خصائص الدعوة الإسلامية، لمحمد أمين حسن، ط١، ١٤٠٣هـ، مكتبة المنار، الأردن.

٢٥- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش، ط: ٢، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب المصري، القاهرة.

٢٦- دليل إدارة مراكز الإغاثة في مناطق الكوارث، د. عبد الرحمن السميط، طباعة مركز دراسات العمل الخيري، الكويت،٢٠١٠م.

٢٧- رسالة إلى ولدي «رحلة خير في إفريقيا»، د. عبد الرحمن السميط، طباعة مركز دراسات العمل الخيري، الكويت،٢٠١٠م.

٢٨- السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط:١، ١٤١٥هـ.

٢٩- سنن الترمذي، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامية، ١٩٩٨م.

٣٠- شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.

٣١- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض، ط:١، ١٤٢٦هـ.

٣٢- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدّين الألباني، الناشر: دار الصديق، الجبيل، ط:١، ١٤٢١هـ.

٣٣- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٣٤- صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة، الرياض، ط:٢، ١٤١٤هـ.

٣٥- صحيح مسلم، تحقيق: أبو قتيبة الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٧هـ.

٣٦- صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة، سميح عاطف الدين، دار الكتاب اللبناني بيروت.

٣٧- العرف والعادة في رأي الفقهاء. عرض نظرية في التشريع الإسلامي للدكتور أحمد فهمي أبوسنه، ط:١، ٢٠٠٤م، دار البصائر الأزهر.

٣٨- العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية. إحسان محمد لافي، ط١، ٢٠٠٨م، دار النفائس، الأردن.

٣٩- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، رقم ١٢٤٩، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

٤٠- قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية دراسة أصولية في ضوء المقاصد الشرعية المؤلف: د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار إشبيليا للنشر والتوزيع.

٤١- لسان العرب، لابن منظور، تصنيف: يوسف خياط، ط:٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.

٤٢- مبادئ الإدارة العامة: سليمان محمد الطماوى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ.

٤٤- المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري.

٤٥- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق :يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط: ٥، ١٤٢٠هـ.

٤٦- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١

٤٧- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥م.

٤٨- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط:٣، مؤسسة الرسالة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٤٩- مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط:١، ١٤٢١هـ.

٥٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

٥١- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٩م.

٥٢- معجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط:٤، ٢٠٠٤م.

٥٣- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وصادق حامد، دار النفائس، بيروت، ط:١، ١٤٠٥هـ.

٥٤- معجم مقاييس اللغة العربية، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٥٥- مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن حميد، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٥٦- ملامح من التنصير، د: عبدالرحمن السميط،، طباعة مركز دراسات العمل الخيري، الكويت،٢٠١٠م.

٥٧- منازل السائرين المؤلف: عبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٥٨- مناهج البحث في التربية وعلم النفس. فان دالين، ديو بولد. ترجمة: محمد نوفل وزملاؤه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٥٩- منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإدارية: المفاهيم والأدوات، أحمد عارف العساف، محمود الوادي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط١،٢٠١١م.

٦٠- المهارات التنظيمية للعاملين في المنظمات التطوعية، أ. د. وجدي بركات، ص ١١٦، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٦١- المؤسسات الخيرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وجهودها في الدعوة إلى الله، دراسة تحليلية تقويمية، حمدان بن مسلم المزروعي، رسالة دكتوراه منشورة، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١، ١٤٢٠هـ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض.

٦٢- موسوعة الفقه الإسلامي، طبعة الأوقاف المصرية،١٤٠٦هـ.

٦٣- موسوعة المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م.

اللقاءات والمقابلات:

١- التشيع في إفريقيا (تقرير ميداني) تقرير خاص باتحاد علماء المسلمين، إشراف لجنة تقصي الحقائق، صادر عن مركز نماء للبحوث والدراسات، http://nama-center.com

٢- جريدة «الرياض» السعودية، مقال بعنوان: رجل يعرف كيف يدعو للإسلام، د. عبد الواحد خالد الحميد، العدد ١٣٩٨، ٤ أكتوبر ٢٠٠٦م.

٣- حوار مع السميط، بعنوان: العمل الدعوي والخيري في إفريقيا واقعه ومشكلاته، مجلة قراءات إفريقية، العدد ٦،سبتمبر ٢٠١٠م.

٤- حوار مع الشيخ محمد بن عبد الله الدويش، بعنوان: آفاق العمل الدعوي في إفريقيا،١٧/ ٣/ ٢٠٠٣م، موقع باب كوم.

٥- حوار مع د. عبد الرحمن السميط، بعنوان: العمل الإسلامي في إفريقيا، مجلة البيان، العدد ٨٠، ربيع الآخر :١٤١٥هـ.

٦- صحيفة الاقتصادية، مقال بعنوان: عبد الرحمن السميط يترجل عن جواده، بقلم: عبد الله العلمي، العدد ٧٢٥١، الأحد ١١ شوال ١٤٣٤هـ. الموافق ١٨ أغسطس ٢٠١٣م.

٧- صحيفة الوطن الكويتية، لقاء مع عبدالرحمن السميط، بعنوان: سفير الخير في إفريقيا، الثلاثاء ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٦م.

٨- صحيفة عمان، مقال بعنوان: الإستراتيجيات الفرنكوفونية وأدواتها، د:عبد العزيز بلقزيز، كاتب وأكاديمي مغربي، ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٠م).

٩- اللقاء الدعوي مع اللجنة الطبية، عبد الرحمن السميط، تاريخ ومكان الإلقاء١٤/ ٦/ ١٤٢٦هـ، مدينة الدمام.

١٠- لقاء السميط في مجلة نون العدد الرابع، رمضان- شوال ١٤٢٦هـ.

١١- لقاء مع أم صهيب، زوجة عبد الرحمن السميط، مجلة حياة العدد (٤٦) صفر ١٤٢٥هـ.

١٢- لقاء مع د. عبد الرحمن السميط، مجلة نون، العدد الرابع، رمضان- شوال ١٤٢٦هـ.

١٣- لقاء مع قناة الجزيرة بعنوان: قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م.

١٤- لقائي مع مسؤول العمل الاغاثي في جمعية العون المباشر، أ/ عمار بوبكري، يوم الثلاثاء:٢٦/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

١٥- مقابلتي للأستاذ: أحمد حلاج، مدير مكتب رئيس مجلس إدارة جمعية العون المباشر، يوم الأربعاء:٢٧/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

١٦- مقابلتي للدكتور خالد العجيمي. رئيس لجنة شئون إفريقيا في الندوة العالمية للشباب الإسلامي. يوم الأربعاء:٢٠/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

١٧- مقابلتي للدكتور/ عبد الله السميط، مدير جمعية العون المباشر، يوم الاثنين:٢٥/ ٨/ ١٤٣٥هـ.

١٨- مقابلتي للدكتور/ عبد الله السميط، مدير جمعية العون المباشر، يوم الأربعاء:٢٢/ ١١/ ١٤٣٥هـ.

١٩- مقال بعنوان: التنصير يغزو العالم الإسلامي، العدد: ١٥٣، أحمد عبد الله الرفاعي، ٢٠٠٠م، مجلة البيان، العدد ١٥٣.

٢٠- مقال بعنوان: عبد الرحمن السميط فارس العمل الخيري بإفريقيا، مجلة قراءات، العدد ١٦، أغسطس / ٢٠١٣م.

٢١- مقال بعنوان: التنمية في إفريقيا: المعوقات وآفاق التطوير، عبد الله تركماني، مجلة العربي الكويتية، بتاريخ ١١/ ٢٠٠٩ م.

٢٢- مقال بعنوان: سلسلة ثقافة الخير (٦): معوقات تفعيل عمل المنظمات الخيرية، ٢٧ محرم ١٤٣٦هـ، د. مهدي محمد القصاص، موقع المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)، http://www.medadcenter.com/

٢٣- مقال بعنوان: دعوة لبناء المساجد في إفريقيا المسلمة، عبدالله ناصر العيدي، مجلة البيان، العدد ١٧٨٠،تاريخ: ١٤٢١هـ.

٢٤- مقال بعنوان: دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع، مقترحات لتطوير العمل التطوعي. د. بلال عرابي. أستاذ علم الاجتماع -جامعة دمشق. مجلة النبأ، العدد : ٦٣، شعبان ١٤٢٢هـ.

٢٥- مقال بعنوان: المؤسسات الخيرية الدعوية (جمعية العون المباشر- لجنة مسلمي إفريقيا)، موقع جمعية العون المباشر.

٢٦- مقال بعنوان: مشاكل المسلمين في غرب إفريقيا، د/ راغب السرجاني،٢١/ ٤/ ٢٠١٠م موقع قصة الإسلام http://islamstory.com

٢٧- ندوة الوفاء/ العمل الإغاثي. الرسالة والأثر. د. صالح الوهيبي. ٧/ ٤/ ١٤٣٣هـ. موقع الاسلام اليوم،http://muntada.islamtoday.net /

المحاضرات:

١- محاضرة بعنوان: (العمل الإغاثي رسالة وأثر) ألقاها معالي الدكتور/ صالح الوهيبي الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي، في ندوة «الوفاء» الثقافية، وذلك مساء الأربعاء ٧/ ٤/ ١٤٣٣هـ، موقع ندوة الوفاء، http://alwfaa.net/

٢- محاضرة بعنوان: سمعوا فأسلموا، صفحة الشيخ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات.

٣- محاضرة بعنوان: حقيقة المأساة، د/ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات.

٤- محاضرة بعنوان: الدعوة في إفريقيا، صفحة الشيخ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات،http://www.islamweb.net /

٥- محاضرة بعنوان: حجوا فأسلمت قريتهم، د/ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات.

٦- محاضرة بعنوان: مبشرات من إفريقيا، د/ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات.

٧- محاضرة بعنوان: أبصروا النور، د/ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات.

٨- محاضرة بعنوان: أنقذوا إخوانكم في إفريقيا، د/ عبد الرحمن السميط، موقع إسلام ويب، صوتيات.

٩- محاضرة بعنوان: الإدارة الحديثة في العمل الخيري، د/ عبد الرحمن السميط، محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.

١٠- محاضرة التنمية البشرية (تجربة جمعية العون المباشر) غرفة التجارة والصناعة في الدمام.

١١- محاضرة بعنوان: معالم القدوة في حياة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن حمود السميط رَحِمَهُ اللَّهُ، للأستاذ: محمد بن حمد الخميس، ضمن ندوة الوفاء ببيت عميدها الشيخ/ أحمد محمد باجنيد بالرياض،١٥/ ١/ ١٤٣٥هـ.

البرامج:

١- برنامج صفحات من حياتي، قناة المجد الفضائية، تقديم: فهد السنيدي.١٤٢٤هـ.

٢- فيلم تسجيلي بعنوان: خادم الدعوة، قناة المجد الفضائية، يوم الاثنين: ١٢/ ١٠/ ١٤٣٤هـ تقديم: د/ فهد السنيدي.

٣- تقرير عن الداعية د. عبد الرحمن السميط، قناة الوطن الكويتية الفضائية، في ٠١/ ٠١/ ٢٠١٢م.

٤- برنامج زوايا تقديم: نبيل العوضي قناة الوطن الكويتية، ١٨/ رمضان/ ١٤٣٠هـ.

٥- برنامج بلا حدود، قناة الجزيزة الفضائية، يوم الأربعاء، الموافق ٥/ ١٠/ ٢٠٠٥م، المقدم: أحمد منصور.

٦- برنامج ساعة حوار مع عبد الرحمن السميط، قناة المجد الفضائية، ٨/ ٠٥/ ٢٠٠٨م.

٧- برنامج زيارة خاصة، قناة الجزيرة الفضائية، تاريخ ٢/ ٦/ ٢٠٠٧.

٨- برنامج: وجوه إسلامية، لقاء مع عبد الرحمن السميط، قناة العربية، ١١/ ٠٩/ ٢٠٠٨م.

٩- برنامج :عبد الرحمن الفاتح، قناة الوطن الكويتية، رمضان ١٤٣٥هـ.

١٠- برنامج: تحت المجهر، قناة الجزيرة بعنوان: قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر،٢٣/ فبراير/ ٢٠٠٦م.

١١- برنامج يوم جديد، قناة المجد الفضائية، تاريخ: ١٩/ ٥/ ٢٠١١م.
١٢- تقرير عن الداعية د. عبد الرحمن السميط، قناة الوطن الكويتية الفضائية، في ١٥/ ٠٨/ ٢٠١٣م.
١٣- برنامج القارة المنسية، قناة المجد الفضائية، تقديم: د/ فهد السنيدي، ١٤٢٥هـ.
١٤- لقاء مفرغ مع قناة الجزيرة بعنوان: قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر، مقدم الحلقة :غسان أبو حسين، تاريخ الحلقة٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م.

الدراسات والبحوث:

١- لجنة مسلمي إفريقيا، د/ فهد العضيبي، الناشر: حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، العدد : (١٨)، تاريخ:١٤٢٠هـ.
٢- الجهود الدعوية للمؤسسات الخيرية في المملكة العربية السعودية، عبد الله بن محمد المطوع، دراسة ميدانية تقويمية على مؤسسات بالندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومؤسسة الحرمين الخيرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٣م.
٣- الدعوة الى الله تعالى في الحج أنس بن محمد بن عبدالرحمن غوث، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٤٢٣هـ.
٤- العمل التطوعي في منظور عالمي، ورقة عمل قدمت للمؤتمر الثاني للتطوع، المشاريع التنموية في المؤسسات الأهلية الأولويات والتحديات، الشارقة، (٢٠٠١/ يناير/ ٢٣-٢٤) إبراهيم حسين، المشرف على برامج الدول العربية، رئاسة برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، (بون – ألمانيا).

٥- العمل التطوعي: عطاء وتنمية، حميد بن خليل الشايجي، دراسة ميدانية مقدمة للقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالدمام، المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، إصدار: جمعية البر الخيرية، ٢٠٠٢م.

٦- مجلة البحوث الإسلامية/ بحث بعنوان/ أساليب المنصرين للوصول إلى أهدافهم في المجتمعات الإسلامية المعاصرة/ العدد الثاني والعشرون - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤٢٨هـ/ إعداد الدكتور: مهدي رزق الله أحمد http://www.alifta.net/App_Themes/Green/images/title.gif

٧- التمويل الخيري العقبات المعاصرة والحلول البديلة، محمد ناجي عطية، ورقة عمل مقدمة في حلقة نقاش ضمن برنامج الملتقى الثقافي الأول للمنظمات والجمعيات الخيرية، صنعاء اليمن ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، إشراف وتمويل مؤسسة جمعية العون المباشر، تنفيذ مركز الإتقان للتدريب والتطوير -صنعاء.

٨- التطوع: مفهومه، وآثاره دراسة علمية تطبيقية على جهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال، ورقة مقدمة للمؤتمر التطوعي الثاني الذي أقامته جمعية الهلال الأحمر السعودي، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، ١٤٢٨هـ.

٩- الفتاة السعودية وممارسة العمل التطوعي، نورة بنت سليمان الموسى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم لدراسات الاجتماعية، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٢م.

١٠- العمل التطوعي (مفهومه وأهميته وآثاره الفردية والاجتماعية وعوامل نجاحه ومعوقاته)، الدكتور: مساعد بن منشط اللحياني، صفر: ١٤٢٢هـ، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السعودي الثاني للتطوع.

١١- العمل الخيري والإنساني في دولة الإمارات العربية المتحدة؛ دراسة ميدانية لعينة من العاملين والمتطوعين في الجمعيات الخيرية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، طلعت إبراهيم لطفي، أبوظبي ٢٠٠٤م.

١٢- العمل الدعوي الخيري. رؤية في أفاق التطوير، أحمد الصويان، ورقة عمل مقدمة ضمن الملتقى الأول للدراسات الدّعويّة: الواقع والأمل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٣- إدارة العمل التطوعي واستفادة المنظمات الخيرية التطوعية. رؤية الخدمة الاجتماعية، أيمن إسماعيل يعقوب، عبد الله بن حضيض السلمي، مطبوعات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ٢٠٠٥م، الرياض.

١٤- معوقات أداء الجمعيات الخيرية النسائية في المملكة العربية السعودية. دراسة مقارنة، إنتصار حسن عماشة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والإدارة، قسم الإدارة العامة، جامعة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٣م.

١٥- نحو إدارة مؤسسية للعمل الخيري، بدر بن عبد اللطيف الجوهر، ورقة مقدمة للقاء السنوي الأول للجهات الخيرية بالدمام، إصدار: جمعية البر الخيرية، المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية،٢٠٠٢م.

المواقع الإلكترونية:

إحصائيات اليونيسيف من موقع متخصص في شؤون القارة الإفريقية، ويصدر عن مؤسسة المنتدى الإسلامي- المملكة العربية السعودية – جدة
http://medadcenter.com/

١- أساليب المنصرين للوصول إلى أهدافهم في المجتمعات الإسلامية المعاصرة/ مجلة البحوث الإسلامية:
http://www.alifta.net/App_Themes/Green/images/title.gif /

٢- آفاق العمل الدعوي في إفريقيا، حوار مع الشيخ محمد بن عبد الله الدويش، /http://www.83.bab.com

٣- بانابرس، موقع متخصص في شؤون القارة الإفريقية، ويصدر عن مؤسسة المنتدى الإسلامي،www.panapress.com

٤- التشيع في إفريقيا (تقرير ميداني) تقرير خاص باتحاد علماء المسلمين، إشراف لجنة تقصي الحقائق، صادر عن مركز نماء للبحوث والدراسات، /http://nama-center.com

٥- قصص مؤثرة عن مجاعة الصومال رحلة السميط بتاريخ ٣٠-٦-٢٠١١، موقع جمعية العون المباشر /http://direct-aid.org/cms.

٦- مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد ١٠١، نوفمبر/ ٢٠١٤، http://fiqh.islammessage.com

٧- محاضرة بعنوان: بعد الأوثان سجدوا للرحمن. موقع إسلام ويب، صوتيات، /http://www.islamweb.net/

٨- محاضرة بعنوان: رأيتهم فرحتهم بالأضاحي. موقع إسلام ويب، صوتيات، /http://www.islamweb.net

٩- محاضرة بعنوان: أبصروا النور. موقع إسلام ويب، صوتيات، /http://www.islamweb.net

١٠- محاضرة بعنوان: الدعوة في إفريقيا، موقع إسلام ويب، صوتيات، /http://www.islamweb.net

١١- محاضرة بعنوان: مبشرات من إفريقيا. موقع إسلام ويب، صوتيات، http://www.islamweb.net

١٢- المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، http://rcssmideast.org/

١٣- مقال بعنوان :سلسلة ثقافة الخير (٦): معوقات تفعيل عمل المنظمات الخيرية، ٢٧ محرم ١٤٣٦هـ، د/ مهدي محمد القصاص، موقع المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)، /http://www.medadcenter.com

١٤- مقال بعنوان: إسلام غرب إفريقيا في محنة، للكاتب: حيدر عبد الحفيظ جريدة الأمة الإلكترونية، الإثنين/ ٣٠/ يونيو/ ٢٠١٤م، /http://www.al-omah.com

١٥- مقال بعنوان: الإستراتيجيات الفرنكوفونية وأدواتها، د:عبدالعزيز بلقزيز، كاتب وأكاديمي مغربي، صحيفة عمان، ٢٥ / ١٢/ ٢٠١٠م، http://jaridat.com

١٦- مقال في موقع قصة الإسلام، بعنوان: مشاكل المسلمين في غرب إفريقيا، د. راغب السرجاني،٢١/ ٤/ ٢٠١٠م http://islamstory.com

١٧- منظمة الأغذية والزراعة حالة انعدام الأمن الغذائي في العالم ٢٠١٣، http://www.fao.org

١٨- مؤسسة إبصار الصحية، صنعاء، حي الصافية، http://ebsarye.blogspot.com/

١٩- موقع الشبكة العربية العالمية Global Arab Network، http://www.globalarabnetwork.com

٢٠- موقع شبكة الألوكة www.alukah.net

٢١- موقع باب كوم، حوار مع الشيخ: محمد بن عبد الله الدويش بعنوان: العمل الدعوي في إفريقيا – الواقع والمأمول

٢٢- موقع قصة الإسلام، http://islamstory.com

٢٣- موقع لبيك إفريقيا، www.labaik.africa.org

٢٤- موقع مجلة العربي الكويتية، كمال عبد اللطيف، العدد ٦١٢ - ٢٠٠٩/ ١١، http://www.alarabimag.com

فهرس الموضوعات